بسنت

الطبعة الأولى

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

اسم الرواية: بسنت

اسم المؤلف: هدير عبد السلام

التدقيق اللغوي: هدير محمود

تصميم الغلاف: وحيد محمد

الإخراج الداخلي: خالد محمود

رقم الإيداع: ١٦٢٦٩ / ٢٠٢٢

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٦٨٧٤-٩٩-٢

مسار للنشر و التوزيع

ش- حسن خطاب - قسم يوسف بيك - الزقازيق - الشرقية

01020439639

massar.pub1@gmail.com

بسنت

هدير عبدالسلام

مسار
للنشر و التوزيع
Masaar publishing & Distribution

إهداء

إلى كل فتاة قد تعايشتْ مثل ذلك التجربة

وإلى كل فتاة كانت ذات يوم فى مقري سواء تعايشَتْ به أو كان شبيه.

والأهم من ذلك (عادل) لولاك أنت ما كنت أنا.. تلك البسنت التى تجرأت على كتابة كل جميع تلك الكلمات.

(شكرًا جزيلًا)

المقدمة
بسنت

تذكر اليوم الذي أطلقت عليّ فيه ذلك الاسم عندما كنت تغازلني وأنت تنطق به؟..

قد تكون أنت وقتها أعظم من مر على القلب والحياة بالنسبة إلى..

ولكن الآن أنا لا أود عودتك مرة أخرى.

فقد أصبحت نسبًا لي كالأريكة المتروكة إهلاكًا وقديماً..

(الفصل الأول)
(بسنت)

انظر من نافذتي وأنا أسجل ذلك

ها هي أنا

(هدير)

صبيحة يوم جديد في العمل الذي قد بدأت أنا أعمل به فقط منذ عدة أسابيع تعارفت بإحدى الاصدقاء والصديقات، ومنهن كانت فتاة تدعى (نجلاء) كان عمرها يتراوح حوالي ما بين الثاني والعشرون والثالث والعشرون بالتقريب، وكانت تعمل بالشركة منذ أكثر من عشرة أعوام وكانت تعمل معي في نفس الطابق وبالرغم من أنني كنت أأبى الحديث كثيرًا مع البعض إلا أنني أحببتها للغاية وأردت أن أكتسب خبرة العمل منها، منها فقط؟!

لا أعلم لماذا؟ هل لأنها لها الكثير في العمل ومنذ سنوات؟ لا أعلم ولكنني حقًّا احببتها ولكن إلا حد ما بسيط، ولأنها كانت تلازمني دائمًا في العمل وتعلمني كل شيء لذلك فقد أطلقت عليها اسم (ماما)

كانوا جميع من في الشركة متعجبون للغاية ويسألونني دائمًا لماذا

تعطين الأمر أكثر من حقه؟ صديقتك أي نعم جيدًا وتحبينها ولكن لا تناديها بـ(ماما) هذه

فلا يستحق أحد أن ينادي بذلك الاسم سوى والدتك فقط..

كنت أرد بقول: ماذا بكم يا قوم؟ الأمر ليس كذلك أنا فقط أحبها للغاية حتى أنها ترافقني في العمل في كل شيء أقوم به وذلك الاسم أطلقته للهراء فقط وليس أكثر من ذلك.

ثم ازداد حبي وتعلقي بها فكنت فقط فالتاسع عشر من عمري صغيرة وذو عقل غير ناضج وتلقائية للغاية..

ثم في موسم المولد النبوي الشريف لشهر سبتمبر عام الألفان والتاسع عشر أتو إلى الشركة فتيات جدد لكى يعملون في الشركة لعدة أشهر متتالية فقط، تعارفت على بعضهن بالمصادفة وهم: (سلوى)، (فريدة)، (عزيزة)، (كاميليا)، (يارا)..

أما عن سلوى: فهي تحمل وجه بشوش للغاية وتجعل كل ما يراها يعشق تلك ابتسامتها المفتونة ووجنتاها المضيئان..

وأما عن فريدة: ذو الخمار المحتشم، القريبة من الله، الصامتة إلى حد الهدوء والسكينة التي إلى هذا الوقت الذي أكتب فيه لم تزعجني يومًا بالمضيق أو الإساءة فهي أحسن الخلق تأديبًا، وهي أكثر من تتفهمني وتتفهم أمري وتتحملني وتستطيع جيدًا أن تدري ما بي حتى عند الصمت.

وإما عن عزيزة: فهي أكبر عمرًا من كل منا ولكن ليس الكثير فقط تشمل فارق حوالي ثلاثة أو أربعة سنوات ولكنها صغيرة حقًّا، ساذجة وتلقائية وعفوية وفكاهية وتجعل كل من يعرفها ويجلس معها في مقر واحد لا يعطيها ذلك السن الذي لا تستحقه فهي تستحق بالأكثر الثامن عشر من عمرها..

أمَّا كاميليا: فهي ذو العقل المدبر لنا نحن الأربعة.

ثم إنها تتفهم كل منا للغاية بسهولة فهي ذكية وعقلانية ومحبوبة وبالإضافة على ذلك هي تشبه كائن الباندا المنقرض.

إما عن يارا: فهي جميلة أكثر مما ينبغي وتشبه اليابانيون والصينيون ولكنها تحمل الجنسية المصرية المعهودة..

فقد كنا أقرب الأقربين من بعضنا البعض خاصًا أنهم لم يذهبوا من عقب انتهاء موسم المولد النبوي الشريف فقد استكملوا لجديتهم الفائقة في العمل..

أصبحنا لا نتفارق أبدًا ونذهب في كل مكان برفقتنا ولا ننقص واحدة، لم أشعر تجاههم أبدًا أنهم حقوديين أو استغلاليون، فنحن ستة ولكن بروح واحدة..

كنت أستمع كثيرًا إلى الناس يتفوهون عن الأصدقاء وأن الأكثر من واحدة والأكثر من اثنين لم يكونوا حقيقيون ولكنني لم أرَ ذاك التفوهات معهم أبدًا..

أصبح لدي خمسة أصدقاء وأصبحوا مع التزامن كل ما لدي، رفاق الدرب والعمل والحياة والمصير والدنيا والدين..

بارك الله لي فيهم وحفظهم لي من كل شر..

ثم بعد عدة سنوات

(فبراير عام ألفان وحادي وعشرون)

اتجهت أذناي إلى صوت أتى من الطابق الأرضي بالشركة كان صوت شاب تتحدث معه إحدى المشرفات وتقول له: مرحبًا بك يا (عادل) كيف حالك؟

قال لها: بكل خير يا سيدتي.

قالت له: فلتخبرني الآن هل تزوجت أم تنتظر؟ قال لها: بل أنني قد انفصلت.

قالت له: سوف أجلب لك إحدى العرائس لتراها.

قال لها: شكرًا لك فأنا لا أريد أن أتزوج..

حتى أنني لم أرَ ذلك الشاب.

من هو؟ فأنا لم أره هنا فالشركة من قبل.

لا بأس تحدث كثيرًا هنا.

ثم بعد بضعة أسابيع وأيام طلبت مني المشرفة أن أعمل بقسم الكعكة لإعداد شيء ما وكان حينها (موسم الفراولة) الذي به يعد كل

من الأصناف التي تشمل الفراولة، ثم ذهبت إليه للقيام بذلك العمل وكان معي واحدة من الفتيات زميلاتي أيضًا تدعى (ليلى).

كان لي الكثير لم أذهب إلى ذلك القسم، فوقعت بنظري على شاب يحمل وجه مشؤوم للغاية لا يضحك ولا يتحدث مع أحد ولا يموء هنا وهناك حتى لأي شيء ولا ينظر لإحداهم ولا أحداهن.

كان أسمر اللون ونحيف الوجه والجسد وطويل القامة، ليس وسيماً هو فقط يحمل الوجه المعتاد وكان أكثر من جعله ليس وسيما هو ذلك الوجه الغاضب.

حتى أنه كان يرتدي ثياب للعمل استثنائي، فجميع الرجال يرتدون زي أبيض إلا هو يرتدي زي أسود اللون وكنت أسول لنفسي، لماذا هو فقط الذي يرتدي ذلك الذي استثنائيًّا عن باقية الرجال؟

كان السؤال فضولي فقط.

ولكن في الحقيقة!

كان يروق لي وكان حقًّا استثنائي..

فعندما كنت أعمل وجدت زميلتي (ليلى) تتحدث معه وتقول: كيف حالك؟

قال لها: حمد الله كيف حالك أنتِ؟

وبعد سلامات الترحيب ذلك قلت لها من هذا الذى تتحدثين معه؟

فأنا لم أراه هنا ب الشركة من قبل.

قالت لي: بالطبع لم ترينه فهذا (عادل) كان هنا في العمل منذ حوالي ثمانية سنوات كان مساعد شيف ثم ذهب وقد جاء هنا منذ حوالي شهر يقوم باختبار؛ لكي تقبله الشركة فقد أصبح شيف.

قلت لها: فهو سيئ للغاية من الجيد أنه لا يتحدث مع أحد ولكن لا يحمل ذلك الوجه.

ثم بعد اليوم التاني والثالت والرابع صرت أعمل أنا وزميلتي و(عادل) فقط بالقسم وعند دخولي القسم وعندما وجدته قلت في ذهني يا (فتاح يا عليم يا رزاق يا كريم) متى سينتهي ذلك الموسم لكي أتخلص من ذلك الوجه الغاضب؟

أيجوز هذا أن تنتابني المضايقة هنا وهناك في المنزل؟!

وبعد انتهاء اليوم وأنا أتحدث مع أصدقائي كالمعهود.

قالت لي (عزيزة): قد أتى حديثًا إلى الشركة شاب يعمل بقسم الكعكة وهو جميل للغاية يا (هدير) وجذاب إلى أقصى الحدود.

قلت لها: أين هو؟ فأنا لي الكثير أعمل بالقسم ولم أرَ ما تصيفينه ذلك.

قالت لي: كيف ذلك يا (هدير) هو فقط الذي بالقسم يحمل وجه أسمر اللون هكذا وهو نحيف.

قلت لها: لا تخبريني أنك تتحدثين عن (عادل).

قالت لي: هل يدعي (عادل) من الجيد أنني قد عرفت باسمه؟

قلت لها: هذا؟ هذا جذاب ووجهه جميلًا؟ يبدو عليكِ أنك قد أصابك العمى حديثًا يا (عزيزة).

قالت لي: هل تعلمي كم من الفتيات يعجبون به ومنهن كثيرات يريدون أن يتحدثون معه ومنهم من تريد الدخول معه في علاقة ارتباط.

قلت لها: يا قوتك يا الله فقد يبدو للغاية أن جميع من في الشركة قد أصابون بالعمى!

وفي اليوم التالي رأيت عادل يتحدث مع إحدى أصدقائه ويقول له: فلتخبرني يا فتى هل أتيت إلى حفل خطبتي؟

خطبته هل تقدم لإحداهن مرة أخرى؟

هذا ما تفوهت به في عقلي وأردت أن أخبر (عزيزة) بما دار فورًا لكي لا تتعلق به أكثر لأنه ثمة فتاة بحياته، ثم ذهبت إليها وقلت لها: عزيزة أريد أن أخبرك شيئًا.

(عادل) يبدو أنه خاطب إحداهن من الأفضل لك أن تصرفي عن رأيك ذلك الأمر ولا تحاولين أن تتعلقين به؛ لكي لا يتعب قلبك يا حبيبتي.

قالت لي: سوف أفعل يا هدير أنا فقط ليست أكثر من معجبة لم أحبه

مثلًا لا تقلقي

ثم بعد عدة أيام وجدته يتحدث مع زميلتي (ليلى) وكان يبدو أنهم لهم الكثير يعرفون بعضهم ومنذ سنوات وكان يتحدثون عن انفصاله بخطيبته وأنه كان يحبها للغاية ولكنه لم يذكرْ سبب الانفصال.

فقد ذهبت إلى عزيزة وأخبرتها بما حدث وقلت لها: (عادل) انفصل عن خطيبته حديثًا ولا يريد أن يتزوج أبدًا، فيمكن لك أن تتقاربي منه حتى يحبك.

قالت لى: وكيف سأفعل ذلك؟

قلت لها: فلتتركي الأمر لي.

فتحدثت معي في الأمر (ليلى) وقالت لي: عادل انفصل عن خطيبته وكان يحبها كثيرًا.

قلت لها: هل من أرائك أنه يجب أن يتعارف بإحداهن لكي ينسى خطيبته تلك؟

قالت لي: هو قد تناساها بالفعل ولكنه لا يريد.

قلت لها: فما رأيك ب(عزيزة)؟

قالت لي: عزيزة لا تناسبه فعادل يروق له نوع معين من الفتيات ومن المؤكد أن عزيزة لا تروق له.

قلت لها: ولكنه عندما يدري أن ثمة إحداهن تحبه للغاية من المحتمل

أن يتجه إلى رأى آخر، ولذلك أريد أن أتحدث معه في الأمر.

قالت لي: فلتفعلي ولكنك سترهقين ذاتك من اللا شيء.

وبالفعل اتجهت إلى أول الفرص عندما رأيت عادل في القسم وأنا أعمل.

وقلت له: أريد أن أخبرك شيء.

قال لي: فلتخبريني.

قلت له: ماذا تفعل إذا علمت أن إحداهن تحبك؟ قال لي: كيف ذلك؟

قلت له: ثمة فتاة بالشركة تحبك!

قال لي: بالشركة؟ كيف ذلك؟ فأنا لي بالشركة فقط شهران متى رأتني وكيف أحبتني حتى؟

قلت له: يبدو أن الأمر لك صعب ولا يصدق ولكن هذا بالفعل قد حدث.

قال لي: تحبني وهي لا تعرفني بماذا تتفوهين يا (هدير)؟

ثم إنها من تكون؟

قلت له: لا يمكن أن أخبرك من تكون لكي لأتسبب لها حرج.

قال لي: يبدو أنها صديقتك.

قلت له: بالفعل بل أكثر من ذلك.

ثم أخبرتها بما دار وقالت لي: لا داعي للأمر يا (هدير) فأنا لا أحبه أبدًا، حتى أنني لم أتعرف به هو فقط يروق لي مثلي كمثل كم من الفتيات المتواجدون هنا لا أكثر.

فلا داعي للأمر.

فقد اطمئن قلبي على صديقتي المقربة تلك لكي لا يتعب قلبها.

ثم بعد عدة أسابيع وقد ازداد الحديث بيننا كان فقط لمجرد قضاء الوقت فالعمل؛ لكي يمر اليوم لست أكثر من ذلك، كان بعض الوقت يتحدث مع (ليلى) ووقت آخر يتحدث معي في أمور الحياة وأحاديث من ذلك القبيل، حتى أصبحنا نضحك ونمزح كثيرًا للغاية، ولأنني شخص فكاهي وأعشق تلك الفكاهة والهراء كنت أمزح مع جميع من يضحكون ويملكون حس الفكاهة بالرغم من أنني شخص يلازمه النفور من الرجال، ولكنني تحدثت مع (عادل) فالمعتاد؛ لأن كل منا يدري ما حدوده.

وفي ذات يوم قلت له: (عادل) أريد أن أخبرك شيء، عندما رأيتك لأول مرة كنت تحمل وجه سيء للغاية ولذلك السبب أطلقت عليك (ذو الوجه المشئوم) من كثرة وجهك الغاضب المنطفئ، وكنت أنزعج للغاية وتنتابني المضايقة عندما أراك وكنت أتمنى لو ينتهي اليوم سريعًا لكي أغرب عن وجهك، وكنت أتمنى أكثر لو تنتهي مهمتي بذلك القسم على الفور؛ لأنك بالفعل كنت تغلق يومي مبكرًا!...

ثم ضحك بصوت مرتفع ولأول مرة أراه يضحك هكذا وقال لي: لقد أضحكتيني للغاية بما تفوهتي به ولكن لا يا سيدتي فمن المحتمل أنه كان لدي الكثير من العمل أو كان ثمة شيء يزعجني.

قلت له: حسنًا يا عادل..

كيف على المرء أن يستبدل تفكيره في شخص كان عندما يتراءى أمامه ينفر؟!

ثم يصبح أكثر البعض معه تكلمًا، حتى الثياب الأسود الاستثنائية التي كنت انتقده عندما رأيته أول مرة أصبح في عيني أجمل الملابس في الشركة.

فقد بدأنا الحديث سويًّا كثيرًا حتى أنني لم أستطع التوقف عن الحديث معه طوال فترة عملي في ذلك القسم..

فقد أصبح معي شيء معتاد، ثم بعد الحين وأولًا وأجملًا لن يستمر بعقله اسمي الحقيقي، كان يخبرني أن وجهي يناسبه أكثر اسم (بسنت).

وهنا قد بدأت بسنت، قد أعجبني الاسم للغاية ولكنني كنت أشعر أنني فتاة أخرى، عندما أطلق على ذلك الاسم صممت أن أطلق عليه اسم اخر يدعى (دياسطي). الشخصية الكرتونية، فعندما أطلقت ذلك الاسم عليه لأول مرة كان وجهه مليء بعلامات الاستفهام، فهو لا يعرف هذان (بسنت ودياسطي) ولا يدري أنهم شخصيات كرتونية ولكن ذلك الاسم أغرب من مر على ذهني؛ لأنه يعتبر اسم مركب،

ولكنه أعجبه من كثرة النداء، فقد زادت الأحاديث بيننا للغاية وبدأ النداء يصعد من صوته أكثر وأكثر.

كنت ألقى عليه التحية في الصباح عندما أراه في العمل وأنادي: مرحبًا يا (دياسطي)، ويرد بالنداء متغازلًا: مرحبًا بكِ يا (بسنت).

وكانت العبارات تحمل كل معاني الغزل، حتى أنه بدأ بالتركيز معي في كل موقف أقوم به أو عمل أو أي أحاديث مع غيره وليس من المشترط أنه مشارك فيها، ثم في ذات يوم كنت أعمل مع أحد زميلاتي في هذا القسم وكان حين الوقت قدوم شهر رمضان المبارك.

وكنا نتحدث أنني أريد شراء عباء؛ لكي ارتديها في رمضان، ثم انتظر (عادل) زميلتي حتى ذهبت للقيام بشيء ما ثم نادى علي وقال: بسنت! لماذا تريدين شراء عباء؟!..

تحول وجهي إلى علامات تعجب، حتى قال وهو متوترًا للغاية : لا تتعجبي هكذا أنا فقط أعرض عليكِ عرض سوف يعجبك، فصديقي لديه محل عباءة فكنت أريد أن تذهبي إليه لشراء العباء التي تريدينها، زادت ملامح التعجب في وجهي، حتى قلت بصوت أعلى من النبرة المعهودة: كيف لك من الأساس أن تتصنت علي وأنا أتحدث مع زميلتي.

فقال: صوتك كان عاليًا ثم أنني بجانبك لست في آخر القسم.

حتى قلت له: على كلٍّ بعد عدة أيام سوف أطلبها من مكان أعرفه.

كان وجهه يحمل علامات الحزن، ولكنه لم يستسلم..

ثم بدأ يفكر بي؛ لأن وجهي يمر في ذهنه وفي كل يوم في الصباح، وينتظر سلاماتي الترحيبية الخاصة حتى ولو بالإماءة.

ولكنني لم أخزله فكنت حقًا ألقي التحية كل يوم لسماع كلمة (بسنت).

وهنا بدأت الأحاديث والتفوهات تزداد علي كل منا؛ لأنه كان لا يعطي أي وجه إلى أي فتاة في العمل، ولا أية فرصة للقيام بالحديث حتى لو سلامات الله تعالى، فعند تبادل تلك إشارات الترحيب المغازلة، كانت كل منهما تسول لنفسها وتقول:

هو لا يتحدث مع أي فتاة فلماذا هي؟؟

ولكنني لم أهتم لأي حديث أستمع إليه أو يقص علي..

ثم بعد عدة أيام ومع مرور الاستمرارية فما يفعله كان يعمل بالإعداد في كعكة جديدة حتى أنها لفتت نظري للغاية وجعلتني أتوقف عمَّا كنت أفعله حتى ذهبت إليه ثم قلت وأنا في أشد الإعجاب بها: تلك الكعكة جميلة للغاية يا (عادل).

قال: هل أتقدم لخطبتك وأأتى بتلك الكعكة؟

صار يرددها أكثر من مرة مع قولي المرتبك: ماذا تقول أنا لا أسمعك؟!، حتى بدأت عليه ملامح وجه الغضب، ثم قال متمردًا: لما دائمًا تتعمدين أن تتقمصي شخصية الفتاة البلهاء التي لا تفهم ما يدور من حولها من قول، فقلت له وأنا في غاية التوتر: لماذا تقول ذلك أنا حقًا

لا أسمعك؟

ثم انتظرت حتى ذهب إلى مقر عمله ثم عدت أنا إلى مقري..

ثم مع مرور الوقت انجذبت له للغاية واكتشفت أنه ليس مجرد طويل القامة ولا نحيف إلى حد ما ولا أسمر اللون، فقد اكتشفت أيضًا أنه يحمل ابتسامة مليئة بالجمال ومنذ أن رأيتها لأول مرة قد ربحت على الميزان أمام تلك الوجه الذي كان غاضبًا من قبل، وكانت بعض كلماته بل جميعها ليست مجرد كلمات فحسب.

وكان المتسلط الوحيد على عقلي حينها حتى تغيرت تلك النظرة إلى كل الحدود، فاستمر ذلك لبضعه أسابيع وفي ذات يوم آخر، كانت يداي متسخة إلى حد ما من العمل وكنت أخشى أن هاتفي المحمول يتسخ، فكان أمامي (عادل) فسألته أين أعين ذلك الهاتف؟

فقال لي: فلتعطيني إياه سوف أحتفظ به معي.

قلت له: حسنًا وسأأخذه عند وقت الاستراحة، ثم حان وقت الاستراحة وعند الاتجاه نحوه؛ لكي أطلب منه الهاتف وجدته يتحدث مع رئيس الشركة، فقد انتابني حينها شعور الخجل من أنني أطلب الهاتف منه في ذلك الوقت، فقد اتخذت قرار أن أطلبه بعد الاستراحة، وبعد مرور ساعة.

عدت إلى عملي في القسم ورقدت نحوه قائلًا: شكرًا جزيلًا أريد هاتفي.

فقال لي متعجبًا: أي هاتف يا فتاة؟!

قلت له وأنا في أشد الثأر والغضب مع مزيج من الفكاهية: ماذا تقول؟ هاتفي معك من قبل الاستراحة.

ثم قال لي وهو في أشد الإصرار: هاتفك لست معي، أين ذلك ؟ أنا لا أحمل هاتفك، منذ متى وأنتِ تحتفظين به معي من الأساس؟

ثم قلت له: هاتفي في جيبك الخلفي يا عادل واستحلفك بالله.

كانت ملامحه لا تصدقني عند الحديث ثم وضع يداه اليسار على جيبه الخلفي ثم وجده.

وقال شاردًا متعجبًا للغاية: ما هذا ماذا وضعه في جيبي؟

فقلت له: من المؤكد أنني لا أكذب.

فقبل الاستراحة كنت لا أعلم أين احتفظ به؛ لأن كانت يداي متسخة فعرضت أنت على حينها أن تحتفظ به معك حتى يحين موعد الاستراحة، وعندما وجدتك تتحدث مع رئيس الشركة ذلك كنت في غاية الخجل أن أطالب به منك ثم قلت إنه لا مانع للانتظار بعد الاستراحة..

كان يستمع إلى وهو مصدومًا ولا يصدقني، حتى قلت له بسخرية:

أي نعم! أنا قد أردت أن أجعلك سارق هاتفي فوضعته دون وعيك في جيبك الخلفي، ثم ضحك متعجبًا وقال: لا أعلم ولكنني حقًا لا

أتذكر، لا تؤاخذينني فأنا لا أتذكر بضع الأشياء إلى حد ما..

حتى اتجهت إلى مقر عملي فجاء إلى وهو يتحدث بتلك الوجه الذي ما زال متعجبًا: حقًا كل ذلك الوقت وهاتفك معي؟

فصار يرددها أكثر من مرة على مدار بضع دقائق، ثم جاء مؤخرًا يتحدث إلى نادمًا: ليتني كنت أعلم أنه معي كنت على الفور فعلت كل ما بوسعي لكي أعرف رقم ذلك الهاتف.

فنظرت إليه نظرة صامتة تحمل أكثر من معنى وتعمدت أن أتظاهر بأنني لا أسمعه، فاستمريت في العمل وذهب إلى مقر عمله، وفي نهاية اليوم كان الوقت للذهاب إلى المنزل، فأودعته قائلًا كعهدتي. إلى إلقاء يا دياسطي، سوف نلتقي غدًا.

هل ستحتاج مني أي شيء؟

ثم قال لي: أنا في أشد الندم أن الهاتف كل ذلك الوقت كان معي وكنت لا أفعل به شيء، فأنا أدري جيدًا أنك لا ترضين لي بالندم.

فياليتك توافقين على ذلك العرض وتعطيني أنتِ رقم الهاتف وفي المقابل سأتوقف عن الندم، نظرت له متمردًا حتى قلَت: سوف تغرب عن وجهي الآن فأنا أريد أن أذهب إلى المنزل فورًا.

ثم مر يوم وراء الآخر وراء الآخر وأنا لم أدخل ذلك القسم لأسباب ما فالعمل، فعند دخولي بعد بضعة أيام، ألقيت عليه إيماءة الترحيب المعهودة بيننا وقلت له: كيف حالك يا (دياسطي) بدون صوتي المزعج

هذا كل هذه الأيام؟

فقال لي وأنا لا أتوقع ذلك الرد: بسنت هل وجهك به شيء جميل أم أمتلئ بضعة ما؟

فحقًا أنتِ جميلة للغاية اليوم، وخاصًا عندما امتلاء ذلك الوجه إلى حد ما..

ثم قلت له وأنا أحمل ابتسامة رقيقة بغير عادتي:

أعزك وأكرمك الله ولكن تقصد أنني هكذا أجمل أم عندما يكون وجهي أقل امتلاءً؟

قال لي: بالطبع وهو ممتلئ.

فكيف لذلك الوجه ألا يظهر تلك الملامح الجميلة؟

ثم أخبأت ذلك الوجه في الأرض حياءً حتى بدأ فمي يتحدث مرة أخرى بعد بضع لحظات وهو ينظر إلى في صمت بشرود متغازلًا.

حتى قلت له: لا أدري ما الرد في ذلك الموقف فقد أحرجتني للغاية ولكن شكرًا جزيلًا لتلك الكلمات..

وفي اليوم التالي وبعد استمرارية الأحاديث المعهودة بيننا.

صار يسول إلي: يا بسنت هل أنتِ مخطوبة؟

قلت له: لا يا دياسطي.

فقال فلتذهبي اليوم إلى المنزل وتخبري أباك أن (دياسطي) سوف

يتقدم لخطبتك.

فقلت له بسخرية تحمل المزيج من حس الفكاهة: هل توافق بها لأختك أن يتقدم إليها شاب يدعي دياسطي؟

فقال لي بغير ابتسامته المعهودة ولأول مرة: بالطبع لا، سوف تنطقين اسمي الحقيقي (عادل).

ثم جاء لي حينها شعور التعجب الممتزج بالفرح. الشديدة الخفية.

فتوقف لساني على الرد حينها؛ لأني شعرت أنه لا يهزئ ذلك المرة.

حتى جاءت إحدى المشرفين لكي تنجدني من ذلك الموقف وتسألني عن العمل، ولكنه لم يستسلم..

ثم بعد مرور أيام العمل معه فالقسم قد انتهينا من موسم الفراولة ذلك، ثم عدت إلى عملي الأساسي فكنت أقوم بإعداد شيء يحتاج إلى الميزان الحساس، فذهبت إلى إحدى الشيفات وطلبت منه ميزان وكان يعمل معه مساعد ثم ذهب؛ لكي يجلب إلى الميزان ولكنه كان يحاول أن يزعجني ببعض التصرفات التي أنفر منها دائماً كثيرًا خاصًا؛ لأنني لا أفضل سياسة الفكاهة في العمل وقد تحدثت مع الشيف في أنني لا أريده أن يتحدث معي أبدًا.

حتى انتهيت من إعداد ما كنت أفعله بالميزان وذهبت لكي أستعيده للشيف ثم استمر الشاب المساعد في ذلك الهراء مجددًا حتى كاد غضبي أن يثور للغاية في ذلك اللحظة، فقد ركلت الميزان من شدة الغضب (في

قفصه الصدري).

قائلًا: قلت لك أنني لا أحب الهراء وأنت لا تتحدث مع الشاب المساعد هذا، ثم اشتد غضبه أكثر وأكثر وقال لي: وماذا بشأني أنا؟ كيف لك أن تنفعلي على إلى هذا الحد وأنا مثل والدك؟

والآن فلتذهبي ولا تعودي لمطالبة أي شيء مني مرة أخرى.

ذلك الكلمات لم تؤثر في؛ لأنه له كل الحق في ذلك الغضب ولكن كل ما كان يزعجني حينها أنه حقًا ليس بذنب له، فخرجت فورًا ثم قابلت (ليلى) فسألتني ما بك؟، ثم حكيت لها ما حدث وكان (عادل) يسمعنا ثم اتجه بالقدوم إلينا ثم قال لي:

ماذا فعلتي يا فتاة؟ أيجوز أنه كل يوم تفعلين مصيبة كالأخرى؟ حقًا لا أدري ماذا أفعل معك؟

والآن فلتخبريني هيا ماذا حدث بالتفصيل.. حكيت له كل ما حدث وأنا شديدة الندم.

فقال لي بإحدى كلماته المعهودة في شبه ذلك الشؤون: يجب أن تلتزمي السكينة والهدوء إلى حد ما، أعلم جيدًا أنك لا تحبين ذلك الهراء وإن لك قانون العمل عمل وليس به هراء.

ولكن هذه ليست أول مرة فلماذا كل ذلك؟

أيقنت حينها أنه محق للغاية فيما قاله، وشعرت بالندم أكثر وأكثر وقلت له: لا أدري ماذا سأفعل؟

فقال لي: سوف أأتي معك إلى الشيف وسوف تعتذري منه وكيفما سيفعل بك لك أن تتحملي ما سيحدث؛ لأنك مخطئة بجانب أنك معترفة بذلك.

قلت له وأنا في أشد الحزن: بالطبع موافقة.

فجاء معي لذلك الشيف وبدأ أن يتحدث إليه ويقول هذه الفتاة تعتذر منك كثيرًا فهي لا تتعمد ما حدث ولكنها لا تحب الهراء في العمل وتنفر دائمًا من تلك الرجال المهرجون.

ثم نظرت لعادل نظرة ضاحكة، ثم قلت لذلك الشيف: أعتذر منك للغاية حقًّا، أنت مثل والدي وأنا مثل ابنتك والآن ابنتك تريد الاعتذار منك ومن المؤكد أنك لا ترفض لابنتك طلب..

حتى نظر لي نظرة صاغية.

فعلى الفور نظر إليه عادل وقال: ماذا بك أيها الرجل لا تنظر إليها هكذا فبسنت تختص بي

لم تعد تلك الجملة هينة العبور على أذناي.

فقد قال الشيف: ما معنى ذلك الكلام ولماذا تخصك بحق الله ومن أنت إذن؟

فقلت سريعًا (لعادل): من هي التي تختص بك أنا لم أختص أحد أيها الأبله؟

ثم قال لي: فلتذهبي إلى الجحيم أنا مخطئ، فخرج على الفور؛ لأنني سببت له الإحراج.

فقلت لذلك الشيف: من المؤكد أنك لن تستمع له بالطبع هو لا يدري ما يقول على كل حال سأكون في غاية السعادة إذا تأكدت من إنك قد غفرت لي.

فقال: منذ دخولك القسم خاصتي وأنا سامحتك.

فقد اطمئن قلبي وخرجت من القسم، ثم ذهبت للعودة إلى عملي حتى نادت على (ليلى) وعند دخولي قال لي (عادل) غاضبا وضاحكاً في آن واحد: هل تدري يا فتاة؟ لو رأيت في الطريق إحدى النساء يركلوكِ أرضًا أو يعنفون عليكِ فلم يهتز بي شيئًا وسأتركك فليفعلون بك ما يشاؤون.

قلت له: ولكن لماذا؟

قال لي: لأنني قد تدخلت بشأن لا يختص بي من أجلك فقط؛ لأنني أتمنى ألا يفهمك أحدهم بالخطأ وأنتِ ماذا فعلتِ؟ أحرجتيني للغاية وندمتيني على ما فعلت.

قلت له: معذرًا ولكن كلماتك ذلك شعرتني بالتوتر وكأنك خطيبي حقًّا.

فقال لي ضاحكًا: هل يمكنك من الأساس أن تنالي شرف أن تكونين خطيبتي.

قلت له: ومن أنت إذًا لكي تكون خطيبي؟؟

حتى زاد الهراء في نفس ذلك النمط، وانتهى اليوم على ذلك

وأنا لا يحاوطني في ذلك الموسم مع الأيام سواه، لقد زاد حد التعلق وقد التفت بنظري للغاية، لم يعد ذلك الشاب أسمر اللون وطويل القامة ونحيف الجسد!، بل صرت أراه وكأنه أجمل وأجمل، فقد اكتشفت أكثر من شيء به.

أولًا: أنه يحمل الجميع من الملامح الجميلة.

وثانيًا: لديه حس فكاهة يجعل من يتحدث معه يعشق الحديث حقًّا دون مبالغة فالتعبير.

ثالثًا: لديه نظرات وأحاديث تغازل تجعل الطرف الآخر يقع بلا قيام.

وأخيرًا: لديه ابتسامة وضحكة لم أراها في أحد من قبل، كيف ذلك المواصفات تصدر كل ذلك معًا؟

ثم في ذات يوم لا ينسى مثل تلك الأيام التي مرت وأيضًا لا تنسى!

كنت في القسم وكان يعمل بمفره وكالمعهود أنا أقوم بعملي فمقر آخر بداخل ذلك القسم الذي جمعني به وكان آخر يوم لي في ذلك القسم؛ لأني قد انتهيت من مهمتي هناك.

اتجه إلى ووجهه يحمل كل معاني الجمال والبراءة والرقي وقال:

يا بسنت أريد أن أخبرك بشيء في غاية الأهمية ولكنني الآن لا أمزح فلتنصتي إلى جيدًا.

شردت أنا بتلك الكلمات ولا أعلم ماذا أقول أو ماذا سيقول!

حتى قال: أنتِ تروقين لي للغاية يا بسنت، لا أعلم ما الذي حدث لي في تلك الأيام الماضية، فقد أعجبتني فكاهيتك وقد أعجبنى غضبك وثأرك عند الشعور بأن أحدهم يمزح معك!

أعجبت بتلك الفتاة الاستثنائية التي لم أرَ مثلها هنا وليست هي مثل باقي الفتيات الأخريات.

أعجبت بك وأنت تعملين وفي وسط العمل تغنين وكأن العمل ليس له فائدة دون غناكِ.

أعجبت بتلك الشخصيات الكرتونية الشهيرة:

(بسنت ودياسطي).

أعجبت بتلك الوجه الذي عندما يمتلئ ولو بنسبة بسيطة يصبح أجمل وجه قد خلقه الله!...

توقفت عند تلك الكلمات وصرت في شرود دائم دون أي ردة فعل حتى نطقت له وقلت: أنا لا أعلم ما أقول لك يا عادل لم يمر على ذلك الموقف من قبل ولكن فليفعل الله ما يشاء..

ومع مرور الأيام تم الإعداد والتحضير إلى قدوم شهر رمضان

المبارك.

الذى من أجله تقوم الشركة بأكملها بالإعداد على أكمل وجه للكثير من الأعمال والصناعات، وفي ذات يوم كنت أقوم بعمل البيتي فور فذهبت؛ لكي أحضره من مقره للقيام به، فعند خروجي من القسم مسرعًا لتحضير البيتي فور هذا، رأيت (عادل) فاتجهت له فقط بإيماءة ترحيبية بيدي ولكن رد الفعل حينها لم يكنْ فقط مجرد إيماءة متبادلة كمفترض المعهود بل كانت (غمزة مغازلة).

سقطت بي أرضًا!

عندما ألقى على تلك الغمزة ذهبت أنا لإعداد البيتي فور وجلبته من مقره وبعد أن كنت مسرعًا صارت قدماي أثقل من الجبال فكانت لا تستطيع أن تحملني حتى أبطئت الخطوات للغاية رغمًا عني حتى وصلت للمقر أخيرًا بسلام، وحين وجدت البيتي فور أردت أن أذهب به إلى مكان التحضير، فقد اصطدمت في الكثير من المتواجدين في الطابق وأنا ذاهبة، فليس كان في ذهني حينها سوى ذلك الغمزة التي جلبتني أرضًا، وأيضًا عند إعداد ذلك البيتي فور أخطيء بعملي ولأول مرة في العمل منذ خمس سنوات أخطأت به هكذا.

حتى قامت إحدى المشرفين بالثأر على كثيرًا قائلًا: ما بك؟ كيف لك أن تخطئين هكذا ماذا حدث لك اليوم؟

إذا كنتِ متعبة من الصيام فلتستريحي ولكن لا تخربين العمل، ثم اعتزت منها حتى رن هاتفها وذهبت للرد عليه، فتركت من يدي ما

كنت أمسك به، ثم جلست على إحدى المقاعد لأني حقًا كنت أشعر وكان الأرض لا تحملني.

غمزة!

فقط غمزة أعين تفعل بي كل ذلك.

أنا؟

هدير.

التي لا يؤثر بها شيء

التي لا تميل إلى أي نوع من أنواع الدلال ولا الخفة ولا أنا تلك الفتاة التي تهتز من أي كلمة

كل ذلك كانت أسئلة تدور في ذهني، فكيف التفكير في الأسئلة التي ليس لها إجابة، ففي اليوم التالي صارت تلك الغمزة المتغازلة تراودني كل تلك الأيام، فلا يحلو لي يوم دون رؤيته، لا أدري ما الذي حدث لي!

أحببته!

بالطبع لا.

هدير لا تحب فهي فتاة جافة وليست مدللة!

هى فكاهية للغاية ولا تتحدث كلمة واحدة حقيقية، ولكن هل أعجبت به، بالطبع لا فالموضوع أكثر من ذلك؛ لأن هدير لا تعجب بأحد، فماذا يسمى هذا ليست حبًّا وليس إعجابًا فماذا هو؟

لا أعلم.

حتى أنني إلى الآن لا أعلم ما كان ذلك الشعور الذي كان يراودني حينها..

وفي نهاية الأسبوع واليوم الذي يليه الإجازة الرسمية تحدثت معي (ليلى) وقالت لي: عادل يريد التحدث معك والتقرب إليك؛ لكيٍ يتقدم لخطبتك ولكن ثمة شيء يريد أن يخبرك به ويتحدث فيه معك أولًا.

استعجبت من تلك الكلمات حتى قلت لها: لا يجوز أن أتحدث معه خارج العمل وأيضًا لا أدري ماذا يريد أن يقول وماذا أفعل!

ثم وافقت بالرغم من أنني لا أعلم كيف ستكون بداية الحديث..

(الفصل الثاني)
(أعين تصاب)

وفي الثالث من أبريل الساعة السابعة والنصف مساءً:

جاءتني رسالة من إحدى مواقع التواصل الاجتماعي الرسالة التي كانت بداية حياتي التي جعلت مني (بسنت) حقًا ولست هدير..

كان صاحب صورة الموقع الشخصية (عادل).

أجمل الصور الملتقطة له التي مرت على في تاريخ تلك العلاقة، فكانت الاستثنائية لألف سبب وسبب، أقلهم أنها الصورة الأولى التي أراها له، ولأن كان تلك الضحكة التي تروق لي تضيء الهاتف ولست جودة الصورة أو أي شيء هو سبب الإضاءة، ولأنه كان حينها في عيناي أجمل من مر عليّ قرأت عيني، كان محتوى الرسالة (يا بسنت).

لم أستطعْ أن أبوح بشعوري حينها، كنت أحمل كل معاني السعادة الممتزجة بالخجل والاستحياء، توقفت أناملي عن وظيفتها في الكتابة ولم أدرِ ماذا أقول وأيضًا متى قلت ولكنني كتبت مسرعًا (دياسطي).

ثم قال: ما بكِ يا فتاة؟ لقد راودني شعور النسيان في أنني أرسلت إليك هذه الرسالة، فلماذا كل التأخير في الرد؟

قلت له: لقد رأيت الرسالة فقط الآن.

ولكن من أين جلبت رقم الهاتف؟

قال لي: من (ليلى).

قلت له: ولماذا؟

قال لي: لأن هذه الطريقة الوحيدة التي سوف تفتح لي باب الحديث معك.

فليست أنت الفتاة التي إذا طلبته منها ستقبل، ولا أنا الشخص التي يلقى بذاته في موقف هكذا وبالأخص أنني أعلم أنك ستثوري عليّ كعادتك وترفضين.

طال الحديث مع بعض الهراء وألذ الكلمات والجمل، كان شعوري حينها لا يمكن أن أبوح به، ولكن يمكن أن يقال عليه شعور أولى، ثم قال أريد أن أتحدث معك في الأمور الحياتية بجدية، تتحدثين عن ذاتك وأتحدث عن ذاتي.

أريد أن أعرف عنك كل شيء يا (هدير)، أريد أن أعرف ما السر وراء ذلك الشخصية الفضولية للغاية.

ثم قلت: وأنا أيضًا أريد أن أعرف عنك كل شيء، تحدث بعض الشيء عن ذاته، أفراد عائلته، علاقاته ببعض الناس، شخصيته إلى حد ما، ولكنني كنت أعلم أن ذلك الشخصية هي التي كنت أتحدث معها بغير الهاتف، ولكن ليتها استمرت على تلك النمط!

وفي منتصف ذلك الأحاديث وفجأة دون أي مقابل أطلق عليّ اسم بسنتاية بدل من بسنت، ولكن كيف؟

هل أنا أحتمل تلك بسنت التي تأخد من عقلي لكي أحتمل بسنتاية؟

وقال لي: هل تدري أن رقم هاتفك هذا مسجل لدي باسم (بسنت) ولست هدير.

قلت له أنا أيضًا سجلتك (دياسطى) ولست عادل، وكأن الأسامي الحقيقية لم يعدْ لها أي وجود، ووالدانا اللذان أرهكهم التفكير في اختيار الاسم منذ نعومة أظافرنا ليس لتفكيرهم وجود وقد قمنا نحن باختيار أسماء أخرى تروق لنا، ثم زادت الأحاديث هكذا، حتى تم التبديل من يكتب إلى يسجل مقطع صوتي في الشريط الأعلى بتلك الدردشة، ومرور الدقائق تشبعت بالساعات..

حتى استلمت المقطع الصوتي ذلك، وكان يقول فيه: هل تعلمي؟ بالرغم من أن أول الحديث بيننا كان فقط منذ البارحة ولكنني أحببت الحديث معك للغاية، أحببت تلك الطريقة، أحببت الأسلوب الذي لا يستطيع التعبير عن ما يقوله، وللعلم فهذه ميزة ولست عيب فهي تدل على براءة المتحدث وتلقائيته المحبوبة من بضع الأشخاص وليس جميعهم!، ولكن لا يوجد خلاف فأنا أتفهمك يا (بسنتاية).

وأريد أن أخبرك بشيء ولك أن تعتبرين ذلك نصيحة، هذا الزمن يا فتاة أصبح يدل على شيئين ليس لهم اختيار آخر، إما أن تكون فيه العلاقات جادة حقًّا والرجل لا يريد أن يمس من معه بشي، إما أن

تكون فيه العلاقة لا تدل على شيء سوى الوصمة ولكنني لا أتحدث عن ذاتي في تلك المواقف حتى لا تعتقدين أنني لا أتصارح، ولكن أريد أن تتفهمين الأمر وتستمعين إلي جيدًا، فعزة النفس عند الله لها كل القيمة والتقدير، وممارسة الرفاهيات والأشياء البذيئة لا تعنينني ك(عادل)، ويمكن أن أفعل كل ما يخطر بذهنك، ولكني ليس ذلك الشخص، ولا يمكنني أن أكون من يقل بذاته ولا بها عزة النفس، ولا أفضل القيام بأكثر من علاقة في آن واحد، وعلى حد علمي أنتِ قد رأيتي ذلك بنفسك كل تلك المدة، فلا تعنيني من تحاول الالتفات بنظري فمن تعجبني وتروق لي وتلفت نظري تصبح نسبًا لي سيدتهم بل جميعم..

ومن يعنيني فقط هو أنني على من أنظر أنا ومن تلفت بنظري وتروق لي وليست من أروق أنا لها، ولكن يوجد من ذلك الكثير..

مثل ما أنتِ من كل الاحتمالات والمؤكد أن تروقي لأشخاص، أحدهم من يريد التعرف عليك، وأحدهم من يريد القضاء معك ليومين، وأحدهم يريد أن يتقدم لخطبتك، ولكن.

هل معنى ذلك أنه شيء استثنائي؟

بالطبع لا، ولكننا بشر وجميعنا يحدث معنا ما يحدث لغيرنا وذلك هو والمعهود..

ولذلك عندما قد قررت اختيارى لم ألجأ لتلك الطرق، فعند تواجدي للفتاة التي يروق لها عقلي وتنتسب إليّ وها هي من تتفوق علي وهي

الاستقرار فمن تلقاء نفسي سأفعل كل ما بوسعي؛ لكي تكون معي..

فقد سمعت ذلك المقطع الصوتي وأنا كل أذناي صاغية، تنشط عقلي جيدًا حينها وقد فهمت ماذا يقول حقًا..

حتى سألته: يا (عادل) ولماذا أنا؟

فقال لي بمقطع صوتي آخر: لأنني وجدت بك هذه الفتاة التي لا تهتز من أي شيء، ليست الفتاة المدللة التي تسمح بأي نظرة من شاب أو كلمة خارج العمل، الفتاة الوحيدة من عملت في الشركة التي رأيت بها العرق الفردي، الوحيدة التي رأيتها أنه من مبدأها قانون أن العمل عمل وبذلك الطريقة أنتِ الملكة وجميعهم جواريكِ، نظرت إلى قلبك قبل عيناكِ الجميلتين، ونظرت إلى لمن تنسبي قبل من تكوني، ونظرت إلى شخصيتك القوية في التعامل مع الآخرين قبل أن أميل لرؤية البراءة والرئة التي تروق للبعض، فعن ذاتي أنا لا أميل لتلك المنظورات؛ لأنه عمرها قصير للغاية، ولكن أنتِ كل ما بكِ طويل العمر وطال عمرك يا عزيزتي، ثم أنني يلفت نظري ما يلفت نظرَ الآخرين، ويجزبني ويوقفني من يعتقده البعض عابر، ومن فعلتيه أنتِ في الأيام الماضية فهو التي التفت بنظري للغاية، ولست أنا الشخص الذي يميل لتلك المظاهر أنا أبحث فقد عن ما بالداخل مثل ما تحدث إليك من قبل، ولكن يا (بسنتاية).

أنتِ جميلة في كل الأحوال وبكافة جميع الطرق.

وأسلوبك في من ترتديه يروق لي للغاية حتى الذي العملي يروق

لي بك، ومن ترتديه في العام من الأساس، فمن الأبله الذي لا تروقين له، فأنا المحظوظ الوحيد بين كل ما قد خلقهم الله من ذكور؛ لأنني قد حصلت على تلك الجمال الممتزج بكل شيء والشامل المكتم..

ثم توقفت! ولست عمدًا عن تلك الكلمات وكالمعهود لم أدرِ ماذا أقول، ولكن اكتفيت ببعض الكلمات الليست معبرة للغاية ثم قَلت: أعزك الله وأكرمك!

فقال لي: أنا حقًا أريد أن أتقدم لخطبتك، ولكنني أريد أن أمهد لكي أمر ما ببالي، أنتِ حقًا تمنى لأي شخص يكفي أنك تبقين في أي منزل أمنة مستآمنة وهذا ما يريده أي رجل، ولكن يا (هدير) ما حدث لي من قبل لا أريده أن يكرر ويعاد مرة أخرى، استعجبت من تلك الكلمات، ماذا يقصد؟

فقلت: لا وماذا حدث معك من قبل؟

قال لي: سوف أحكي لك كل ما حدث لي ولكن ليس الآن؛ لأنك تروقين لي الآن للغاية وأريد أن أتحدث معك فيما لا يزعج كلانا ولا أريد أن ألقي غضبي وثأري فالتفكير فيما حدث، فستتركينني الآن أتحدث إليك بكل حب فلا وقت ولا داعي لإزعاج ذلك الأحاديث.

ثم قال لي: ولكن فلتأتي هنا؟

كيف لك أن تسرقين عقلي وقلبي بتلك الإيماءات الترحيبية التي كنتِ تلقيها عليّ.

قلت له: أي طريقة هذه؟ أتسمى ذلك طريقة؟

بل الغمزة المغازلة التي جلبتني أرضًا ماذا تسمى؟

أنت لا تعلم ماذا حدث!

هل تعتقد أنني عندما ألقيت التحية عليك حينها فقد مر ذلك الموقف كالمعتاد وكأنه لم يحدثْ شيء؟

فقال لي: فلتحكي ماذا حدث؟

حكيت له عن كل ما حدث يومها وعن موقفي.

قال لي وأصوات الفرح تملئ إحدى المقاطع الصوتية: حماك الله وحفظك يا (بسنت) أريد أن أخبرك بشيء، أنت الوحيدة التي نالت ربح ذلك التلقائية والطبيعة المعتادة لي، فلا أنا قد تقمصت عليك شخصية ولا استطعت أن أمالك ذاتي عنك أينما انتابتني المحاولة، وأنك أيضًا مثال جمال قد راق بي، فمن المؤكد يا فتاة أنني إذا نظرت لك لا أملك حينها سوى ابتسامة أحاول بها أن تجعلك تشعرين بماذا أريد أن أقول لأنني حين أنظر إليك يعجز فمي عن التفوه بالكلام معك، انظر لوجهك ترتسم الضحكة على وجهي من تلقاء نفسي، انظر لعيناك ترتسم الضحكة على وجهي من تلقاء قلبي أيضًا، ليس بعمد يا (ست البنات).

أدقق في تلك الملامح اكتشف أنها جميلة وكأنني أراها لأول مرة، ثم إن النظر إليكِ بالقرب يسبقه عن بعد ببلاد يا فتاة

تذكرين اليوم الذي غازلتك فيه عندما وجدت وجهك ممتلئ نسبيًّا؟

حينها شعرت وكأنني لم أراك من قبل نظرت إليك وكنت تتحدثين ولكنني لم أدرِ ماذا قلنا فكل ما كان في ذهني حينها أنك منذ أيام كنتِ وكأنك بوجه آخر.

فهل لك أن تستطيعين أن تروقي بكل ما ينظر إليك هكذا، وتستطيعين أيضًا تكوني بتلك الجمال فقد في أيام معدودة؟

فعندما أردت أن أتحدث أخيرًا صرت أسول لك هل وجهك به شيء الآن؟

هل امتلأ بضعة ما؟

لأن انتابني حينها الخجل في أن أتحدث إليك بما في قلبي ولكنني أردت أن ألقيه في بعض الكلمات..

وأتذكر أيضًا عندما كنتِ ذاهبة لإحضار البيتي فور، حينها كنت أراك وأنتِ تعملين وانتظرت أن تنهي ما بيدك لكي تذهبي لإعداد البيتي فور، ومن قبلها فقط بلحظات، كنتِ بمقرك ونظرت إلى فمك وكان يتحرك، كل ما حولك كانوا يعملون تحت قيادتك نظرت حولك لكي يرى مع من تتحدثين، ولكنني عرفت أنك تغنين فقط من حركاتك ووجهك هذا، وكأن غناكِ هذا هو يدك وقدماكِ وكل شيء تستطيعين أن تعملي به وليس عمل بدونها، حقًا وليس فائدة للعمل دون غناكِ، فأطال نظري حتى ذهبت أنتِ إلى إعداد البيتي فور، فألقيت عليكِ

تلك الغمزة لكي أغازلك!

ف(دياسطي) ليس له وجود دون (بسنت)..

تدري يا فتاة؟

أنا أعشق تلك الترحيبات التي تقيميها على في صبيحة كل يوم، لا يحلو يومي دونها، لا أريد أن أعمل دون ترحيباتك المعهودة ولأنني أحب أن ألقى سلامات إليك، أكثر من فتاة يراودها تلك الشعور وهو أن تلقى على الترحيبات؛ لأن بعضهم يعرفني من قبل حين اتوجدت في الشركة سابقًا، ولكنني لا أريد ذلك الشيء مطلقًا؛ لأنني لا أحب أن يتفهمني أحدهم مخطئًا، والسبب الأول والأخير والوحيد أنه من تشاركك في ليست بمخلوقة، ولا في نفسي ولا في سلامي حتى، ومن يلقى التحية على دياسطي هي بسنت فقط، ولكن هيا فلتخبريني: متى ستذهبين لشراء العباء؟

ومن هنا، ومنذ أول كلمة ثقبت قلبي ومريت على أذناي، وأنا ألقى برسائله في المفضلة التابعة للبرنامج الذي جمع أحاديثنا..

ثم استمرت ذلك الأحاديث حتى الساعة الثامنة صباحًا، ثلاث عشرة ساعة، ماذا قلنا في تلك كل هذه المدة، لماذا يشبه الأمر وكأنني أعرفه منذ ثلاثة عشر عامًا وليس ثلاثة عشرة ساعة، لماذا طالت المدة هكذا؟

ماذا قلنا؟

كيف للوقت أن يسرقني هكذا وأشعر وكأنني أتحدث معه منذ ثواني فقط وأتمنى ولو يطول الوقت أكثر وأكثر..

كانت المحادثة ذلك اليوم هي أكبر صندوق إلكتروني في كل تلك الأيام التي قد تحدثت معه فيها على موقع التواصل الاجتماعي.

وقد ربح اليوم الأول من تعارفنا في أن يكون أكبر صندوق إلكتروني، فكانت الرسائل تتخطى أكثر من ٥ آلاف رسالة في تلك الثالثة عشرة ساعة فقط، فبعد بضع دقائق لم يخطرْ في ذهني سوى تلك الكلمات المسكونة في عقلي في التفكير فقد استكفيت أن أرسل ملصق؛ لأن تلك الكلمات لا يقف أمامها أي كلام أبدًااا، وحقًا لم يكذب قلبي خبرًا، فشعرت بالفعل أنني ولأول مرة لست هدير، فالاسم التي أطلقه عليّ ليس مجرد اسم، فهو شخصية أخرى، هدير تضاد بسنت في كل شيء، هدير فتاة عنيدة، ذات الصوت المرتفع المزعج والكلمات المتفوهة وهي المتسلطة الوحيدة على عقلها ولا يوجد حتى الآن من يفوق عليها متسلطًا، ولا وجود للمرء الذي يمكن أن يأمرها أو يجعلها تتحدث حاضر وأمرك مطاع، فهي حقًا عنيدة للغاية ولا تقبل أي نوع من أنواع التحكم والمؤامرة، ولكنها أصبحت (بسنت) الشخصية التى تكونت حديثًا، لا أعرف ماذا أفعل؟!، ولكن كل ما كنت أعلم به حينها أنني سوف أصبح ما يريد أن تكون أنا؛ لأنني شعرت ولأول مرة في حياتي معه بأنه يعرفني جيدًا بجانب كل تلك المواقف التي شاهدها معي فهو يعرفني داخليًّا جيدًا، ويدري أنني أتقمص تلك الشخصيات فقط

للتعامل مع الآخرين، فهي الطريقة الوحيدة التي تناسبني، فقد أفشى السر الذي اخبائته عن الجميع..

ثم في نهاية تلك الثالثة عشرة ساعة كادت الهواتف أن تتعطل، ولذلك فقد اتفقنا على أن كل منا يذهب إلى النوم الآن..

والآن!.. (بسنت ودياسطي).

أصبح ذلك اللقب والاسم المركب ليست مجرد اسم أو شخصيات كرتونية فحسب، ومتواجد منهم في الحقيقة ووسط عامة الناس، كان شهر رمضان المبارك هذه السنة استثنائي للغاية، أوله هو وآخره هو، أول اليوم ترحيباته المتاحة أمام الجميع كالمعتاد، وفي الفطور الصيامي دعوتنا المتبادلة في كل منا أن يبقا للتاني خيرًا وإن الله يبارك ذلك العلاقة، وفي نهاية اليوم بمساءه أيضًا هو، هو فقط.

فمن ذلك الذي يستحق أن أذهب إلى النوم من بعد الحديث معه سواه، فتلك كلماته تجعلني لا أريد أن أحلم، فهي بتلقائها وحدها حلم..

حتى كاد كل يوم يخلتس بنظراته إلى، يبحث عني بعيناه، وعندما لا يدري أين أنا يتصل بي ويسول إليّ: أين أنتِ ولماذا لا أراكِ؟

فحد الاشتياق والتعلق من اتجاهه كاد أن يزداد للغاية ولكن..

هذه هي البدايات المعهودة، ويوم تلو الآخر أصبح (عادل) كل ما لدي، فالإيماءات أصبحت نظرات أعين تحمل كل معاني العشق

واستكفينا بالنظر فقط حتى لا نلفت الأنظار؛ لأنه أصبح كل منا عشقه يبدو على ملامح وجهه.

ثم بعد ذلك كادوا البعض أن يختلسوا نظراتهم بنا، فكنت في العمل واستخبرت من (عادل) أن والدته متعبة للغاية، فقد تحدثت إليها في الهاتف لكي أطمئن عليها وكنت في ذلك الوقت في المصعد لم يسمعني أحد ولا يراني أحد، كنت بمفردي..

وعندما ذهبت إلى المنزل من بعد العمل تحدث معي (عادل) في الهاتف وكان غاضبًا للغاية وكان ثأره مشدود.

وقال لي: من أين استخبرت (ليلى) أن والدتي متعبة!

قلت له: لا أعرف ولكن كيف ذلك وكيف علمت من الأساس؟

قال لي: أنا أسول لك يا هانم.

قلت له: وأنا لا أعلم، وماذا بشأني من الأساس؟

بينما قد سمعتني وأنا أتحدث إليها.

ولكن! عندما تحدثت إليها كنت في المصعد بمفردي ولم يكن معي أحد أبدًا.

قال لي: إذا كيف عرفت، من المؤكد أنك استخبرتيها.

قلت له: لم أخبرها.

وكيف أخبرها من الأساس هى ما بشأنها إذا كانت والدتك متعبة

أم لا؟

قال لي: ما يحدث لا يحلو لي، حقًّا قد سئمت من كل ذلك.

كل ما يحدث بحياتنا يعرفونه الناس بقيادتك أنت فقط.

فهل تعلمين؟ أنا لم أخبرك بشيء مرة أخرى.

قلت له: كيف ذلك؟

قال لي: نعم، لم أخبرك بشيء، ثم غلق الهاتف بوجهي، ثم بعد عدة ساعات أرسلت له رسالة عبر الإنترنت وقلت فيها: أستحلفك بالله أنني لم أخبرها أبدًا.

ولم أخبر أحد من الأساس لماذا سأخبرها؟

لا تحملني ذنب يزعجك كما يزعجني، أنت تظلمني للغاية دائمًا في كل مرة، وكيف جروئت على أن تخبرني أنه لم تعد تتحدث معي في شيء مرة أخرى، سوف تعطيني فرصة أخرى.

لا تفعل هكذا ومن المفترض أن تصدقني سوف، يأتي اليوم الذي تعلم فيه أنني لم أخبرها بالله.

....

ثم عند رؤية تلك الرسالة تحدث معي في الهاتف وقال: أنا أحبك ولم يروق لي أبدًا أن أغضبك أو أحزنك مني يا حبيبتي ولكن الأمر فقد قد أزعجني وبالله عليك لا تخبريني مرة أخرى بما تفوهت به ذلك، لا

تقوليلي أعطيني فرصة أخرى، لا أريد أن تقللي من ذاتك لي ولا لأي من الأسباب، أنت فوق الجميع دائمًا حتى أمامي، فلا تقولي ذلك مرة أخرى يا حبيبتي..

وقد انتهى الأمر على ذلك وقد مرء، ولكن، علمت حينها أن ليلى هذه سيئة للغاية وكأنني قد اتخذت فيها درسًا وأنا لم أعلم أنها هكذا حقًا، ومن بعد أن كانوا يتحدثون من حين لآخر يلقون ترحيبات السلام، جعلته لا يتحدث معها أبدًاا، وفي يوم أخر أراد (عادل) شراء حذاء فقد أرسل لي بعض الصور لأكثر من حذاء ليشتري أجملهم واختياري، وفي نهاية اليوم ثار بغضبه على وقال لي: كيف عرف بعض القوم أنني أستعين برأيك في ملابسي؟

قلت له: وثأري وغضبي تفوقان عليه في التمرد وقد خرجت عن إرادتي: ماذا تقول هل جننت؟

وأنا ما أدراني بما حدث.

قال لي: وكيف عرفوا؟

قلت له: بالطبع لا أدري.

يبدو أنك قد نسيت أنه من اليوم الذي عرف بعضهم بعلاقتنا وكل الأنظار من حولنا تختلس بنا؟

وكان ذلك أول خلاف يحدث بيننا، ولكنه لم يستمر لساعات، فجأة لكي يراضيني.

فقلت له: لك أن تعلم جيدًا أنه يوجد الكثير هنا لا يحبوك ولا يحبونني!

فبالطبع لا يريدون فكرة التقرب لنا.

ويجب أن تعلم أنه ذلك المعتاد لذلك البشر المتواجدة معنا هنا وهناك..

وفي ذات يوم كنت أتحدث معه فالهاتف في العمل وقد رأتني إحدى زميلتي وأصرت أن تعرف مع من أتحدث وانتابها الفضول فمن تتحدث هدير بتلك الشرود؟

حتى رأتنا المشرفة الخاصة بالفتيات في الشركة والتي اعتبرها والدتي حقًّا.

وقالت لها: فلتنظري إلى ابنتك مع من تتحدث؟

قالت لها المشرفة: ليس بشأن لك ويا ليتك تعودي إلى عملك.

فقد انتهيت بالكلام مع (عادل).

ثم أتت لي المشرفة.

وقالت لي: مع من تتحدثين؟

فقلت لها: سوف أخبرك يا أمي.

وعند ذهابي إلى المنزل حكيت لـ(عادل) ما حدث وقال لي: فلتفعلي ما أخبرك به فلتذهبي غدًا للشركة وتخبري مشرفتك تلك بما بيننا لكي

تكون على علم أنني سأتقدم لخطبيتك في القريب العاجل، وتجعلي هذه الفتاة تندم على ما فعلت، ولا تحزنى يا (حبيبتي)!، وها أنتِ قد اكتشفتِ من هم كارهين الخير؛ لكي وهي أول من ظهرت.

فقلت له: ولكن لماذا كل هذا؟

فقد استمعت كثيرًا عن غيرة بعضهم من بعض، ولكن يغارون على أشياء ليست من حقهم؟

يتدخلون في ما لا يعنيهم؟

وما الفائدة وما شأنهم؟

فقال لي: حفظك الله يا عزيزتي لا أريد أن تنزعجي فما حدث قد حدث ولكن الفعلي ما قلت لك إياه، وكنت في شرود ذهني أسول بمئة سؤال، هل ذلك العلاقة هى المرآة التى يترائى أمامي بها كل ما كان مخبى؟

هل يغارون فقط؛ لأنه قد اختارني وقد اخترته؟

ولكن!!

يا ليتني كنت أعلم أنني سوف أندم على موافقة ذلك الاختيار فوالله وبالله لكنت أبيت بشدة وأنا على أتم موافقة الرفض..!

وفي اليوم التالي لم أكذب له خبرة حقًا وكالمعهود سمعت بحديثه ذلك، حتى أنني في الطبيعة هكذا أينما كان خطأ أو صواب، فحديث(عادل)

يعني لي سيف على العنق، فقد ذهبت إلى المشرفة الخاصة بنا وقلت لها على علاقتي به.

وقالت لي:

لقد أسعدتيني للغاية فهو في غاية الاحترام ويناسبك للغاية في كل شيء أسعدك الله وأسعده يا ابنتي وأقوم بإحضار حفل زفافك عن قريب يا حبيبتي، تلك الكلمات أحببتها للغاية، وأحببت أكثر أنها قد ذكرته بالخير أمامي وقالت تلك الكلمات.

وعند صعودي أنا وهي إلى الطابق الأعلى رأيت (عادل) أمام مكتب مدير الإنتاج وكانت المشرفة تريد أن تتحدث مع مدير الإنتاج في أمر ما، وقد تحدثنا نحن أيضًا ولكن بأعيننا والابتسامات المعهودة والكلام المضاف إليه الجمال بأكمله..

واستمرت تلك المواقف حينها أدركت من أحبتي ومن تتصنع وتتعمد اقتماص ذلك، فحقًا ذلك العلاقة كادت أن تعلمني ما لا تعلمته في سنين حياتي الماضية.

والخبرة التي لم أكتسبها منذ تعييني بهذه الشركة قد تعلمتها فقد بها فلم تكنْ خبرة العمل كافية يجب أن تدري كيف تتعامل مع كل البعض..

وفي ذات يوم كنت في القسم الذي جمعني به هذا وكانت متواجده بداخله (نجلاء)، صديقتي التي تعارفت بها منذ دخولي ذلك الشركة،

فكان (عادل) بالقسم ورأيته يلقى التحية على تلك الفتاة وحاولت بقدر إمكانى إلا أظهر الغيرة، فقد تحدثت معه عند ذهابي إلى المنزل في ما حدث وأنه ألقى عليها الترحيب.

وقال لي: ذلك الفتاة كنت أعرفها منذ دخولي الشركة وتعرفت إليها وتقاربنا ولكن كل ما في الأمر أن كل ذلك كان منذ الصغر وقد حكى لي ما فعلته تلك الفتاة ماضيًا وإن ذلك العلاقة كانت مضحكة للغاية؛ لأن أولًا وأخيرًا كانت هي لا تتجاوز الرابع عشر وهو لا يتجاوز السابع عشر عامًا فضحكت كثيرًا على كل تلك المواقف ومن بعد ما كنت قد كادت غيرتي تنفطر صرت أشعر وكأنه يحكي لي عن ابنة أخته بالمثال!

وفي ذات يوم كنت أعمل أنا و(نجلاء) في مكان واحد لإعداد التعبئة، ثم تفاجئت أنها تقول لي ودون أي مقدمات:

اعتقدت أنني سأكون أول من يعلمون بالعلاقة، فلماذا اخبأتي ذلك، هل لانكِ تعتقدين أنه لم يعرف أحد شيء أو أنك تخشين الحسد؟!

تعجبت للغاية من تلك الكلمات، وقلت لها:

حسد؟

أي حسد؟

عن ما تتحدثين؟

أنا فقط أردت أنا أخبر الجميع عند حدوث شيء رسمي.

قالت لي: حسنًا ولكن!

هل حكى لكي ما كان بيننا من قبل وأنني كنت أعرفه ماضيًا.

قلت لها ضاحكًا: بالطبع لقد أخبرني بكل ما حدث منك في الماضي وبما كنتِ تفعلينه بينما لا تتخيلي موقفي حينها عندما حكى لي تلك العلاقة، ثم ابتسمت ابتسامة متصنعة وفاض الكيد والغضب من وجهها وهي تحمل ابتسامة مزيفة، وكادت حينها أن تريد لو يا ليت الأرض تنثقب وتنشق وتبتلعها، وكالمعهود حكيت ما حدث لـ(عادل)، ولكنني لم أخبره أنها سألتني عن علاقتها به ماضيًّا ولا أخبرته أنني استطعت جيدًا أن أفوق عليها بردة فعلي، لم أقل لأنه ليس بشأنه أمور السيدات هذه، وأيضًا؛ لأنه ليس من المهم أن يعرف، وفي اليوم التالي وعند ذهابه إلى المنزل اتصل بي وقال لي وكان غضبه يشتد وصوته مرتفع للغاية: ماذا دار بينك وبين (نجلاء) بالضبط البارحة.

قلت له: ما حدث قد أخبرتك به.

قال لي: بل أنتِ تكذبين.

قلت له: يمكن لك أن تخفض صوتك قليلًا ومنذ متى من الأساس وأنت تكذبني؟!

قال لي منفعلًا أكثر وأكثر: منذ اللحظة التي علمت فيها أنك كاذبة حقًّا.

منذ أن جعلتيني شخص تافة، منذ أن تحدثتي فيما أخبرتك به مع

صاحبة الشأن، لقد جعلتي مني شخص أشبه بالغلام الصغير الذي يمرئ هنا وهناك يتفوه بالأحاديث دون وعي، فأنا تهتز لي الشوارب وبفضلك أنتي أصبحت بالفعل طفل صغير.

قلت له: أنا؟ لماذا تقول ذلك لي أنا؟

أنت لو تعلم ماذا تعني لي لم تكنْ تتحدث هكذا أبدًا.

قال لي بكلماته العاتبة: لو أعني لك الكثير حقًّا ما كنتِ فعلتِ ما فعلتينه بالأمس.

قلت له: وماذا كنت تريد أن تكون ردة فعلي؟

تأتي فتاة تحاول أن تزعجني بأسلوبها المعتاد الذي لا يشرفني أن أتحدث به، وكلماتها التي جعلتني لا أعلم ماذا أقول

وفوق كل هذا تأتي وتقول لي وعيناها يتجهون يمين ويسار وأعلى وأسفل، وترتفع بحاجباها لي وتقول: هل حكى لك ما كان بيننا؟!

ماذا تريد مني أن أقول حينها؟

قررت أن أفوق عليها بردة فعلي؛ لأنه من كل حقي.

قال لي: أمور السيدات البلهاء هذا لا تعنيني ولا أريد أن أعرف عنها شيء.

لم أنتظر استكمال كلماته..

قاطعته فالحديث وقلت له غاضبةٍ: ذلك هو السبب الذي جعلني لا

أخبرك بما حدث، أنك لا تحب أمور السيدات...

قال لي: بالفعل لا تعنيني.

من يعنيني الآن هو منظور كل البعض لي، هل تعلمي أنها تحدثت في الأمر مع صديقى وأخبرته بعلاقتنا وبما حكيته لكي وقد جائني ليعاتبني في الأمر وأنني مخطئًا، ولكنني لا أدري ما هو المفترض في موقف هكذا، ولكن فعلت ذلك لتربح من جهة أخرى، وهي أن تخبره لكي يعاتبني أنني لم أحكِ له والسبب الآخر؛ لأنها تعلم أن طالما هي أدركت وصديقي هذا، فكل البعض سيعملون ويكون الحديث عنا مثيرًا للجدل، مع العلم أنه لا يهمني؛ لأنني سأتقدم لخطبيتك، ولكن لماذا التفوهات والأحاديث، لماذا؟

قلت له: وما شأني بالتفوهات والأحاديث.

أنا فعلت ما يرضيني في حق ذاتي وحقك، وأدركت جيدًا أن أجعلها لا تستطيع النظر إليّ أبدًا، وأنه عندما تخبرني عن علاقاتك سابقًا فهذا حقي..

توقف حينها بالرد ولا يدري ما يقول لي؟

حتى قلت له: إلى هنا ويكفي الحديث أريد أن أذهب للعمل الآن، إلى اللقاء، ولأول مرة يراودني شعور الحزن الشديد، هو لم ينفعل على ذلك من قبل وكل هذا؛ لأن (نجلاء) أخبرته وكأنها تعاتبه ولكنها تدري جيدًا ماذا تفعل؟، ثم صار يتصل بي كثيرًا وأنا لا أرد على الهاتف، لن

أستطيع أن أنسى تلك الكلمات وخاصًا كلمة (كاذبة)، ولكنه لم يستمر في حزني ولا يقبل به لساعات، فقد شعر بالندم وإن ما قاله ليس بي وليس بشأني ما حدث، حتى أرسل لي رسالة محتواها: لك كل الحق عندي يا (بسنتاية قلبي).

أعتذر منك للغاية وأتمنى لو هذا القلب الجميل يتكرم ويسامحني، أعلم جيدًا أنني تحدثت بكل خطأ وبما لا يمكن قوله لك أنتِ خصيصًا، ولكن فلتعتبرين ما حدث له فائدة في أن كل منا يعلم كيف يكون الآخر عند غضبه، ولكنني أعتذر لك مرة أخرى ومئة وليست أخيرًا حتى تسامحيني، فقد كاد عقلي أن ينفطر وانتابتني الغيرة النارية عندما وجدت ذلك الشاب صديقي يتحدث معي عنك وينطق باسمك على ألسنته وكأنه يعاتبني وأنا أعلم ماذا يريد قوله، أنتِ دائمًا ملكة ولا يجوز أن تزعجك أحدهم من تلك الجواري، فقيمتك لدي من أعلى المراتب، وبالله لن تأتي من تنتصر عليك ولا يمكنني أبدًاا أن انصر عليك أي امرأة قد خلقها الله، ليس لى سواكِ لكي أغار عليها، ومن ذلك الموقف وما حدث أعدك أنني سوف أخزلَ كل هؤلاء اللذين تراهنوا على عدم استكمال علاقتنا، وسأجعل كل منهم يكاد عقله أن ينفرط من الحزن.

أبقاك الله وحماك لى دائمًا وأدعو الله أن يبتعد عنا الأعين ويديمك من نعمة على التي لا تحصو يا (ست البنات)..

شاهدت تلك الرسالة وكأنها ترنيمة تؤدي أمام عيني، وكأنني أراه وهو يرويها على وشعرت وكأنني أشاهد ملامحه ووجهه حينها، ولكنني

قد سامحته كالمعهود، وكمعهود كل ما فعله بي من بعد ذلك....

وفي وقت ما شعرت وكأنه يحدث معه شيء ولم يخبرني به، في أول يوم من ذاك الوقت صار يقول دائماً لي:

سأخبرك لاحقًا، ولكن لاحقًا لم تأتِ، وكان حينها لم أراه هكذا من قبل، حتى أنه بغير عادته معي ومع ذاته وفي العمل وأنا لم أدرِ ماذا حدث أو ما به.

(الفصل الثالث)

(لقاء مجرد)

ذات يوم وأنا في العمل كنت مع أصدقائي وأنا عائدة للمنزل شعرت أن الأمر قد زاد حده، وقد زاد القلق عليّ (عادل).

بجانب أنني قد أحببته حقًّا، أي صرت أشعر به في أي وقت، وفي ذلك اليوم أردت أن أتحدث معه ولكنني لا أعلم كيف.

ثم تحدثت معه بالهاتف وقلت له: ينتابني القلق عليك ثم أنك تخبرني دائمًا أنك ستحكي لي ما بك وماذا يحدث وأنت لا تخبرني، دائمًا تقول لاحقًا ولاحقًا ذلك لا يأتي أبدًا.

فقال لي: ثمة شيء يحدث مع (نجلاء) ومع إحدى الرجال بالشركة ومع أخته أيضًا.

قلت له: وماذا حدث؟

قال لي: (كارم) و(نجلاء) حدثت بينهم علاقة لا ترضى الله ودينه وتشبه الوصمة وتشين لكل الأشياء التي تشين لأي فتاة.

قلت له: ماذا تقول؟ (نجلاء) على وشك أن تتزوج.

قال لي: أي نعم هذا صحيح ولكنها تقيم معه علاقة ثم إن (كارم)

أراد ابتزازها بذلك الأشياء البذيئة والصور ومقاطع الفديو المشينة في تلك العلاقة الفاحشة.

وقال لها: إن لم تحضري لي مالًا سوف أخبر زوجك المغفل هذا بكل شيء؟؟

ثم تحدثت معي في الهاتف وطلبت منى أن أعطيها المبلغ المطلوب وقد أخبرتني بما حدث جيدًا ثم أعطيتها إياهم دون أية مقابل؛ لأنني قد رأيت إخوتى بها.

واعتبرت أن ذلك جزاء وثواب لله، كنت في حالة الشرود التي جعلتني صامتة، (كارم) هذا أصغر منها عمرًا، حتى أنها أخبرتني كثيرًا أنهم مجرد أصدقاء، كيف حدث ذلك..

قلت له: لك أن تنهي ذلك الموضوع الآن فلم يطمئن قلبي ماذا بك أنت وبهؤلاء البشر الذي لم يأتِ من خلفهم سوى الابتلائات فقط ..

ولكنه لم يستمعْ لي وكان كل ما يعنيه حينها أنه لدي إخوة فتيات وقد ألقى بأخته محلها!

ثم بعد ذلك أردت أن أتحدث مع والدتي وأختي الكبرى في الأمر وأخبرها بعلاقتى بـ(عادل)، فقد قررت أن أتحدث معهن وكالمعهود بعلم (عادل)، ولكن!

كان ردة فعل أمي: فلبتبتعدي عنه، فالمكان الذي تعملين به لا يرون فتيات سوى التي يعملون معهم، ولذلك هم يمتلئون وقت فراغهم

بذلك، وابنتي بالطبع لست من تلك الفتيات أليس كذلك يا (هدير)، حتى وافقتها أختي (فيروز) فالرأي ثم قالت لي أمي مرة ثانية: فلتبتعدي عنه إذا وإلا سوف أقوم أنا بما أريد أن أفعله ولتتركي الأمر لي..

وعندما أخبرته بما حدث وبأنني تحدثت إليهما.

قال لي: أنا حقًا أحبك ولن أتركك مهما حدث وأينما كان الأمر..

ومن المتوقع للغاية رد الفعل هذا؛ لأنها لا تعلم من أنا ومن أكون وكيف وإلى أي حد أحبك!، وإذا كنتِ تريدي أن أتحدث معها وأخبرها بأنني أحبك فليس لدي أي مانع وأنا على أتم الاستعداد بأن أتفوه بذلك أمام والدك ذاته، ولكن يا هدير أنا قد حدثت معي أمور لا يحتملها أحد، كنت مقصر في حق كل من حولى وما بينهم أفراد عائلتي:

والدتي (سيدة).

وأبي (عبد الرحمن).

وأختي الأكبر (سعاد).

وأختي التوأم (هبة).

كنت أفكر حينها فقط في أنني أريد أن أتقدم لخطبة الفتاة التي كنت أعرفها من قبل، لم يعنيني حينها أحد سواها، ولا رأى سوى رأى أنني أريدها فقط أينما كان ماذا سيحدث أو ما هو الاختيار، ولهذا السبب أنا لا أريد أن أخطئ مرة أخرى في ذلك الأمور، ففي بداية الأمر المرة السابقة لم أعطِ عائلتي حقهم في معرفتها، وكان ردي على كل سؤال

يسول لي: أنا أعرفها وأريدها وهذا يكفي..

كان ذلك هو الرد على أي سؤال:

من هي؟

لمن تنسب.

من عائلتها.

كيف تعرفت بها؟

فلم أذكر حينها سواها فقط؛ لأنني كنت لا أريد أن تبتعد عني أبدًاااا، وعندما عرفو عائلتها بما بيننا لم أنتظر أي شيء وذهبت في اليوم ذاته إلى والديها دون حتى أن يعلم والدي، وهذا هو الخطأ الأكبر الأولى، وكأنني حينها كنت الفارس الذي يركض هرولًا بركوب الخيل ليذهب إلى شيء يريده بشدة، كنت أحاول بمقدار كل ما يمكنني أن أفعله، وهذا ما لا أريد أن أفعله الآن، أريدك بشدة ولا أريد أن تبتعدي عني أو يحدث ما لا يجعلك زوجتي، ولكن في نفس التزامن لا أريد أن أفعل ما فعلته من قبل لأن أقل ما يقال حينها، أنني أكرر ما حدث للمرة الثانية على التوالي، على أتم الاستعداد أن أتقدم لخطبتك اليوم قبل غدًا، ولكن هذا لم يكنْ الصواب، أريد أن أتعرف إليكِ جيدًا أولًا وعن كل شيء؛ لكي أستطيع أن أتحدث بثقه حين أتسائل عنك من عائلتي، ويعلمون أنني صادق، أريد أن أتحدث مع إخوتى ووالدتي، ويشاهدون صورك الملتقطة لكى يعرفوا حتى ما هي ملامحك؛ ليصبحوا على علم بالفتاة

التي سيذهبون معي لخطبتها، لا يمكنني أبدًا أن تتسببي في أي أذى من عائلتك مهما كان السبب، أخبريني بما تشائين وبما تريدين أن أفعله، تريدي أن أتحدث مع والدتك سأتحدث على الفور، بينما تريدين أن التقي بها وأبوح لها بصدق مشاعري تجاهك وأخبرها بكل ما قد أخبرتك به، فليس لدي أي مانع، ذلك سيزيدني شرف.

تحدثي إليها مرة أخرى وأخبريني بما حدث وبما تريد وتريدين، مع العلم أنه لا يمكن لأحد أن يعرف والدتك سواكِ وتعرفين جيدًا متى يمكن أن أتحدث إليها ومتى لا يمكن، وحين أتحدث سأخبرهم بأنكِ حقًّا نقية ومن أسسك هكذا له كل التقدير والاحترام والشكر، حفظك الله يا حبيبة القلب، وأنت تعلمين جيدًا وأخبرتك فيما قبل أنني لا أريد أن أبقى معك ليومين ثم أتركك، لو كنت أريد هذا فمن البداية لم أفكر بك أنتِ، ولكنني ليس ذلك وأقسم لك.

أسعدتني للغاية نظرية أنك أخبرتيهم بعلاقتنا هذه؛ لأنك لا تريدي أن تكذبين عليهم في شيء وتلك هي أخلاقك التربوية ثم أنني لن أتركك لا تقلقي يا حبيبتي!، لن أتركك أبدًا، ولكِ أن تتصارحي معها في تلك العلاقة ولا تخفين شيء وما تريد فعله سأفعله فورًا..

وأريد أن أتحدث معها في الهاتف وأود أن تخبريها بذلك!

حتى انتهى من ذلك الحديث واستطراده العاصف كان يليه أي حديث، ولكنني أردت أن أتفهم من كل ذلك الحديث أنه لا يريد أن يأخذ تلك الخطوة بالخطأ مرة أخرى، وكان رد فعلي أنني وافقته للغاية

فيما تحدث به، فطالما هو بجانبي فهذا يكفي لا أريد أي شيء ولا يعنيني سوى ذلك، هو وفقط، ثم أنني أخبرت والدتي أنه يريد الحديث معها ولكنها أبت!، لم توافق أن تتحدث معه.

وقالت لي: لا أريد أن أتحدث مع أحد.

لا تتحدثي معه مرة أخرى وها هو قراري الأخير، وفي ذات يوم ذهبت إلى المنزل رأيت منه رسالتين عاتبتين محبتين بهما موقع صوتي.

محتوى أحداهما: كيف حالك يا ب(سنتاية) اشتقت إليك يا حبيبة القلب.

ما زلت منذ قدومى إلى المنزل وأنا أتفقد هاتفي على أمل أراكِ متصلة أو شيء، اشتقت إليك حقًا كثيرًا يا حبيبتي يا (هدير) أريد أنَ تعلمي شيء، أنا حقًا أحبك للغاية بالفعل، وعن نفسي أحب أن من أشعر به أبوح به ولا أريد أن أخبئه، عندما أتحدث لك بتلك الاشتياق وأخبرك أنني مشتاق إليك، كوني على يقين حينها بأنني حقًّا مشتاق إليك، وعندما أشعر بأن عشقك كاد أن يزداد حده بداخلي فتأكدي أيضًا وعلى يقين أنني سوف أخبرك على الفور حتى لو رغماً عني بالرغم من أنه كان يجوز أن آمالك ذاتي أمامك ولا أخبرك أنني أحبك أو مشتاق إليك، أو أتمالك من البداية ولا أخبرك أنك تروقين لي من الأساس، ولكنك جعلتيني أشعر وكأنك شيء سمين أَريد أن أركض إليه هرولًا لأناله، فكيف لا أخبرك أنني أحبك وأنني مشتاق إليك، فهذا ما أستطيع البوح به فقط وما بداخلي أكثر من ذلك يا حبيبة القلب، وبجانب أنك لست

الفتاة التي من الممكن أن يعامل معها ذلك الأسلوب الأبله؛ لأنك حقًا آمنة ومستأمنة ومن المعهود أن تتحابى وتنالي كل خير ذلك العالم وعندما تصبحين زوجتي وتنالي أسمي ويكون بجانب اسمك، ذلك هو الشرف والعفة والمكانة العالية لي فلا أنا بدونك شيء ولا أنت ستصبحين لسواي، بالرغم من أنني لا أعلم عنك الكثير، ولكنني حقًّا أحبك للغاية يا (هدير)، وعندما تبقين على ذلك النمط وتتعاملي معي فيما يرضي الله سأكون أول من يعاملك بالمودة وبما يرضى الله ويرضيكِ، ولك أن تخبري كل ما تريدين أن تخبريهم من أفراد عائلتك وتخبريهم أيضًا أنني أحبك، وأنني سأتحدث معهم في القريب العاجل، الله أعلم متى سأنقر باب ذلك المنزل الذي جعلك هكذا على خلق، وعندما أأتى لخطبتك لم يكن هذا مجرد دخول منزل، بالطبع لا، فلك أن تتخيلي حينها أنني أمامك وأخبرك أنني في ذلك المنزل لأخبر أباك أنني أريد شرف أن تكون ابنتك في ذات يوم زوجتي؛ لأنه لا يمكن أن أطمئن على أبنائي إلا معها، ولا يمكن أن أطمئن على أسمي وشرفي سواها، وهي فقط من تناسب ذلك المنزل..

لأنني أعلم أنكِ فتاة في غاية الاحترام يا (هدير)، ولديك أب هو من زرع ذلك الاحترام بكِ، فهل يعقل لك أن كل تلك المثالية التي تكونت في شخص واحد، ألا تحاب أو تستحق كل التقدير؟

كيف؟

ولذلك السبب لا أريد أن تهابيني خوفًا في أي شيء، ويطمئن قلبك

للغاية نحوي، ولن يأتي اليوم الذي سأتحدث إليك أنني اخترتك بكل الإرادة دونًا عن ألف فتاة وأخرى؛ لأنني لم أرَ الألف فتاة والأخرى هؤلاء، فأنت لي كل فتاة في العالم ولا أرى كل هؤلاء حقًا، قد خيرتك أنتِ لتكوني معي، وسأذكر لك كل الفتيات التي كانوا يريدون أن أتحدث إليهم فقط وأحدهم جائتني وأنا لم أراكِ حتى، فكان حينها كل ما ببالي أنني لا تعنيني تلك الفتاة التي أروق لها، فكنت أنظر فقد على من تروق لي، حتى جائتني عاصفتك يا فتاة، فبالطبع ومن المؤكد ولا ريب أنني أردتك عن كل هؤلاء بإرادتي؛ لأنني رأيت بكى ما لم أراه من قبل، ولأننى استثنائي واحب الاستثنائية فالعام، وجدك أنتِ المستثنية عن كل البعض وفقد خيرت بكِ، اخترتك لأنني رأيت فيكَ من يناسبني ولدي كل التوسم في إنك ستكونين زوجتي، وأريد أن أخبرك شيء، بقدر ما أحبك ولن تحصلين يومًا على من يحبك أكثر مما أحبك أنا، وليس لدي مانع في أن أتقدم غدًا ونتزوج في خلال عدة أشهر، ولكنني..

لا أحب أن أتسرع لكي يؤخذ كل ذي حقًّا حقه، أريد أن أتحدث مع والدتي وإخوتي؛ لكي يتعارفوا بكِ أولًا أريد أن تحابي عندهم مثل ما أحبك، أريد أن يعلموا أنك مستثنية عن أي فتاة قد عرفتها في حياتي من قبل..

وأريد أن أخبرك شيء يا هدير؛ لأنني أحبك، وبقدر ما أحبك، سوف ترينني أسوأ مخلوق على وجه الأرض من جهة الأذى عندما تريدين أن

تتركيني، حينها لم أسم بالله عليك، تركك لي هذا لن يجعلني في أمان أو خير، وبينما أنت من اخَترتي ذلك فحينها سأكون أكثر مخلوق مؤذي قد خلقه الله بين الناس، حفظك الله يا (ست البنات)، فلتعلمي! أنا لا أريد أن ما حدث معي من قبل يحدث معك خصيصًا، ففي علاقتى الأولى بالفتاة التي تقدمت لخطبتها من قبل كنت أريدها بشدة وكنت أفعل كل ما بوسعي لكي تبقى معي، ولذلك اخطأت للغاية عندما ركضت مسرعًا في تلك العلاقة، فما هو الذي لم أريده أنا معك، لا أريد أن أندم يوم أنني قد أحببتك، لا أريد أن يأتي اليوم الذي تبتعدين عني فيه وابتعد عنك لمجرد غلطة، ولكنني لم أعد أذكر كل هذا، فما يعنيني الآن وهدفي هو أن تبقين معي لطيلة العمر مهما طال يا حبيبة العمر؛ لأنك تحملين كل معاني الأصول والأخلاق التربوية، ولديك مميزات أنتِ لم ترينها بذاتك ولكن أنا قد رأيتها..

أسعدني للغاية هذا المقطع الصوتي وكنت حينها في غاية السعادة الممتزجة بالشرود والتعجب، فلماذا للمرة الثانية على التوالي يذكر لي إخوته ووالدته كثيرًا، هل لهم الحق بحياته؟

هل يجب أن أتحدث إليهم وأجعلهم يحبونني قبل أن يتقدم إليّ؛ لأنهم لو لم يحبونني لم يتقدم لخطبتي؟

وماذا حدث في علاقته الأولى لخطبته سابقًا لكي يزداد الذكر فيها هكذا كل مرة، وأخيرًا..

هل هو يحبني لسبب فقط ولأنني مثل ما يخبرني فتاة على خلق وبقمة

الاحترام وأفهم معاني الأصول وهي مبدأي وأن الأخلاق التربوية جزء في غاية الأهمية من حياتي؟؟

كل تلك الأسئلة كانت تدور في عقلي وأريد أن أعلم لماذا يخبرني هذا، وكيف نبرة صوته هذا شيء وأحاديثه في كل هذا شيء آخر وجعل شعور الحيرة يراودني حينها؟

كنت أنتظر الوقت المناسب؛ لكي أسول له بكل تلك الأسئلة ليطمئن قلبي من حيرته..

وبعد مرور بضع أيام انتهى شهر رمضان المبارك، وفي عيد الفطر أراد أن يسافر مع أصدقائه وطلب مني عند عودته أن نلتقي خارج العمل ويراني خارجه لأول مرة لكي نتحدث مع بعضنا البعض وكل منا يتفهم الآخر أكثر وأكثر..

ولكنني رفضت وعند رفضي أقترح على أن أخبر أختي الكبرى أو والدتي بالأمر، فقررت أن أخبر أختي الكبرى (فيروز) بالأمر وما حدث لم يخطرْ على بالي أبدًاااا!..

في اليوم الثالث من تلك الرحلة كان هو يوم إخباري لـ(فيروز) أنه يريد أن نلتقي، تشاجرت معي كثيرًا وتفهمت الأمور بكل الأخطاء وبما يدور في ذهنها فقط، فقررت أن تتحدث معه في الهاتف.

وقالت له: ليس لدينا فتيات لكي تلتقي بالرجال خارجًا، أنتم تتحدثون منذ فترة لم أرَ منك من الأساس أنك تحبها فما فعلت أنت

لإثبات ذلك الحب؟

قال لها: لا يهمني إن كنتِ ترين أو تعلمين أم لا وليس أنا مقبل على إجبار أنني أبرر ذلك الفَهم الخاطئ، فمن يهمني أختك ولست أنت، وأختك ليست الفتاة التي يتلاعب بها هنا وهنا وتصبح مصدر لأي محاولة أو خداع، فهى لو لم تقدر فلا يستحق أحد أن ينالها، أنا حقًا أحبها ولست أنا مجبر على ذلك التبرير لكنني أخبرك.

قالت له: من أين تقول ذلك ومن أين وأنت بجهة أخرى لم أرَ من شيء هل أنت تتفوه بالحديث أم لا تعلم ماذا تقول؟!

قال لها: بل أعلم جيدًا ما أقول أنا وإذا كان حديثي هذا لا يمكن أن تتفهميه فلك أن تذهبين لوالدتك وتتحدثين معها فيما أقوله ثمَّ أخبريني بما حدث، مع العلم بأنني طلبت أن أتحدث إليها من قبل وهي رفضت دون أن تعلم حتى من أنا؟

ولكن فلتفعلي هذا، إلى اللقاء!!..

فقد انتهى الحديث وكان ردة فعل أختي معي حينها ألا أتحدث معه ثانية..

كنت أقدر ما حدث وأنه محتمل للغاية، هي تعتقد أنه لا يحبني ولكن كل ما في الأمر أنه لا يريد أن يرقد إليّ مسرعًا دون وعي مثل ما حدث من قبل؛ لأن ذلك كان الخطأ من قبل، ومهما كان تبريري حينها لهم لم أستطعْ أن أبوح بما قاله تمامًا..

ففي اليوم التالي تحدثت معي والدتي وأخبرتني أنها علمت بما دار بين (عادل) و(فيروز) من حديث وتريد أن تتحدث معه..

فذهبت إلى عادل وأخبرته فقد أسعد للغاية من ذلك الاختيار وتحدث معها في الهاتف أولًا وكان الحديث لم يعد كافيًا في الهاتف فقد اتفقا على أنهم يلتقون وانا برفقتهم..

وفي يوم التاسع عشر من مايو، تقابلت أنا ووالدتي و(عادل) وتحدث معها فيما حدث بينه وبين أختي (فيروز)، ومع مرور الأحاديث قرر أنه سيتحدث مع عائلته في القريب العاجل، ولكنني أبيت، وقلت لهما ولماذا التسرع هذا؟

لم تتفهمني والدتي ولكن(عادل) تفهم ما أقوله ولكنهما اتفقا على ذلك، وقد قال لي (عادل): عند ذهابك اليوم إلى المنزل تخبرين أباك أنه ثمة شاب يعمل معك بالشركة يريد أن يتقدم لخطبتك ويريد أن ينال شرف الجلوس والحديث معه، ولكن كان كل ما يدور بذهني أنني سأكون بجواره فيما يريد أن يفعله هو وأنني على أتم استعداد الانتظار حتى التعارف على والدته وإخوته قبل أي شيء..

وفي اليوم التالي تحدثت أمي مع والدي فالأمر وأخبرته أنه يوجد شاب يعمل معي في الشركة يريد أن يتقدم لي وأنه سيتحدث معه بعد أن يتحدث مع عائلته مباشرة، وفي ذلك الوقت اتفقنا أنني سأتحدث مع والدته فالهاتف ولأول مرة، حتى أخذت برأي والدتي في الأمر حتى وافقت.

وقالت لي: لا بأس من ذلك الأمر.

كنت أهابها للغاية لا أعلم لماذا؟

ولكن يمكن أن يكون من كثرة أحاديث عادل عليها،

أنه يحبها كثيرًا وهي متلازمة أمراض كثيرة وأشياء من ذلك القبيل، وأنه يذكرها في كل أمر يتحدث في معي؟

فقد تسلط عليا الخوف للغاية!

كنت أخشى أن أتحدث معها كثيرًا فتشعر أنني أحب الثرثرة!، كنت أخشى أن أتفوه بإحدى الكلمات التي لا تعجبها، كنت مستعدة للإجابة على أسألتها ولكن أيضًا بقمة الخشية، وحان موعد الحديث مع والدته:

مرحبًا!

مرحبًا بكِ يا (ماما سيدة)، ثم بعد الأحاديث المعهودة والأسئلة.

قالت لي: يا هدير أريد أن أراكِ!

قلت لها: سوف أخبر والدتي بالأمر وما ستخبرني به سأفعله.

قالت لي: حسنًا! فلتأخذي برأيها وتخبري (عادل) بما دار.

قلت لها: حسنًا.

ثم بعد انتهاء المكالمة بعدة دقايق ذهبت لوالدتي وقلت لها: والدة عادل تريد أن تراني في إحدى الأماكن العامة

قالت لي غاضبًا: نعم؟!

ما هذا الذي تتفوهين به؟ ألم يعد لنا منزل لمقابله الآخرون؟ بالطبع لا.

ثم أخبرت (عادل) بما دار وأن والدتي لم توافق بعد وأنها تفضل أن تأتي المنزل ليتعارف كل منا على الآخر..

فوافقت والدة (عادل) في ذلك الوقت ولم ترفضْ أبدًا حتى أنني أخبرت والدتي وتوصلنا بأن والدته سوف تحضر إلى منزلنا برفقة (سعاد) و(هبة) ولكنه كان يحدث شيء عند اقتراب الموعد، إما لدينا إما لديهم، مرة يتعب حفيدها، ويوم توفي أحد أقاربهم، وعندما علم والدي (وائل) بما يحدث.

قال لي: لا يمكن أن أثق بذلك الشاب فأنا لا أعرفه، وما أدراني أنا أنه يقول لذلك لكي لا يأتي، لم أدرِ ما أفعل، لا يجوز أن أدافع ل(عادل) أمامه فماذا أفعل؟، ثم تحدثنا أنا و(عادل) في ذلك الأمر.

وقال لي:

لم أنتظر اليوم لكي تلتقيا بوالدتي وإخوتي

ولم أنتظر حين يتفهمني والدك مخطئًا ويعتقد أنني ليس أحبك وإن ما يحدث مقصودًا..

وفي يوم الثامن من يونيو، تحدث (عادل) مع والدي في الهاتف دون علمي وكانت مفاجأة ولكنها لم تستكمل؛ لأنه لا يستطيع إعداد

المفاجآت تمامًا، كنت في غرفة النوم الخاصة بي لأذهب إلى النوم، ثم جائتني أختي الصغيرة (جنى) متلهفًا قائلًا: (عادل) يتحدث مع والدك على الهاتف، توقفت حينها عن كل التفكير وشعور السعادة كاد أن يشق قلبي منفرطًا..

وعندما اتجهت نحو والدي مبطئة الخطوات رغمًا عني سمعت والدي يقول: سوف أنتظرك في الميعاد، إلى اللقاء..

نظرت لوالدي ونظرته إلى لم تتراءَ من قبل، حتى أنه قال لي: نضجتي يا ابنتي وستصبحين أجمل عروس، فذهبت إلى عناق والدتي وأنا لم أصدق ما حدث وأخبرتني أنه سيأتي بعد يومين ليتقدم لخطبتي وقد غنت لي أغنية (بكرة وبعده) لعبد الحليم حافظ، فذهبت إلى غرفتي وتحدثت إليه قائلًا: لماذا لم تخبرني أنك ستتحدث مع والدي اليوم يا مكار؟

قال لي: كيف علمتي من الأساس؟

قلت له: تريد أن تفاجئني فلتتفق مع والدتي أو أختي (جنى).

فالمفاجآت لا تكون هكذا، فقال لي: فلتغربي عن وجهي الآن يا فتاة!، أردت أن أفاجئك ولكنني لم أتقن؟

ضحكت كثيرًا معه وانتهى الحديث ولكنني لم أستطع أن أذهب إلى النوم بسهولة..

وفي اليوم التالي كنت أسعد مخلوقة قد خلقها الله، فغدا سوف أراه

في منزلي ولأول مرة، يتقدم لخطبتي، يخبر والدي بما قاله لي من قبل، ويتحدث فيما تحدث به معي من قبل، ولكن الأجمل من هذا كله أنني سأراه في منزلنا..

وفي صبيحة الحادي عشر من يونيو واليوم الذي سأراه في منزلي، ألقيت التحية على أحد زملائي في العمل، ولكنه أعتقد أنني أموء بالترحيب نحوه كالمعهود فبعد عدة دقائق تحدث إلي في الهاتف قائلًا:

على من كنتِ تلقين التحية، قلت له عليّ..

قال لي: ولماذا؟

قلت له: لأنني لم أراه من فترة ولكن ما بها..

فلم تكتمل الكلمة حتى غلق الهاتف في وجهي، تركت ما كنت أفعله وذهبت إلى القسم الذي يعمل به وقلت له: معزرًا.

قال لي: فلتذهبين الآن إلى عملك لا أريد التحدث معك.

قلت له: بل ولماذا حقًّا أعترف أنني مخطئة ولم تتكرر ثانيًا.

نظرت لعينه وجدت بها غضب شديد على وشك أن يصفعني بأيديه!

وقال لي منفعلًا: أُغربي عن وجهي

وفي ذلك اليوم قد ذهب إلى المنزل دون إخباري ودون أن يخبرني أنه قد وصل، فتحدثت إليه وقلت له: منذ متى وأنت تذهب دون علمي هكذا؟

قال لي: لماذا أخبرك؟

أنت لم تحترميني لكي أحترمك أنا؟

قلت له: وماذا حدث لكل هذا من الأساس؟

قال: ما حدث هو أنك لم تعتقدين أنني بحياتك ولا تعترفين بي.

فكيف لك أن تلقي التحية على أحد زملائي وأنا بجانبه وتتركيني أعتقد أنك تلقيها على كالمعهود.

قلت له: فلتخفض صوتك؛ لكي نستطيع التحدث جيدًا.

قال لي: لم أخفض صوتي وليرتفع بما أريد.

وأنت تقبلين بذلك ولا تتحدثي معي حينها سوى حاضرًا والأمر مطاع.

قلت له: كيف تراني أنا؟

هل جارية قد كانت مباعة في يوم وقمت أنت بشرائها

يجوز أنك متعب الآن

إلى اللقاء..

وعندما أغلقت المكالمة الهاتفية شعرت أنني حقًا مخطأة ولا يجوز ما حدث، وعندما وصلت إلى المنزل قالت لي والدتي: مرحبًا بالعروس البلهاء ما هذا الذي قد فعلتيه اليوم؟

حكيت لها ما حدث وقد قامت بإلقاء الخطأ عليّ بالأكمل، وقررت أن أتأسف له ولأول مرة، وقلت له على موقع التواصل الاجتماعي: أنا حقًا متأسفة، اتصل بي حينها ولم يصدق.

وقال لي: حقًا آسفة؟ لم أصدق (هدير) تتحدث الأسف!

كيف؟

قلت له: تعلم أنني منذ اليوم الذي تعرفت بك بي وأنا لم أعد (هدير) أنا (بسنت).

قال لي بكلماته العاتبة: بسنت أحزنتني كثيرًا.

مزقت سعادتني أنني سأأتي إلى منزلها اليوم بعد بضع ساعات.

قلت له: لا يمكنني فعل هذا.

أعتذر منك يا حبيب العمر!

ولكن فلتخبرني! صبيحة اليوم أنت لم تتحدث معي، فهل قررت أنك لم تأتِ لخطبتي أم ستأتي.

قال لي: وما ذنب أباك فيما حدث فقد اتفقت معه هو ولكن لا تقلقي، سأخبره بما حدث حين المجيء وسترى ماذا يقول!

قلت له: أتريد أن تتزوج من امرأة بها عاهه مستديمة؟ فلم يقبل أبي بذلك.

قال لي: وها هو ما أريده.

لم أخطئ يا بسنتاية حيت أخبرتك أنني أعلم أنك على خلق بفضل من أسس تلك الأخلاق التربوية.

وأيقن بذلك أكثر حين أرى وجهك ممتلئ بعلامات الركل..

قلت له: تحبني حقًّا يا دياسطي.

قال لي: فلتتركيني الآن، أريد أن أذهب إلى النوم؛ لأنني سأتقدم لخطبة فتاة اليوم.

قلت له: حقًّا؟! ومن تكون هي؟

قال لي: بسنتاية البلهاء.

وفي مساء اليوم الذي لا ينسى ارتديت ملابسي وقمت بإعداد الماكياج وكأنني أجمل امرأة تتزين، وشعرت حينها أنني عروس ولأول مرة أشعر بذلك، فكانت تلك السعادة كافية لتجعل مني شخص لا يحمل همًّا.

تحدث إليّ في الهاتف وقال لي: أمامي حوالي خمس عشرة دقائق وأكون بمنزلك يا (بسنتاية).

قلت له: فلتخبر أبي.

قال لي: وأنتظر أن تخبريني؟!

حقًا بلهاء...

تحدث إلى أبي وأخبره أنه على وشك قدومه إلى المنزل، حتى اتصل بي

مرة أخرى وقال لي، أنا أسفل المنزل، وعندما أغلق الهاتف كنت أشعر وكأنني أمام تلك الدنيا بمفردي متوجة!

فقررت أن ألتقط مقطع فيديو عند دخوله المنزل واللحظة المميزة، وعندما جلس على الأريكة كنت أنا في الخارج على أريكة أخرى بالصالة، أنظر إليه وكأنني لم أصدق، حقًا لم أصدق!

(عادل) في منزلي؟

يتقدم لخطبتي؟

حقًا هو مع أبي الآن؟

ما يحدث هذا؟

هل بالفعل حقيقيًّا؟

حتى نظرت إليه بعد كل تلك الشرود ورأيته يغمز لي تلك الغمزة المغازلة التي تجلبني أرضًا

ثم سمعت صوت أبي يقول لي: فلتحضري يا (هدير)

رقدت نحو الباب وجلست بجوار (عادل) ولم ألقَ بنظرتي على شيء سواه، أراه يتحدث مع والدي في التعارف، ومن هو؟، ولمن ينسب؟، وماذا يعمل؟، ومن أين،؟! ومن عائلته.

وعندما تم التعارف والاتفاقية طلب من أبي الرحيل ثم طلب أن يسول أبي عليه ويقوم بالرد عليه لاحقًا، وعندما ذهب تحدث إليّ وقال:

أخبرتك أنني أحبك وأخبرت كل ما يعرفنا بذلك وأنا عن شأن ذاتي أريد أن تصبحين زوجتي!

والآن فلتخبرينى إذًا، أنتِ ماذا تريدين؟

قلت له: أريد أن تبقى معي طيلة العمر يا حبيب العمر، وبعد عدة أيام سأل أبي حقًّا على (عادل) وتحدث إليه وقال لقد تسألت عنك يا بني، انتظرك في اليوم الذي ستحدده ليناسبك ويناسبني ونتشرف بك أنت وعائلتك للاتفاقية وقراءة الفاتحة..

فتحدث إلي وكان في غاية السعادة وقال لي: آباكِ لم يرفضني، ستكونين معي، سيعلمون هذا القوم أنني أحبك ومن راهنو على فشل تلك العلاقة فليذهبوا مخذولين، أحبك للغاية يا (ست البنات)!

كانت تمر كل لحظة وكأنها تحمل ألف شعور وشعور في آن واحد، وأريد أن أبوح بجميعهم لكي أصدق.

أيعقل؟

دياسطي لم يعد بل أصبح حبيبي وخطيبي (عادل).

ولم يعد أيضًا مجرد شخص كنت أروق له ويبادلني كل الحب فقد أصبح كل ما لدي، وكان إنارة منزلنا منذ أيام وبعد عدة أيام قليلة سيضيئها مرة أخرى، ثم قررت معه أن يخبر أبي باليوم المناسب لنا ويكون السادس والعشرون من يونيو وكانوا تلك الأيام ليست مجرد أيام فحسب، بل استعداد لحياة جديدة برفقته طيلة العمر.

فقد تحدث معه حقًا في الأمر واتفقا على ذلك اليوم، وفي ذلك الوقت كنت كل يوم بالفعل أقول له: فلتحضر لي باقة من الورود، وكان يقول لي: تلك الباقة تنسب فقط للخطوبة وليس في قراءة الفاتحة، فالطبع سأجلبها لك في احتفالية الخطوبة.

قلت له: منذ متى وأنت تدري عن ذلك الأمر، فهذه العادة لم تعد تقليدية وفيها العروس يأتي لها عريسها بتلك الباقة.

قال لي: حقًا؟

لا بأس.

ولكنني لم أجلب شيء

حتى رأيت مقطع فديو في أحد مواقع التواصل الاجتماعي وقد شاركته فيه وكتبت له بالمشاركة وأنا أضع وجوه ضاحكة: هل رأيت؟

قال لي: بل لم أرَ.

ولم أجلب باقة ورد؛ لأنه ليس أوانه من الأساس، وبعد عدة أيام أخبرت المشرفة التي تعتبر بمثابة والدتي أنه قد اتفق مع والدي أن قراءة الفاتحة السبت المقبل السادس والعشرون من يونيو، فقد أخذت الإجازة رسمية لذلك اليوم، وفي اليوم التالي وما قبل قراءة الفاتحة بيوم واحد فقط.

تحدث معي في أمر غدًا بكل سرور وقال لي: أصدقائى يريدون أن نذهب سويًا للاحتفال بذلك المناسبة.

وعندما ذهب وعاد لي.

قال: لقد أرادوا أن يختلسو النقود في عزومة العشاء ليلًا وقلت لهم أيعقل أن يحدث شيء هكذا سوف أشتري بعض الأشياء المهمة وباقة ورد.

ثم على الفور قلت له مسرورًا: هل تفوهت بباقة ورد؟ هل ستجلب لي باقة ورد؟

قال لي: بالطبع لا .

فلم يعدْ معي أموالها، وكأنه تحدث دون وعي..

(الفصل الرابع)

(سعادة لم تكتمل)

طلبت من والدي أن يتركني أجعل أصدقائي يحضرون تلك المناسبة ولكنه قد رفض وقال لي: منذ متى وأصدقاء العروس يأتون في اتفاقية قراءة الفاتحة.

فقلت له: هذا يحدث كثيرًا يا أبي لما لم توافق، أنا حقًا أريد أن يكونون معي في يوم هكذا.

قالت لي لا هدير ويا ليتك لم تتحدثي معي في ذلك الأمر مرة أخرى وتشوهين ذهنك وتحزني ذاتك فالأمر قد أغلق معي..

حزنت كثيرًا، كنت عروس (عادل) أي كنت أسعد مخلوقة قد خلقها الله، ولكن لم تكتمل السعادة؛ لأن والدي رفض أن يأتون أصدقائي إلى المنزل في ذلك اليوم ويحضرون معي!..

حتى علموا أنني حزينة للغاية ولا أستطيع أن أستكمل فرحتي، رغمًا عني، كنت حزينة للغاية في ذلك الوقت من الأيام المعدودة، وكنت أتحدث مع (عادل) بأسلوب لا يليق بعادتي، وكان متعجب للغاية من ذلك الأسلوب.

كان يقول لي: ما بك يا عروس قلبي؟

وكنت أقول: لا شيء فأنا بكل خير.

ثم في يوم تحدث معي وأنا في طريقى إلى العمل وقال لي: أين أنت؟

قلت له: في الطريق.

قال لي: ألم تخبريني إذًا ما بك؟

قلت له منفعلة للغاية: أخبرتك من قبل أنني بخير لا تسألني ذلك السؤال مرة أخرى ولا تتحدث معي اليوم أبدًا، فما بي يكفي

قال لي: حقًا؟! تنفعلي على هكذا ثم تخبريني أنكِ بخير؟

لا أصدق، سوف أعلم الآن ما بك.

ثم سألني ذلك السؤال كثيرًا للغاية، وكان ردي المعهود لا شيء أنا بخير، حتى بكيت فأراد أن يدري ما بي الآن قبل لاحقًا

ثم حكيت له ما بي وأنني حزينة؛ لأن أبي لم يوافق أن يأتون أصدقائي إلى المنزل يوم قراءة الفاتحة.

ثم قال لي: إباكِ يدري جيدًا ماذا يفعل!

من الوارد أنه حاسب حسبة الناس الذين سوف يأتون ليتقدموا لخطبتك، هل سيكون مسرورين بلقائهم وتواجدهم أم لا

يمكن أن يكونون لا يريدون أن يتزاحم المنزل بهؤلاء، ويريد أن يتزاحم فقط بمن سيأتوكِ إلى المنزل ليخطبوكِ، أنتِ من تلقاء ذاتك،

هل ستقضين وقتك في أن تتزينين وتحضري ذاتك أم تنشغلين بهم، ستكونين عروس أم صديقة؟!..

ثم اقتنعت بما تحدث إليّ في، وصرت سعيدة بالكافي واقتنعت بأن أصدقائي سوف يحضرون معي في احتفالية الخطوبة

وبعد يومين وما قبل الاتفاقية بعدة أيام كنا نتحدث معًا في الهاتف.

وقلت له: يا حبيبي من سيأتون معك يوم السبت؟

قال لي: والدي ووالدتي وإخوتي وأصدقائي المقربون.

قلت له: سيضيء المنزل بكم.

أصدقائه؟

أصدقائه المقربون؟

فأصدقائي كانوا قادمين وعندما رفض أبي وحزنت كثيرًا وتحدثت معه حتى أقنعني للغاية ووافقت!

لماذا؟

لا يمكن أن أتحدث في ذلك الأمر ولكن لماذا حقًا؟

كنت أريد أن أرى أصدقائي مسرورين بي في يوم هكذا، والآن سوف يرى هو أصدقائه وأنا لم يكن لي أصدقاء لي ذلك اليوم، فقد حَرم عليا تلك الفرحة حينها!

كل هذه أسئلة كانت تسول في ذهني ولكنني لم أخبره بها أبدًا؛ لأنه

لا يجوز أن أتحدث فيها من الأساس

ولكن!

قد تخطى الأمر..

وفي صبيحة يوم اتفاقية قراءة الفاتحة، ذهبت لإحضار شراء بضع الأشياء وعندما كان يتحدث معي كنت في الطريق إليها وقال لي:

كيف لك أن تذهبي من المنزل دون إخباري؟

قلت له: لم تحقق ما ببالك واتركك تفعل من يجعلك تغضبني في يوم كهذا، لك أن تنفعل على كما تشاء، فإلى قلب مثل الحلوى.

قال لي: ضاحكًا مبارك لي أنت يا عروستي..

ثم ذهبت لكي أتزين، فقد تذكرت حينها أن والدته لم ترَني من قبل

فلذلك السبب لم أضع الكثير من الماكياج وسأحاول أن أكون على طبيعتي، ولكنني في العام لا أضع الكثير والكثير هنا بما معناه، الذي يوضع بوجه أي فتاة عروس بذلك اليوم، فلم أضع العدسات اللاصقة ولا الكثير من أحمر الشفاه، وهذا من أول الأشياء التي لم يكن من الصواب فعلها، وكان يجب أن أذكر أنها المرة الأولى ولكن ليست الأخيرة..

ولكنني على أية حال..

كنت أروق لذاتي وهذا ما كان يكفيني..

كنت أرتدي ثياب منقوش بالورود الحمراء وليست الورود الحمراء كانت تمتلئ الثياب فقط، حتى أنها كانت تشع من ملامح وجهي وتجدد بي طاقتي التي كادت تجعلني أشعر وكأنني أستطع هدامة أكوام من الجبال.

اتصل بي(عادل) وقال: لقد اقتربت من المنزل أنا وعائلتي، وعندما اقترب حقًا من المنزل نظرت من الشرفة لكي أختلس بعض النظرات إليه ثم وجدته يحمل باقة ورد بمثابة حدائق الزهور، وعندما رأيتها صاح صوتي مرتفعًا وأنا أدب بقدمي أرضًا مثل الصغار قائلًا: لقد جلب لي باقة ورد كان يهرء معي فقط ولقد جلبه لي، ثم جاءت اللحظة التي انتظرتها والتي أخذت من عقلي ومن ذهني، وكان الارتباك حينها هو المتسلط وكأنه لم يتقدم لي أحد من قبل..

صعد على الدرجات إلى منزلي وكان برفقته والده ووالدته وإخوته الاثنين وأبناء أخته الأكبر وأصدقائه المقربين، وعندما رقد نحو الغرفة التي قد استقبل فيها من قبل وجلس كل منهما على مقعد.

ذهبت أنا إلى الغرفة المستقبلين فيها وألقيت الترحيبات أولًا على والدته ثم والده ثم إخوته ثم على أصدقائه، ثم جلست بجانب والدته على أحد المقاعد، ونظر لي نظرة متغازلة ثم نظر إلى باقة الورد التي قد وضعها على الطاولة وصار يموء إليها لأرقد نحوها وأمسك بها، لم أستطع أن أبوح بشعوري حينها ولكنني كنت في غاية السعادة حقًّا، وفي ظل ذلك الشعور استمعت قليلًا إلى والدي ووالده و(عادل) يتفقون

تلك اتفاقيات الزواج، ثم أنه كان لا يعنيني تلك الاتفاقيات، أي صواغ هذا، وأي منزل، وأي مهر، ومن يجب أن يشترونه ونشتريه نحن، فلا أنا يعنيني كل هذه الأشياء، فهو أمامي هكذا بالعالم بأكمله، لا يعنيني شيء سواه ولا أنا شيء بدونه، أريده فقط بذاته هكذا، ليس بتلك الصواغ والمهر والمنزل، فإذا قد كتب على باقية حياتي معه وبجانبه فقط في أحد الغرف دون أي شيء آخر، فهذا كل ما يعنيني ولا أبالي بأي شيء سوى هذا، فلم يكن كل ذلك الاتفاقيات تبالي لي ما هى إلا كماليات يتحدثون فيها فقد للعادات والتقاليد اللعينة هذه، ثم استيقظت من ذلك الشرود على صوت والده وهو يطلب من والدي أن نفتح أيدينا ونقرأ الفاتحة، وبعد بضع لحظات حدث ذلك حقًّا، ارتفعت أيدي كل منا لقراءة الفاتحة وقد علت الزغاريد من حولنا ثم ألقى (عادل) عليه غمزة متغازلة مرة أخرى، وكان وجهه حينها وكأنه يقول لي: مبارك يا حبيبة القلب والأعين، وعندما قدموا أفراد عائلتي الكعكة الصغيرة حدث أنه لم تأخذ منه أخته (هبة) دون مقصد ووعي، وبعد بضع دقائق أخبرتني والدته (سيدة) بذلك وقالت لي: هبة لم تأكل من الكعكة.

قلت لها: كيف حدث ذلك؟ معذرة يا أمي!

فذهبت لكي أحضر لها طبق من الكعكة فندهت على أختي (فيروز) وندهت على (عادل)؛ لكي نلتقط بعض الصور، فأخبرت أختي (جنى) بأن أخته (هبة) لم تأكل من الكعكة الصغيرة فذهبت به إليها؛ لأنني كنت ألتقط الصور، وبعض بضع لحظات وانتهينا من التقاط

الصور، جلست مرة أخرى بجانب والدته ورأيت أحد أصدقائه قد وقع منه إحدى صحون الكعكة الصغيرة تلك، فذهبت فورا لكي أصلح ما فسد في السجاد وقلت له: لا بأس، وقد انتهى اليوم وذهبوا عائلة (عادل) دونه؛ لأنه جلس معي بعض الوقت، وعندما تحدثنا قليلًا في الشرفة قال لي: أختي (هبة) ذهبت حزينة!

قلت له متعجبًا: ولماذا؟

قال لي ضاحكًا بعض ما: لأنها لم تأكل من الكعكة الصغيرة.

قلت له كيف؟ تحدثت معي والدتك في الأمر عندما كنا نلتقط الصور فذهبت (جنى) بها.

قال لي: لا أعلم ولكنها حزينة!

وعندما ذهبت قلت له: أنا في غاية السعادة لم أشعر بكل تلك السعادة من قبل، أشعر وكأنني لم أسعد من قبل أبدًا، ثم جلسنا على الأريكة بعد بضع دقائق مع عائلتي وقد انتهى اليوم الذي كانت ساعاته بمثابة الدقائق، وعندما ذهب تحدث معي في الهاتف وكان في غاية السعادة.

وقال لي: لا أعلم لماذا أشعر وكأنني لم أتقدم للخطبة من قبل.

قلت له: مبارك يا حبيب العمر!

ثم نشرت الصور الملتقطة لنا في ذلك اليوم على موقع التواصل الاجتماعي الذي قد جمعتنا وكتبت بها: لقد أتانا من حفظ الود وكان لنا كل الخير والأمان، ثم تحدث معي أصدقائي في العمل وخارج العمل

قائلًا: مبارك يا عروس، وعندما تحدثنا في الهاتف ليلًا اتفقنا أن نذهب إلى أي مكان غدًا لنتنزه، وفي اليوم التالي تحدث مع والدي ليطلب منه أن نذهب لنتنزه خارج المنزل، ولم يعترض أبي، ثم ارتديت ملابسي التي سأذهب بها معه لأول مرة، وعندما جاء إلى المنزل جلس على أحد المقاعد وتحدث بضع الأحاديث مع والدي ووالدتي وانتظرت أنا على الأريكة لكي ينهي معه الحديث لكي نذهب وأنا أتحدث مع ذاتي قائلًا: ظننت أن البارحة كان من أحد أحلامي المتمناه ولكنه لم يكن حلمًا.

فحبيبي أمامي الآن في منزلي لكي نذهب ونتنزه سويًّا بأمر والدي، وعندما ذهبنا من البيت إلى إحدى الأماكن العامة قال لي: أريد أن أتحدث معك بأمر في غاية الأهمية.

قلت له: ما هو يا (حبيبي)؟

قال لي: لقد تشاجرت مع عائلتي البارحة.

قلت له: ولكن لماذا؟!

قال لي: ما حدث لي بالأمس لا يُبشر أبدًا.

صاروا ينفعلوا على لكل تلك المواقف التي قد أزعجتهم.

قلت له: أي مواقف هذا.

قال لي: من المفترض أن والدتي أخبرتك أن أختي لم تأكل من الكعكة فكان يجب أن تجلبي لها أنتِ بذاتك كعكة أخرى

ولكنك لم تفعلي ذلك.

وعندما سقطت الكعكة من صديقي لم تجلبين له سواها مرة أخرى، حتى أنكِ لم تنظرين أبدًا لأخوتي نظرة مبتسمة فقد اعتقدوا أنك غاضبة فقد سألوني هل تقدمت للخطبة رغمًا عنها؟

فلم تبتسمي سوى عندما كنت أنظر لك وأغازلك، ولم تلقِ التحية حتى على إخوتي التي قد رأيتينهم لأول مرة في حياتك

ليس من المشترط أنني قد أخبرتك أن تهتمين بوالدتي وتجلسين بجانبها أي تتناسي إخوتي.

قلت له: هل أنت تمزح أم تتحدث بجدية..

قال لي: بل أتكلم بجدية.

ولكنني لم أنتظر أن يخبرني أنه يتكلم بجدية فحديثه حينها يقول ذلك إلا أنه يبدو على وجهه للغاية.

فقلت له: لا يستدعي ما حدث أن يزعجك ويحزنك ويجعلهم يتشاجرون معك في يوم هكذا ويفسدون عليك ليلك، عندما تحدثت معي والدتك في الأمر قد ذهبت حقًا لجلب صحن آخر ولكني قد تلهيت في الصور التي قد التقطتها فأخبرت (جنى) أن تذهب لها بأخر.

على حد علمي أن أختك تماثلك في العمر والسن أي ليست صغيرة.

فماذا كان يحدث إذا لو لم ذهبت أختي بكعكة سواها من الأساس؟

وصديقك هذا أنا لم أعلم أن الكعكة التي سقطت منه كانت من صحنه، بالطبع لو كنت أعلم كنت جلبت أخرى سواها.. هل تعتقد أنني اتعمد القصد،عندما رأيتها سقطت منه ذهبت فورًا لتنضيف السجاد وأخبرته أنا لا بأس ولم يحدث شيء لكي لا يبالي، وما معنى أنني لم أبتسم لأحد من إخوتك؟

هل من المفترض أن أراقبهم بنظراتي الضاحكة من حين لآخر لكي أروق لهم؟

كنت جالسة بجانب والدتك، ولكن هل كان وجهي يحمل الغضب قليلًا بالمثال؟

كنت في أقصى درجات الخجل حينها، هل سأترك كل هذا وأنظر من حين لآخر لإخوتك وأبتسم؟

لم يحدث لي هكذا من قبل فبالطبع كنت في غاية الخجل والاستحياء، ولم يكن خجلي يبدو على وجهي، فما كان الظاهر يا ترى؟

هي أختك (سعاد) لم تكنْ عروس من قبل؟

وأي نعم ما كنت أبتسم سوى عندما تنظر إلى وتغازلني وها هي الحالة الفريدة حينها، من المؤكد أنني لم أحمل حينها وجه الغضب، والآن سوف تخبرني ما داعي التشاجر معك ليلة أمس؟؟

قال لي: لا أعلم ما المفترض ولكن هذا ما حدث وعندما حدث قد أخبرتك على الفور..

ثم انتهينا من ذلك الحديث الذي كاد أن يحزنني للغاية ولا أعلم لماذا كل هذا وما هو الداعي، وأخبرته أنني سأتحدث مع أخوته في الأمر ومن حين لآخر سأتحدث مع والدته..

وعندما ذهبنا من ذلك المكان تحدث معي فى أن من الجيد أنه قد تقدم لخطبتي وأن هذا من المفترض؛ لأنني ليس الفتاة التي ستستمر في العلاقة دون تقدم ولا هو الشاب ذلك أيضًا..

وعندما ذهبت إلى المنزل على الفور قد تحدثت مع أخته (هبة).

وقلت لها: قبل أي حديث أريد أن تعلمين أنني عندما علمت بك وحدثني (عادل) عنك أردت أن أتحدث معك.

قالت لي: من الواضح صدق ما تخبريني به والدليل على ذلك المعاملة التي قد رأيتها منك أمس.

قلت لها: بالطبع قد حدث سوء تفاهم.

لو كنتِ تعتقدين أن هذا مقصدي فإنك مخطئة للغاية.

قالت لي: حتى أنك لم تنظرين إلينا نظرة واحدة تجعلنا نشعر أنك موافقة على ذلك الزواج..

استعجبت من ذلك الحديث للغاية

ما هذا الأسلوب؟ وكيف لها أن تتفهم البشر بالخطأ هكذا؟

قلت لها: من المؤكد أنك مخطئة حقًّا.

لو كنت تحدثت معك قبل أن يتقدم أخاكِ لخطبتي كنت ستتأكدين أنك مخطئة حتى أنني عندما رأيتك قلت في ذهني يجوز أنك قليلة الحديث فكيف سأتحدث معك ونتقارب سويًّا.

قالت لي: لست قليلة الحديث ولا شيء ولكن أنت لا تعرفينني جيدًا.

قلت له: على كل حال تأكدي أن ماحدث سوء فهم لا مقصد به.. وقد انتهى الحديث على ذلك، وفي نهاية اليوم الساعة الثانية ليلًا، تحدث معي في الهاتف (عادل).

وقال لي: أنا أحبك للغاية لا أريد أن أتركك أو أقبل بخسارتك لا يمكن أن تبتعدي عني.

قلت له: كيف لك أن تقول هذا؟ أنا لم أتركك ولكن لماذا تتحدث هكذا ولماذا أشعر في نبرة صوتك بالبكاء.

قال لي: بل تأكدي أنا حقًا أبكي.

التشاجر يزداد هنا وهناك ولا أعلم لماذا ومتى سينتهي ما يحدث هنا.

قلت له: من المفترض أن تكون في غاية السعادة هذا الوقت.

كيف لك أن تكون هكذا؟

فلتترك الأمر لي ثقًا بالله وبي، وفي صبيحة اليوم التاني قبل ذهابي

إلى العمل تحدثت مع والدتي فالأمر وأخبرتني أنها ستذهب إلى منزلهم وتتحدث مع والدته، وعندما تحدثت معه وأخبرته بذلك شعر بالسعادة وطلب مني أن آأتى معها، ولأن حديثه سيف على العنق لم أكذب له خبرًا أو أرفض له أمرًا..

وعندما ذهبت إلى العمل بوركت من أصدقائي وأيضًا من الأشخاص الكارهين علاقتنا هذه، وقد سمعت الزغاريد هنا وهناك من حولي، وذهبت له في القسم الذي يعمل به وألقيت الترحيبات عليه ولكن الآن هو خطيبي وحبيبي أمام عامة الناس، وليس مجرد (دياسطي)، وتحدثت معه في أمر والدتي هذا وقررنا أننا سنذهب عقب العمل مباشرة، وعندما انتهى يوم العمل هذا التقيت به أنا ووالدتي لكي نذهب إلى منزله، وعندما ذهبنا إلى المنزل والتقينا بوالدته وأخته التي تماثله سنًا..

وبعد الترحيبات المعهودة تحدثنا في الأمور الحياتية وتحدثنا ببعض الهراء وكأن شيء لم يحدث حتى أننا اعتقدنا أنه قد بالغ في ما أخبرني به.

ثم قالت والدتي: لقد جئت إلى هنا؛ لكي أتحدث معك فيما قد أخبرني به (عادل).

وقالت والداته: كيف يحدث هذا من الأساس؟

ولماذا هذه المعاملة، لقد جعلتيني أتحدث مع ابني وأخبرته أنني أشعر أنه تقدم لابنتك رغمًا عنكم.

قالت أمي: بالطبع لا أنا لم أجبر أحد من بناتي على شيء وخاصة الزواج ولكن ما حدث ليس له داعي لكل هذا.

قالت والدته: ولماذا ابنتك تحدثت مع ابنتي وقالت لها أنها تعتقد أنها قليلة الحديث وكيف ستتحدث معها ويتقاربوا؟

ابنتي لست تلك الفتاة وتميل للفكاهية والهراء للغاية، ولكنها وجدت من ابنتك جميع الأساليب التي تجعلها تشعر وكأنها ليس لها حظ لها في زوجة الأخ، حتى أن الفتاة التي تقدم لها ابني من قبل كانت هكذا، كانت تريد أن تبتعد به عني وعن إخوته، وكانت لا تقبل بالمجيء إلى هنا لترى ماذا أريد، وكانت لا تحب بناتي...

ثم رد (عادل) وقال: حقًا فهي حتى لم تأتِ إلى هنا سوى عدة مرات لا يتخطو الأربعة، ولم تأتِ بالمجيء إلى والدتي، وكانت تريد أن تبعدني عن إخوتي، وذكر موقف لَم أستمع إليه من قبل.

وقال: ذات يوم في عيد الأم جلبت هدية لوالدتي ولم تروق لها فتحدثت معها أختى (سعاد).

وقالت لها: فلتأتي لتأخدي ما جلبتينه لكي لا تخسرين أموالك أو تحتفظين به لكِ.

فوالدتي لا تحتاجه، وتحدثت معي وقالت لي: (سعاد) أخبرتني بأن أذهب إليكم وأأخذ ما جلبته؛ لأن والدتك لا تريده فقلت لها: وما الخطأ هنا؟

هي تتحدث لصالحك أين الخطا؟

انتابتني الدهشة للغاية، يتحدثون عن الأشياء التي قد حدثت في المنزل دون مقصد وقد تفهموها على ذهنهم بالخطأ، وهم يتحدثون بكل إساءة عن فتاة جلبت لهم هدية مناسبة، كيف ذلك؟، وبعد بضعة دقايق كنت أتحدث مع (عادل) وفجأة نظر إلى أخته (هبة) ثم كاد ألا يبالي بما كنا نتحدث به وتفقد الهاتف.

وقال لي: فلتصمتي وتتحدثي مع أختي قليلًا، ولكنني لم أتحدث فما يحدث ليس له تفسير لدي الآن، حتى أنه كان يتحدث مع والدتي على الأريكة عندما ذهبت والدته لكي تتحدث في الهاتف وعندما انتهت والدته من الحديث جاءت إلينا وانفعلت عليه وقالت عليك القيام من هنا وتذهب إلى مقعدك!..

قال لها: حسنًا يا (ماما)!

نظرت لما يحدث حينها.

ما هذا؟

كيف يحدث هذا؟

لماذا أشعر وكأنه غلام في السابعة من عمره يأخذ الأوامر من والدته في أقل المواقف هكذا، هل هذا الشاب الذي تهتز له الشوارب في العمل؟

هل هذا الشاب الذي يتحدث معي لأوامره وأفعلها وكأنها حقًا سيف على العنق؟

كيف ذلك وهو هكذا في منزله يحاول أن يتقمص عليّ تلك شخصية الملك المتوج؟!..

ولكنني لا أبالي وكل هذه الأسئلة كنت أعتقد أنها هواجس وكنت أتحدث مع ذاتي قائلًا من المؤكد أنني مخطئة إلى حد ما ويوجد شيء أنا لا أتفهمه، وعندما ذهبنا إلى المنزل أنا ووالدتي أخبرتني بما دار في عقلها.

وقالت لي: فلتستمعي إليّ يا ابنتي، من الواضح أن والدته هي المتسلطة الوحيدة عليه في حياته، حتى أن إخوته يوافقونها فالرأي ومن يجلب لهم التشجيع والدته وإذا استمر ذلك للزواج فاعلمي إنك سوف تحظين بعائلة تختلف عنك في كل شيء، ولم يطمئن قلبي على ابنتي في أن تحظى بعائلة فيها الأم وبناتها هم المتسلطين على زوجها.

قلت لها: لماذا تقولين هذا يا أمي؟

هو لديه قوة شخصية في علاقته بكل من حوله، في عمله وفي حياته العامة ثم أنه شديد الانفعال معي إذا أخطأت.

قالت لي: أتمنى أن يستخيب ظني به، وعندما تذكرت ما حدث ليلة أمس وما قبلها.

شعرت أن والدتي صادقة فيما تقوله بالرغم من أنني لم أوافقها في الرأي، إلا أنني كنت أحاول أن أنكر ما رأيته ولكن قد قضي الأمر وأحببته، فسوف أحتمل كل ما أشاهده وأسمع به وكل ما مر وسيمر عليّ بخاطره ولأجله، وفي اليوم التالي أخبرتني أحد زميلاتي أن موعد

زفافها بعد عدة أيام وقد أخبرت (عادل) به وقرر أن يأتي معي، ثم ذهبت إلى العمل وتشاجرت مع أحد زملائي وكنت أنا المخطئة وقد علم (عادل) بالتشاجر ولم يفعل شيء سوى أنه نظر إلى نظرة غاضبة تفهت منها أنه غاضب مني، ثم اتجهت أنا وزميلتي إلى المحقق وانفعل عليّ للغاية.

وقال: لم يتغير أسلوبك أبدًا.

أنت حتى لم تراعِ من تقدم لخطبتك يجب أن تعلمين أنه إذا استمريت على ذلك النمط سَيتركك ولا يقبل ما يحدث منك، لم يحزنني حينها ذلك الأسلوب ولا الموقف ولا حديثه عندما انفعل على من انفعالي على زميلتي..

ولكن عندما تحدث عن (عادل) حينها لم أحتمل ما قاله، ثم قرر أن يجازيني حتى إن الجزاء لم يغضبني، ما أغضبني حينها هو حديثه عن(عادل) فقط..

ثم ذهبت على الفور إلى مقر عملي وتحدثت مع (عادل) في الهاتف، وكان صوتي مرتفع للغاية ولأول مرة منذ تعارفنا؛ لأن من المعهود أن (هدير) لا تعلو بصوتها على (عادل) أبدًاا.

وقلت له: من الذي أعطى الحق للمحقق لكي يتحدث معي هكذا؟

أنت تعتبره أخاك وتعزه حسنًا، ولكن هو ليس له الحق أن يتدخل في حياتي، وأنت من أعطيته ذلك الحق له فقط أن يتحدث معي في العمل

ويجازيني إذا قد قصرت فعندما يلزم الأمر بذكرك لم أقبل أبدًاااا.

قال لي: منذ متى وأنت ترتفعين بصوتك عليّ هكذا.

قلت له: هذا الصوت من أقل الاشياء التي تحدث في موقف هكذا.

قال لي: ولهذا السبب أنا لم أتحدث..

قلت له: لا بأس فلتفعل ما تريد ولكني لا أَمُر ما حدث ببساطة وسوف اتجه له لتقديم استقالتي من العمل بجانب أنني سأخبره بما أريد أخباره به..

ثم نهيت المكالمة وأغلقت الهاتف بوجهه وأنا لم أفعل ذلك من قبل.. ثم ذهبت له حقًا وقلت له أريد أن أقدم لك استقالتي الآن لم أضل في ذلك الشركة دقيقة واحدة بعد الآن، وقاطعني في حديثي الذي كنت سأستكمله.

وقال: وأنا لم أوافق، لن تتركين ذلك العمل سوى عندما تتزوجين من (عادل)، لم تذهبين من هنا إلا إلى منزله .

قلت له: ما تحدثت معي به في صبيحة اليوم لم يمر على ذاتي هين، لك أن تنفعل علي عند تقصيري في العمل، ولكن لماذا تحدثت معي في أنه سيتركني إذا استمر ذلك الأسلوب؟

قال لي: هل تعلمين مقام (عادل) لدي، هو ليس مجرد شيف يعمل بالشركة هو أخي الصغير، ومنذ أن تقدم لخطبتك أصبحت أن أعتبرك أختي الصغيرة أيضًا.

(عادل) ليس مثل الرجال الذين يميلون للحديث مع الفتاة فقط ليومين، هو يحبك للغاية ويستحق منك أن تتغيري من أجله

صوتك المرتفع أحيانًا وانفعالك سيجعله ينفر منك مهما كان درجة حبه لك.

قلت له: منذ أن تعرفت به وأتى لخطبتي وأنا أقدره كل التقدير، ولو كنت تتحدث معي الآن بمثابة أنك أخي الأكبر،

فأريد أن أخبرك أنني أحبه للغاية، هو حقًا كل ما يعنيني وكل ما لدي، لا أستطيع أن أزعجه ولو لوهلة، حتى أنه قد علمني أن أخفض صوتي وغير بي أشياء كثيرة للأفضل بل جعلني أشعر بالمميزات التي لم أشعر بها في ذاتي منذ نعومة أظافري.

ثم قال لي: على كل حال أنا لم أقصد أن أزعجك بحديثي ولكن اتخذيه درس لتتعلمي.

قلت له: لا بأس وكأن شيء لم يكن.

استأذن سيادتك!

عندما ذهبت إلى مقر عملى تحدثت مع (عادل) على الهاتف على الفور وعندما قام بالرد علي.

قال: فلتخبريني إذًا هل قدمتي استقالتك؟

قلت له: لا فهو لم يقبل بها، فهو تحدث معي وتفهمت الأمر.

قال لي: ما تخبريني إياه لا يعنيني، ما يعنيني هو فقط ذلك الأسلوب الذي تحدثتي معي به، هل يسعدك أن يراك أحد من أصدقائي وأنتِ تتحدثين معي بذلك الانفعال ويقولون في ذهنهم، (هدير) متسلطة وتنفعل على (عادل) كما تشاء.

قلت له: لم يرَني أحد ثم أنك لا تعلم ماذا حدث قال لي منفعلًا: أخبرتك أن كل ذلك لا يعنيني، تحدثت معك كثيرًا من قبل في أسلوبك وأخبرتيني أنك ستتغيرين وكنت أعتقد ذلك ولكن ما حدث لا يبدو كذلك، ولهذا السبب سأغيرك أنا من تلقاء نفسي، خيرتك من قبل ولكن الآن لم أخبرك، وستتركين الأمر لي.

قلت له: وماذا لك أن تفعل الآن؟

قال لي: ما بشأنك؟ لا تسألي؛ لأنني عندما خيرت لك تمنيت لو تختاري أنك تتغيري من تلقاء نفسك، ولأنك فشلتي سوف أتولى أنا الأمر، ثم ذهبت من العمل وفي طريقي للمنزل، تحدثت مع والدتي وأخبرتني أنها جلبت شيء لوالدته وتريد مني أن أذهب لأعطيها إياه، وتحدثت معه وأخبرته أن يأتي إلى لنلتقي ونذهب سويًّا ولكنه رفض، وعندما ذهبت إلى المنزل علمت أنه يتحدث مع والدتي في الهاتف ويخبرها بما دار.

وقلت لها: سوف أذهب الآن لوالدته بمفردي ولا أريد أن يلتقى بي ولا أريده من الأساس، فقط سمع تلك الجملة وغضب للغاية، ولكنه أتى والتقينا وذهبنا إلى منزله، وعندما ذهبت إليه ألقيت التحية على

والدته وإخوته وجلست بضع دقائق وأعطيتها ما جلبته لها ثم استأذنت للذهاب، ثم تفقدت درجات المنزل وعندما ذهبنا إلى الطابق الأسفل اشتدت (عادل) بيدي بقسوة وربط يداي في كفيه وكاد أن يلكمني وارتفع بيده اليمنى نحو وجهي.

وقال: ما هذا الذي فعلتيه؟

قلت له: لا تصفعني.

قال لي: بل سأفعل، أقل ما يحدث لامرأة ترفع صوتها على رجلها وتتحدث عنه ببذاءة، ثم سقطت دموعي من عيناي ولكنه عندما رأهم ترخى بيداه على يدي.

فقلت له: أريد أن أذهب للمنزل.

قال لي: سوف أأتي معك.

قلت له: أستطيع الذهاب للمنزل بمفردي، من فضلك اترك يداي فهي تؤلمني، ثم تركها وذهب معي لإحدى المواصلات، وعندما صعدنا وجلس بجانبي زغزغني في يساري لتثير ضحكتي حتى يراها، حقًا أنه كان حنونًا للغاية حتى في تلك الضراوة، ثم اتجهت بذاتي لأجلس بعيدًا عنه قليلًا، وعندما وصلنا إلى طريق منزلي لم يتركني أذهب إليه.

وقال لي: متى ستتغيري إذًا؟

قلت له: لو كنت رأيت وسمعت الذي قد حدث لي كنت ستحتمل.

قال لي: لم أحتمل أحد.

قلت له: بل تتحملني؛ لأنك لست بموقفي هذا.

قال لي: هل تعلمي ما هو شعور الرجل عندما ترفع امرأته صوتها إليه؟ يكاد أن يتركها؛ لكي لا تقلل من قيمته أمام الجميع

قلت له تتركني؟

منذ متى وأنت تقول ذلك الكلمة وكيف جرأت على نطقها؟

قال لي: منذ اللحظة التي وجدت فيها صوتك يرتفع عليّ.

فمن هو الرجل الذي يقبل بذلك ويستكمل في علاقة هكذا؟

قلت له: صرت دفونا بالأرض دون رجعة قبل أن أقلل بقيمتك أمام الجميع، لو لم ألقيك تاجًا فوق رأسي ما أستحق أن تأتيني تاج فوق رأسك مثل ما كنت تخبرني.

قال لي: لك أن تتخيلى إذًا، أنني وضعتك تاج فوق رأسي وأنتِ تلقيني بلا قيمة، وللعلم لم تذهبين لذلك الزفاف.

قلت له: ما هذا الهراء أخبرتك به وأخبرتني أنك ستأتي معي بالمجيء.

قال لي: لم أأتي معك ولم تذهبين من الأساس، والآن سوف تصعدي إلى منزلك، كاد غضبي أن يثور وكنت سأرتفع بصوتي للمرة الثانية، فلحق بي، وقال مسرعًا وغاضبًا: إياك أن يعلو صوتك مرة أخرى

فلتذهبي إلى المنزل...

هيا اصعدي

نظرت له بخوفٍ ممتزج بالغضب!

ثم قررها ثانية: أخبرتك أن تذهبي إلى المنزل.

هيا، ثم ذهبت، وعندما ذهبت إلى المنزل تحدثت إليه فى الهاتف وقلت له: لا تنزعج مني يا (حبيبي).

قال لي: وأنا لا أريد أن تنفعلي هكذا مرة أخرى.

قلت له: وأنت أيضًا، لا تخبرني مرة ثانية أنك ستتركني فأنت تعلم ماذا يعني فراقك لي.

قال لي: لا يمكنني أن أتركك أبدًا يا حبيبتي، ولكن فلتخبريني، أصبحتِ تعتذرين إذًا.

قلت له: كيف ألا أعتذر منك يا حبيب العمر...

وفي اليوم التالي وزفاف صديقتي.

قال لي: متى سنذهب للزفاف؟

قلت له: ماذا تقول هل تعتقد أنك تتلاعب برأيك معي؟

قال لي: ماذا تعنين؟

قلت له: صديقتي تحدثت معي في الأمر مساء البارحة في أننا

سنذهب للزفاف وأنا لم ألقَ بردي عليها.

قال لي: فلتلقي بالرد عليها وتخبريها أنك آتية أنت وخطيبك.

قلت له: حقًا لا أعلم ماذا أقول ليته كان من البداية.

قال لي: ألم يعجبك؟ قلت بل يعجبني للغاية وأيضًا يروق لي طالما منك أنت يا (حبيبي).

وفي مساء اليوم تزينت لذلك الزفاف ووضعت بعض الماكياج المناسب حتى انتظرته للمجيء، ثم أتى والتقينا وعند رؤيته.

قال: ماذا كل هذا الجمال هل أنتِ العروس؟

قلت له: لا، هكذا أنا أحلو عندما التقي بحبيبي.

وأتجمل وأتزين له، ولكن ما هذا أنا دائمًا مميزة واستثنائية لذاتي ولك.

قال لي: قد حسن اختياري بك يا حبيبة العمر.

وعندما ذهبنا إلى الزفاف وبوركت لصديقتي والتقيت ببعض أصدقائي عدت له لكي أجلس بجانبه وتحدثنا بعض الشيء عن أمور الحياة وبعد حوالي ساعة قررنا أن نذهب، وعند الذهاب ركبنا أحد المواصلات أنا وهو والسائق فقط، ثم سمعت في هذه المواصلة أغنية، ثم تميلت بأكتافي على حبيبي، فمن ذا الذي يراني أميل على كتفيه بأكتافي سواه؟

ومن يستحق اللين رغم الصلابة إياه؟

من له الحق أن يرى كل تلك الدلال الذي كان مخبى؟ ولكن لم أكن أعلم لمن مخبى!

ولكنه قد جاء له راكضًا، حقًا لقد كنت أحبه للغاية، وحقًا كان كل ما يعنيني، كنت أعشق به تلك الضراوة الحانية، كنت على أتم استعدادي لكي أحارب من أجله كل العالم بمفردي حتى أصل إلى عالمه.

حتى أنه الوحيد الذي جعلني ألين وأميل وأتدلل هكذا، الوحيد الذي ذهب لـ(هدير) بعيدًا ليجد في ذلك البعيد (بسنت)، وعندما ظهرت (بسنت) لم يكنْ لهدير وجود، ولكن يا ليت لم يعد لبسنت وجود من الأساس....

ثم بعد عدة أيام صار القيل والقال يفيضوا هنا وهناك بموضوع (نجلاء) و(كارم) وزادت الإشاعات وأكبرهم أن (عادل) أعطى ذلك الأموال لـ(كارم) ليفعل مع نجلاء الفاحشة...؟

وعندما علم (عادل) بذلك الإشاعة قد أخبرني على الفور.

وقلت له: أخبرتك من قبل أنه لم يطمئن قلبي وأنت لم تصدقني، فماذا نلت الآن من وراء تلك المصيبة، لم تنل سوى القيل والقال فقط.

قال لي: لك الحق تتحدثي هكذا ولكني أردت أن أعاونها، وعندما فاضت تلك الإشاعة في الشركة بأكملها كان بعض الزملاء يتحدثون معي في الأمر وكنت أقول لهم: (عادل) لم يخبئ عني أي شيء، أعلم كل شيء منذ بداية الأمر، هذا هو المعهود بينكم وفي تلك الشركة أنه من

يعاون يخزل..

وفي ذلك الوقت ومنذ أن تقدم لخطبتي ومن قبلها أيضًا، وأنا أتحدث مع والدته في الهاتف باستمرار، منذ اللحظة التي أخبرني بها أنه يريد أن أتحب عند والدته، فلم أكذب له خبرًا وعلى الفور حقًا فعلت ما قد أمرني به، لم أعلم ماذا فعلت لكي يحدث كل ذلك بي..

ثم قررنا أن نذهب لرؤية المنزل الذي سنتزوج به، حتى تقابلنا أنا وعائلتي به وبوالده للذهاب هناك، أنا أسير بجانبه وباقيتهم أجمعين يسبقوننا، يمسك بيدي أمامهم وأمام عامة الناس فهو حبيبي أمام قلبي وأمام الجميع، يزداد الهراء بيننا للغاية في الطريق.

ويقول لي: أشعر وكان قلبك لا يهاب، هل لأن عائلتك معنا فتحتمي بهم.

قلت له: أنا أحتمي بك فقط.

قال لي: في كل مرة تغازليني فيها بتلك الكلمات تجعليني أتوقف حقًّا عن الرد ويتوقف الزمن حينها!..

قلت له: لا حديث أمام عيناك يا حبيب العمر.

ثم رقدنا نحو المصعد حتى باب المنزل، الذي سيشهد على كل جميل يحدث به، هنا سأره كل يوم وكل دقيقة بل كل ثانية، هنا سأستيقظ على وجهه وأقبل وجنتاه في كل صباح؛ لكي يحلو صباحي، هنا سيركضون ويلعبون أولادنا هنا وهناك، يقضى يومه في العمل وعند انتهاء يومه

يأتى إلى هذا المنزل يجدني أنا وأولاده وطعامه الذي جلبته له بقلبي وليست بيداي، هذا المنزل الذي سأرعاه وأكون به أمنة مستأمنة مثل ما تمناني به..

وعند دخولى إلى المنزل ومشاهدة أركانه شعرت وكأنني في مقر الأمن والأمان، ثم جائني.

وقال لي: هل راق لك المنزل؟

قلت له: بالطبع بل أنه كبير للغاية!

قال لي: كيف كبير فهو يحتوي على ثلاثة أركان فقط.

قلت له: أردت من الله أن يجمعني بك في ركن صغير بعالمك، فذلك المنزل أكثر مما تمنيت، فأنت السكن والسكينة والأمن والأمان فبالطبع كل ذلك أكثر مما ينبغي.

قال لي: حفظك الله لي يا حبيبتي، ثم قرر أبي بعد عدة أيام أننا سنذهب إلى الإجازة المصيفية، فخشيت أن نقوم باحتفالية الخطبة عقب الإجازة المصيفية؛ لأني حينها سأصبح سمراء اللون أنا وأفراد عائلتي، فكيف تتم ذلك الخطبة هكذا، ثم أنه قد مضى أكثر من شهر على قراية الفاتحة وحينها قررنا أن نحتفل بالخطبة بعد شهر فقط، فتحدثت معه والدتي في الأمر وقررنا أن نقوم باحتفالية الخطبة يوم الأول من شهر أغسطس، ولكن لا أعلم لماذا كان حينها لم يبدُ طبيعيًّا معي، فقد أعطاني بعض الأموال لحجز الأشياء المعهودة مثل الفستان والمقر التصويرى

والماكياج.

فقد حرم على تلك فرحة المجيء معي للحجز مثل أية عريس وعروسة، كنت أود أن يختار معي الفستان، كنت أود أن يتحدث هو مع المصور، حتى أنه لم يجعلني أشعر وكأنني عروس تذهب للحجز مع عريسها، وعندما كنت أطلب منه ذلك الحق، ينفعل علي ويقول: أنا في العمل الوردية الليلة وأظن أن هذا أهم من كل تلك التفاهات..

فلم كنت أنطق وقد حجزت بمفردي حقًا كل شيء، ما عدا مقر الخطوبة ذهب ليراه بمفرده، ثم تحدث معي في أنه قد تم العثور على مقر مناسب.

وقلت له: سوف أأتي معك لكي أراه.

قال لي منفعلًا: ولماذا ترينه أتعتقدين أنك عروس؟ لماذا تعطي الأمور هكذا أكثر مما ينبغي.

قلت له متعجبًا ومنفعلة: أعطيت الأمر أكثر مما ينبغي متى؟ أليس هذا من حقي؟

قال لي: أخبرتك أكثر من مئة مرة أن تخفضين صوتك عند الحديث معي، ولذلك السبب سوف أغلق الهاتف بوجهك..

حقًا

قد غلقه في وجهي، لا أعلم لماذا؟

هل لأنني ارتفعت بصوتي، لا بأس إذا كان هذا الأمر فهو أخبرني أنه سيغيرني بطريقته، ولكن لماذا؟

لماذا كل هذا الانفعال؟

هل لأنني فقد أردت أن أذهب معه لرؤية المقر؟

بالطبع لا فالأمر يبدو أكثر من ذلك، حتى أن أمر الحجز لم يهتم به إلا عندما كنت أخبره به.

كم سيكلف الفستان، وماذا قال لي المصور، وأين حجزت الماكياج..

وفي اقتراب عيد الأضحى المبارك.

والمعتاد ذلك الوقت أنه يضحي بأحد البهائم وقبل عيد الأضحى بأيام أخبرني بذلك وقرر أن نأتي في تلك الضحية أنا وأفراد عائلتي وتحدث معي فى ذلك الأمر وتحدث والده مع والدي وأخبره أن يأتي في ذلك اليوم، وفي صبيحة يوم الأول من عيد الأضحى المبارك ذهبنا إليهم متأخرين قليلاً.

وعند اللقاء تقابلت بوالدته ووالده أولًا وألقيت الترحيبات عليهما ثمَّ سألت على إخوته وعند الذهاب إليهم وعندما ألقيت عليهم التحية رأيت بأعينهم ذلك الترحيب وكأنني من الأعداء، لا أعلم لماذا ولكن هذا ما حدث، حتى جاء أبي وألقى عليهم أجمعين التحية.

وقال: كيف حالك يا أم (عادل)؟

وقال لأخوته: كيف حالكما؟

ولكنهم لم يردوا بالترحيبات!..

أبي؟ ذلك الرجل الذي يقف له أصحاب القرى وله كل التقدير وسط عامة جميع الناس.

يأتيان فتاتان من عمر بناته يتجاهلون ترحيباته المشرفة؟

وبعض بضع دقائق قد تم الذبح وجاء (عادل) إلى لالتقطه بعض الصور مع عائلته ومعي، وعند الانتهاء من ذلك العادة جلسنا معًا جميعًا وحملت بابن أخته (سعاد) على قدمي وجائت أخته (هبة) التي تماثله سنًا.

وقالت له: لماذا لا تبكي؟ هل لأنك جالس على قدم امرأة خالك البذيئة!، ضحكت أنا ولا تعنيني تلك الكلمة واتخذتها بالهراء، وذهبت للرد على هاتفي للتحدث مع إحدى صديقاتي، ولكن قد سمعتها أختي (جنى) وأخبرت والدتي، وقد أخبرت والدتي والدته وقالت والدته: هذا هو الهراء المعهود لـ(هبة)، حتى أنها مع الصغير والكبير هكذا، وانتهيت من مكالمتي الهاتفية.

وقالت لي والدته: هل أزعجتك ابنتي بكلماتها.

قلت له: لماذا تتحدثين هكذا هي مثل أختي وتهرء معي وأنا لم أنزعج من الهراء من الأساس، ثم نظرت للحظات على (عادل) ورأيته ينظر إلينا ولكنني لم أعلم لماذا ينظر، كنت أبتسم له قليلًا ولكنه لم يبتسم لي

وكان ينظر لما يحدث فقط، ثم قررنا أن نذهب إلى البيت، فناديته لأخبره أنني ذاهبة.

قال لي: هل ستذهبي للتنزه مع أصدقائك.

قلت له: بالطبع.

ثم ذهب لإعداد ما كان يفعله.

وألقيت أنا التحيه عليهم وعند إلقائي على (هبة) قالت لي: هل أزعجتك كلماتي؟، والدتي تقول ذلك.

قلت لها: لا أعلم ماذا حدث من الأساس فأنا لم أتحدث في شيء وقد أخذ الأمر أكثر مما ينبغي أعلم أن ذلك كان هراء، ثم ذهبت أنا وأفراد عائلتي، تحدثوا معي فيما حدث وقالوا لي:

كيف حدث ذلك؟ أيجوز أن يلتفت أحد وجهه عن أباك ولا يرد على ترحيباته؟

لم يستحقون هذا الشرف، كيف كانت عاداتهم وتقاليدهم التربوية لفعل ذلك الشيء؟، وتسبك هكذا أخته وعندما نخبر والدته تقول أنها هكذا مع الأكبر والأصغر؟، هل تفتخر بأن ابنتها لا تحترم أحد؟...

ثم كاد الحديث يفيض هنا وهناك بداخل المنزل وأنا لم أستطعْ القول حينها، حتى سمعت أختي (فيروز).

تقول: تسبك أنتِ؟ إذا ما المفترض أن يحدث بها تلك الفتاة التي

تجاوزت سن الزواج وحتى الآن لم يقترب منها رجل.

قلت لها منفعلة: كيف لك أن تتحدثي هكذا عن فتاة مثلك؟

نعم، لقد قلت هذا.

انفعلت على أختي الأكبر ولم أحتمل على أخت (عادل) كلمة تمسها في الغياب، لا أعلم أين كان عقلي حينها، انفعل على أختي التي كادت أن يحترق قلبها على أختها من سب تلك الفتاة؟

هل (هبة) هي التي أصبحت أختي؟

هل أفراد عائلة (عادل) أصبحوا أفراد عائلتي؟

حقًا أنني بلهاء، ثم ذهبت من أمامها إلى الغرفة، وفعلت الخطأ الذي جعلني الآن أوقن بأنني حينها كنت مغيبة لأجل (عادل) فقط، تحدثت مع أخته (هبة).

وقلت لها: أنا لم أنزعج منك، أنتِ مثل أختي لو كنتِ تعتقدين أنني حزينة مما حدث فأنتِ مخطئة.

قالت لي: من الأساس أنا لا أعلم ماذا حدث لكل ذلك كنت أهرء معك ليس أكثر من ذلك، ولكن سوف نرى ماذا سيحدث فيما قادم، وعندما انتهت المكالمة صارت كلماتها تنطق بأذناي كل لحظة.

(سوف نرى ماذا سيحدث فيما قادم).

هل تقصد أنها ستفعل ذلك مرة أخرى؟

نعم.

بالطبع نعم، ولكن حينها كنت أكذب ذاتي، لا أعلم ما نوع غفلتي حينها، كنت أعلم أنه سيحدث معي أكثر من ذلك فيما بعد وبعد البعد، ولكن، كنت مستمرة، كنت لا أريد شيء سوا (عادل)، حقًا!...

كالمرء الكفيف الذي لا يرى سوى عتمة ويريد شيء بشدة وذلك الشيء هو كل ما يريده بل كل ما يراه، فيركض إليه هرولاً ولا يهتم بتلك الصعوبات، ولا بعض الناس التي تلكمه وتركله، هو يسير فقط لذلك الشيء، دون نظر لأي شيء سواه، وعندما يصل إلى ذلك الشيء يرى أنه لا شيء سوى (سراب)..

ثم بعد ذلك ذهبت للتنزه أنا وأصدقائي المقربون وللمرة الأولى أشعر وكأنني ليست متحمسة للتنزه، بل ليست لأي شيء

فقط ما يدور في ذهني ما حدث، انفعالي على (فيروز) وكأنها ليست أختي، وحديث أخته (هبة) معي عندما أخبرتني أنها سترى ماذا سيحدث فيما بعد، فقررت الخروج من تلك الدوامة، قررت أن أتركه، نعم، سأتركه، هذا هو الحل الوحيد دون وجع، دون تفكير سلبي، دون مخاطر، دون اختلاف، دون ألم، دون تشتت، فقد تحدثت مع والدتي في الهاتف.

وقلت لها وأنا أبكي: لا تنزعجين يا أمي سوف أتركه.

قالت لي: كيف تقولين هذا هو يحبك للغاية؟

ستعيشين معه هو بقية حياتك وليست معهم، لا تأخذين هذا القرار، خطبتك قد اقتربت يا ابنتي.

قلت لها بل سأأخذه يا أمي وأخبري (فيروز) أنني مخطئة بحقها وأخبريها أيضًا أنني أريد مسامحتها على ما فعلت، وقد قررت أن أفيق فيما أنا عليه بهذا القرار، وعند ذهابي إلى المنزل لم أتحدث مع (عادل) أبدًا، مر يوم وراء الآخر وأنا حديثي بمقدار، لا أريد التحدث معه حقًا، وبعد انتهاء عيد الأضحى بأيام.

قررت أن أتركه حقًا ولكن لا أعلم كيف سأخبره؟

كيف سينطق بها قلبي قبل فمي؟

ليس بهين ذلك القرار ولكنني متعبة للغاية، شعرت وكأنني في جمرة من النار ما بين كل ذلك وتلك، وفي ذلك الفترة كنت لا أطيق الحديث معه، وهو أيضًا كذلك، ولكن انتظرت أن يتحدث معي في الهاتف وانفعلت بخلاف على أمر تافه، وصار الانفعال بيني وبينه يزداد.

وقال لي: ألم تشعرين أن تلك العلاقة أصبحت تدل على الفشل؟

قلت له: بل أشعر كل الشعور ومن قبل أن تشعر أيضًا فلصالحي وصالحك ألا نستكمل، لا أريد الاستكمال مع شخص لا أعني له شيء حبيبته وخطيبته أمام الجميع فقط، بالله أخبرني! هذا العيد الأول لنا سويًّا هل جئت لقضاء بعض الأوقات معي، هل محب لك تلك الأسلوب الذي صار بيننا في آخر فترة.

قال لي غاضبًا: حديثك هذا سيجعلني أشعر وكأنني أريد الانتحار، ولكن أريد أن أخبرك شيء، مثل ما تشعري تجاهي بمظلمة، فأنا ظالم ذاتي وكل من حولي أكثر منك كل الظلم، ولكن لا تنزعجي سوف نصل إلى حل لذلك الأمر، ثم اتفقنا على أن نلتقي ونتحدث في هذا الأمر، وسنرى هل سنستطيع الاستكمال أم سيذهب كل منا من مقر ما جاء، وفي صبيحة اليوم التالي ذهبت إليه في مقر عمله ألقينا التحية على بعضنا البعض.

وقلت له: سنلتقي اليوم.

قال لي: بالطبع سنلتقي ليلًا.

قلت له: حسنًا.

وعند الذهاب إلى مقر عملي نادني مرة أخرى.

وقال لي: ما نوع البارفان الذي وضعتيه الآن أشعر وكأنني أعرفه.

قلت له: هذا نوع برفانك، ثم رأيت على وجهه ابتسامة لم أراها منذ أيام بمثابة السنين، فذهبت من أمامه وصرت أسول لنفسي، هل سأتركه؟ هل اليوم سيكون أخر وقتي معه؟

لا أريد أن أتركه بالطبع، ولكن أريد فقط الطمأنينة لا أريد الخلاف بين الأهل والعائلة، لا أتركه ولا بضع لحظات ذكرت ذلك بذهني حتى ما كنت أنطقه كان وقت غضب شديد كعادتي عندما أتفوه فقط بأي حديث، فما هي حياتي دونه من الأساس، ثم بعد دقائق تحدث معي

في الهاتف ليخبرني أنه ذهب من العمل، وسمعت صوته حزين للغاية كالصوت الحزين الذي سمعته من قبل عندما تحدث معي عقب قراية الفاتحة.

وقال لي: لقد مضيت من العمل.

قلت له: ما نبرة الصوت هذه، هل تبكي؟

قال لي: لم أبكِ

قلت له: إذًا ماذا بك؟

قال لي: لا بأس.

قلت له: أريد أن أخبرك شيء.

قال لي: تفضلي.

قلت له: اتتركني اليوم.

قال لي حزينًا: ولو لمرة قد مر ذلك على ذهني ولا بالي، بل أنتِ التي تريدين ذلك ونطقتي بها.

قلت له: ليس في ذهني ولكن!... هل يروق لك كل تلك الخلافات؟

حتى أنها ليست العائلة فقط، بل نحن أيضًا، أصبح كل منا لا يطيق الآخر في كل شيء.

قال لي: اليوم عندما سنلتقي سوف أخبرك عن حقيقة أمري!...

ثم انتهت المكالمة وانتهى يوم عملي وذهبت إلى المنزل وعندما حان وقت أن نلتقي تحدثت معه في الهاتف وأيقظته من النوم ثم ارتديت ملابسي ومضيت من المنزل ثمَّ التقينا..

(الفصل الخامس)

(اللقاء بالجبابرة)

ذهبنا إلى أحد الأماكن العامة، وتحدثنا في بعض أمور الحياة أولًا ثم جاء وقت الصمت قليلًا..

حتى قال لي: هل صرت أروق لكي أو أصبحت كما أنا من قبل؟

هل ذلك الوجه والجسد هم من كانوا من قبل؟

قلت له: التغيير ليس في كل هذا ولأنني أحبك أراك مميز في كل شيء وأنا لم أتجامل بك، حقًّا ما أقوله صادق، بل لا توهم أنت ذاتك أنت طيلة العمر نحيف الجسد، ماذا جد بعد؟

قال لي: لا أتوهم كل من حولي يرون ذلك والدتي قالت لي أنني صرت أكثر نحافة أصبحت لا أبالي بمظهري مثل ما قبل

أصبح لا يعنيني ذلك الاهتمام بذاتي.

قلت له: ولماذا كل هذا لماذا ذلك الشعور؟

ما حدث في اختلافات الفترة الأخيرة يجوز أنه سبب في كل ذلك.

قال لي: ألم تلاحظي من الأساس أن تلك الخلافات قد حدثت مسرعًا، يجوز أن يمرء الوقت اللازم لهذه الخلافات وليست بتلك هذه

السرعة.

قلت له: هل تعتقد أنني تسببت بها أو أنا طرف بها أو حتى تروق لي أو تم اختيارها تحت إرادتي وقيادتي؟

قال لي: لا ولكن أنا متعب للغاية.

شعرت وكأن القدر يفعل ما فعله معي من قبل فى خطبتي الأولى مرة أخرى، في كل شيء، في البداية، والخلافات الأهلية، والأمور المشتتة، مثل ما ركضت مسرعًا في الأمر من قبل، ركضت مسرعًا هذه المرة أيضًا.

قلت له: كيف؟

قال لي: في خطبتي الأولى علم أحد أخواتها بالأمر فقررت أن أأتى لخطبتها على الفور؛ لكي لا تتأذى وأتيت لها مسرعًا وكان أكبر أخطائي، والآن معك! اختلفت أنا وأختك الأكبر في الحديث وأردت ألا أتفهم بالخطأ وتحدثت مع والدك ثم والدتك ثم تقدمت لخطبتك على الفور.

بجانب أنني غير مستعد للخطبة يوم الأول من أغسطس وليست مستعد ماديًا.

قلت له: من الذي قرر هكذا من الأساس..

قال لي: حتى ذلك القرار في هذا الميعاد كان تحت كل الضغط منك، لم تأتِ لتتحدثي معي في الأمر حتى، هل أنا مستعد ماديًّا أم لا، هل تحدثت مع والدتي وإخوتي في الأمر أم لا، أشعر وكأنني عجلت في كل

الأمور، حتى في أمري معك.

في الفترة الأخيرة شعرت وكأنكِ غريبة عني وعندما يحدث لي أمرًا أريد الحديث معك فيه أراجع ذاتي في الأمر وأحدث نفسي وأقول لا بل هي لا تتفهمني ولا تشعر بي، ليس لها سوى التشاجر على أقل وأتفه الأمور والأسباب، كل ذلك يدور في ذهني ثم أتراجع عن أمر أنني سأتحدث معك فيما يزعجني في الأمور الحياتية.

قلت له: وماذا عني في حياتك، ماذا أفعل أنا؟

قال لي: لا أعلم.

قلت له: طالما الأمر هكذا فلنبتعد إذًا، نترك بعضنا البعض ونتفق على ذلك.

ونخبر أفراد عائلتنا باتخاذ ذلك القرار، وعلى كل حال في أمر الحب والتعلق فسوف نعاني بعض الشيء ولكنها ستمر.

قال لي منفعلًا: لماذا تجعليني أندم أنني أخبرتك إذًا؟

أردتي القول والحقيقية وقد أخبرتك.

وبدل من أن تبحثين معي عن أمر تخبريني ألا نستكمل تلك العلاقة؟

أريد فقط أننا سنؤجل تلك الخطوبة إلى الوقت الذي يناسبنا، لا أخبرك بالإلغاء أخبرك بالتأجيل فقط.

قلت له: لا بأس في تأجيل الخطبة، ولكن ما يحدث لم يكن متوسمًا،

تلك خلافات العائلة تمسني مثل ما تمسك، لا تجعلني أشعر وكأنك تعاني منها وأنا سعيدة بها، وأيضًا لماذا تتحدث عنهم هكذا في كل حديث والدتي وإخوتي، والدتي وإخوتي، والدتي وإخوتي..!

لقد سئمت من ذلك، أنا لم أكره عائلتك فهم فوق رأسي حقًا؛ لأنهم عائلتك وسيصبحون عائلة أولادي، ولكن كل ما أريده فقط هو الطمأنينة والأمان أن أحتمي بك منهم ومن كل شيء، أريد أن أراك خلفي في كل موقف يحدث معي..

ولكنه صمت!، لم يقل شيء!، ثم قمنا بالقيام من الجلوس في المكان العام هذا، وعند السير إلى منزلي اتفقنا ألا نبتعد، سوف نجد ألف أمر وأمر يجعلنا ألا نترك بعضنا البعض، ومسك بيدي كعهدته اللمسة التي تأتيني من فقرة الموت للحياة مرة أخرى، وقد استمر السير إلى المنزل ببعض الهراء كعادتنا، وعاد كل مننا للآخر وكأنه لم يحدث شيء...

وفي اليوم التالي تحدثت مع والدتي في الأمر.

وقالت لي: حتى أنه لم يجعلني أشعر لثانية واحدة فقط أنه معترض ولا يناسبه الميعاد، ولكن لا بأس، وأنا على أتم استعدادي أن أسلفه مالًا، بل كل الأموال التي يريدها، لكي لا يشعر أنني ضغطت عليه، ولأنني حقًا اعتبره بمثابة ولدي الذي لم أنجبه بعد، وبالفعل!، تحدثت معه في الأمر ولكنه رفض.

وقال لي: لا تنزعجي مني فأنا لا أستطيع فعل ذلك، اجعلي الأموال في مقرها ويفضل أن نؤجل الخطبة لأيام أفضل من أن يحدث ذلك، ثم

أخبرت والدتي أنه لم يقبل وتحدثت والدتي معه في الأمر ولكنه رفض للمرة الثانية..

وبعد عدة أيام جاء ليقضي معي بعض الأوقات في المنزل، ثم وجدته يتحدث مع والدتي ويقول لها: لا تنزعجي فأنا تحدثت مع (هبة) أنا ووالدتي ووالدي وأخبرناها ألا تتحدث مع هدير بتلك الطريقة مرة أخرى بالهراء أو غيره وانفعلنا عليها للغاية.

قلت في ذهني متعجبة: ولكن لماذا لم تقل لي هكذا؟

حتى أنك لم تراضيني، لم أستمع منك كلمة واحدة تدل على أن غضبي لا يطاق لك، أنت لم تتحدث معي في الأمر حتى تخبر والدتي أنك انفعلت عليها، بل ماذا عني أنا؟

لم أفضل أبدًا أنك تنفعل على أختك بل أريد فقط أن أشعر أن حزني ليس هين لك!، ولكن هل ذلك حدث بالفعل أم أنه يكذب ليرضى والدتي فقط؟

ثم قضينا بعد الأوقات معًا وتحدثنا في أننا لماذا لا نجعل لنا يومًا مخصص في الأسبوع لنلتقي ونتنزه؟

ثم اتفقنا حقًا على يوم في منتصف الأسبوع..

وبعد أسبوع بالتقريب قررنا أن نلتقي للتنزه، وكالمعهود ارتدى ثيابي قبله ثم أتحدث معه في الهاتف حتى يستيقظ من النوم ثمَّ استكمل التزين..

وعندما انتهينا من ارتداء ملابسنا، تحدث معي وجاء لكي يأخذني من أمام المنزل، وعندما رآني قال لي:

ما هذا الجمال تبهرينني دائماً في كل مرة نلتقي فيها، حتى أن العدسات اللاصقة تليق بك للغاية بل إنها قد حليت بعيناكِ.

قلت له: أنت دائماً تقول لي ذلك، فما الجديد، هكذا أنا طيلة العمر وهذه العدسات اللاصقة لم أضعها لك من الأساس، ثم نظر لي نظرته المغازلة المعهودة وأمسك بيداي وكأنني سوف أركض هروبًا، ثم ذهبنا إلى أحد الأماكن العامة والتقينا بعض الصور التي قد جمعت ضحكتنا وجمعت كل الحب، الصور التي يتم التقاطها فقط لتصير (ذكريات) وعند السير قال لي: سوف نقرر يوم آخر في الأسبوع أي نلتقى يومان في الأسبوع للتنزه، بجانب المرات التي سنلتقي فيها لبضع ساعات قليلة، حقًا؟

كان يبدو عليه أنه يريد البقاء معي لقضاء أكثر الأوقات، كان يفعل بيدي شيء يجعلني أشعر بشعور لم ينتابني من قبل، كان يلمس بطن يدى بالوسطى والسبابة ويهمس بهم، كان يفعل ذلك حتى في غفلته أو عندما يكون في شرود ذهنه ببعض الأمور الحياتية وفي أي مقر نكون فيه، أحدهم عندما كنا في عيادة دكتور، وأحدهم عند السير في الطريق، وأحدهم عندما كنا نجلس في أحد المقاهي، كانت تلك الحركة تلقائية له، كنت أعشقها للغاية، كنت أشعر بها بأمان العالم بأكمله حقًا، كنت أشعر أنه يحبني، وغالبًا لا، بل لم أشعر معه ولو للحظة أنني سيئة بعيناه،

في كل مرة كان يراني فيها كان يجعلني أشعر وكأنه فخور بي كل الفخر، وفي اليوم التالي كتبت له خاطرة من خواطري وأرسلتها له وقلت فيها: مساء الخير يا سيدي وتاج رأسي وكل ما هو في هذه الحياة بالنسبة إليّ، هل قلت لك أحبك اليوم؟!

هل تعلم أنك أول دنياي والذي أتمنى أن يبقى معي لأخر دنياي، أنت الذي جعلني أبتسم وأتأمل للحياة ولأول مرة وستكون المرة الأخيرة عندما تنتهي حياتي بين يديك، فأنت العوض التابع إلى الله عز وجل، وأنت الماضي والحاضر والمستقبل، فقد استغنيت عن حياتي دون نظر ودون مبرر ودون سبب ودون تفكير؛ لكي أبقى معك طوال حياتي مطمئنة أنني زوجتك، فالآن أنت معي وفيما بعد ستبقى معي حقًا طوال الوقت والعمر، اكتب لك هذا وكتابتي مهما طالت مئة ألف سنة لن تكفي مدى حبي لك، وحتى إذا ضَليتُ طوال العمر أتحدث عنك لن تأخذ حقك بمجرد حديث، مهما كان مداه فهو قليل للغاية أمامك يا سيدي، وإذا اجتمع الشعراء الراحلون والباقيون على أنهم يصفونك لن يعطيك أحدًا منهم حقك فوصف الجمال..

دمت لي سندًا وعزوة ونفس تطمئن قلبي بها وعندما أستمع منك إلى كلمة أحبك تضيء حياتي أكثر مما تضيء لعيناك، وعندما أنظر إليك وأراك تبتسم لي أشعر وكأنه العالم هو الذي يبتسم، عندما أستمع إلى كلمة حبيبتي لن تتسع الدنيا فرحتي ولا دقات قلبي المنصتة، أدامك الله لي صاحبًا وأخًا وحبيبًا وخطيبًا ثم زوجًا بإذن الله، فلا أنا أستطيع

أن أعشق سواك ولا يوجد فهذا العالم رجل سواك أراه لكي أعشقه أساسًا، ولا أنت ستجد امرأة تعشقك كل هذا العشق القليل للغاية أمام عيناك الجميلتان..

ثم بعد رؤيتها.

قال لي: لا أستطيع القول أمام تلك الجمل والكلمات أنا فقط أسول نفسي، هل يحبني الله للحد الذي يجعل امرأة مثلك تعطيني كل ذلك العشق، احمد الله عليك يا قرة عيناي، وبعد عدة أيام اقترب موعد الإجازة الصيفية وكانت بعد يومين..

كنت أشعر أنني لا أريد أن أرحل كنت أود أن أخبرهم أنني سأقيم هنا فترة الإجازة الصيفية؛ لأنني لا أريد الابتعاد عن (عادل)، سبعة أيام؟

أي مئة وثماني وستون ساعة، كل تلك المدة سأبتعد عنه، كيف أستطيع، اعتدت على رؤيته في العمل كل يوم، والتلاقي كل يومين، والتنزه يومين في الأسبوع، كيف سأرحل هكذا وأستطيع البعد عنه؟، ولكن ما بيدي حيلة، تم إعداد الحقائب وتجهيزات ما يلزم واتفقنا أن نلتقي في آخر يوم ما قبل السفر، ارتديت ثيابي ووضعت الماكياج وذهبت من منزلي؛ لكي ألتقى به، وعند رؤيته ولأول مرة أشعر وكأنني لا أود الذهاب من أمامه ولا أود الغفلة لمدة لحظة للعين، أود أن تملئ عيناي به فقط، يلتصق أمامها حيث في السير يكون أمامي، كنت أشعر وكأنني أريد أن أنظر إليه لمدة مئة وثمانية وستون ساعة مثلما سأبتعد عنه

مثلهم..

تلك المرة كنت أنا التي أحمل تلك النظرة المتغازلة، أنا من أراه أجمل ما في الكون بأكمله، أريد أن يتوقف الزمن اللعين عند تلك اللحظة، لا أريد الترحال ولا أريد الذهاب من أمامه ولا أريد ولا أستطيع أن أتركه كل تلك المدة، حتى تفوه فمي.

وقلت له: لأول مرة منذ نعومة أظافري لم أود الذهاب إلى الإجازة المصيفية هذه؛ لأنني حقًا سأشتاق إليك للغاية!

قال لي: أنا أيضًا سأشتاق لك يا حبيبتي، ولكن لم نبتعد كل البعد ولا شيء، سوف نتحدث في الهاتف كل ساعة وكل يوم.

قلت له: لا تغنيني هواتف العالم عن رؤيتك يا حبيب العمر، ثم انتهينا من تلك التلاقي وعند المساء سافرت، كان بعيد عني كل البعد ولكنه كان أقرب الأقربين، لم تكن الكلمات التي أخبرته إياها مجرد كلمات، حقًا لا يغنيني أي شيء في العالم أمام عيناه، كنت التقت بعض الصور وأرسلها له.

ويقول لي: ليتك تعودي الآن اشتقت إليك يا حبيبة القلب والأعين، وكانت كل صورة يراها وكأنها أول مرة يراني، كانت بشعري المنسدل ولكنها لست أول صورة يراها لي بشعري وهو منسدل، ولكن يبدو أنه اشتاق إلى للغاية، ولكن وبالله لم يشتاق له أحد مثلي، وفي اليوم الرابع شاهدت واحد من إعلانات برامج التواصل الاجتماعي، لثياب أطفال، فلم يأتِ في ذهني حينها سوى أبناء أخته (سعاد)، فقررت أن

أشتري من ذلك الثياب اثنان لأبنائها التوأم، ثم طلبت إياهم من على الإنترنت وكان الاستلام في خلال عدة أيام قليلة وكانت ما بعد عودتي من السفر بأيام، وتحدثت معه في الأمر وأرسلت إليه صور الثياب وقد راقوا له للغاية، وفي ذلك الأسبوع لم أر يوم دون أن أطمئن على والدته وأتحدث معها في الهاتف، وفي ذات يوم قلت لها: أترين يا أمي أصبحت سمراء اللون كيف سنحتفل بالخطوبة وأنا هكذا؟

قالت لي: بل نحتفل يا عروس ثم إن ذلك اللون فقط من الإجازة المصيفية هذه أسبوع تلو الآخر...

وفي اليوم الأخير ذهبت أنا وأفراد عائلتي لشراء الهدايا للأقارب والأحباب، فجلبت له أسورة ليضعها في معصمه، ثم تم الإعداد والتحضير للعودة من السفر، وفي اليوم التالي فورًا اتفقنا على أن نلتقي، كنت أشعر وكأنني لم أراه منذ سنوات لم تمر بالساهل تلك الساعات التي قد مرت دونه، ارتديت أحد ملابسي التي يحبها ووضعت الماكياج وانتظرته ليأتي، لم يتأخر على ولكن الدقائق كانت تمر كالساعات لانتظار رؤيته، سأراه حقًا بعد بضع دقائق أنا سعيدة للغاية!

وعندما جائني ركضت إليه بخطواتي، وقلت له: اشتقت إليك للغاية حقًا اشتقت كل الاشتياق أشعر وكأنني أريد عناقك الآن، نظر إلي مبتسمًا.

وقال: أنا أيضًا اشتقت إليك يا حبيبتي، ثم ذهبنا لنجلس في أحد الأماكن العامة، ووضعت تلك الأسورة التي قد اشتريتها في معصمه.

وقال لي: ما هذا؟ جميلة للغاية سلمت يداك يا حبيبتي، وكأنني كنت أوضع تلك الأسورة بمعصمه كشيء يذكره بي..!

وبعد عدة دقائق كنت أراه أمامي وقلت في نفسي: اشتقت إليك يا (عادل) لا أريد الذهاب من أمامك أريد البقاء معك بقدر المدة التي ابتعدت عنك فيها.

وكنت أتغازل به وهو يموء بالنظر هنا وهناك ويعتقد أنني انتبه لحديثه ولكن حينها كنت فشرود تلك الإحساس الذي يراودني بتقبيله على وجنتيه حتى أتى عقلي بالحياء والخجل وقد اتجهت حينها إلى اختيار التقبيل على أحد كفوف أياديه، ولكنني مع بعض الوقت لم أشعر أنه حقًا مشتاق إلي، فلم ينظر لي كعادته ولا حتى جعلني أشعر أنه مشتاق لي اشتياق أحدهم عند رؤية حبيبته بعد عدة أيام طويلة، حتى إنه تحدث مع أحد أصدقائه في الهاتف دون إذني ولأول مرة يفعلها، لم يكن اللقاء حار، حتى كادت أعصابي تنفلت.

وقلت له: منذ متى وأنت تتحدث مع أصدقائك على الهاتف وأنت جالس معي.

قال لي: ثمة فتى ذهب من العمل منذ سنوات وسيعود غدًا فكان يخبرني ليس أكثر.

قلت له: لا بأس.

وبعد حوالي ساعة ذهبنا إلى المنزل، وفى اليوم التالي ذهبت إلى العمل

والتقيت به في مقر عمله ورآني من قريب

وقال لي مبتسماً: أصبحتِ سمراء اللون حقًا.

قلت له ضاحكًا: أصبحت أفضل بكثير من أن يكون هذا لوني الطبيعي يا أسمر اللون، أقل ما بها أنني سوف أتراجع عن بشرتي بعد عدة أيام ولكن أنت ستضل هكذا.

قال لي ضاحكًا: فلتذهبي من هنا إذًا..

وكانت المرة الأخيرة التي أقف فيها أمامه ضاحكًا هكذا أمام الجميع ولي كل الحق!..

وفي ذلك الوقت كانت صديقتي (كاميليا) سوف تقيم حفلة خطبتها يوم الحادي والعشرون من أغسطس، وكان (عادل) على علم بذلك الاحتفال؛ لأن من تقدم لخطبة (كاميليا) هو أيضًا صديقه، فقد اتفقنا على أنه سوف يأتي معي تلك الاحتفالية، وجاء يوم استلام ثياب الأطفال الذي جلبته لأبناء أخته (سعاد)، وكأنني كنت أدفع ثمن الفراق من قبل أن يحدث!..

وفي اليوم التالي قد اتفقنا على أنني سأذهب إلى منزله لكي أعطي (سعاد) الهدية التي قد جلبتها لأبنائها وكنت برفقة أختي الصغيرة (جنى).

"كان مساء الخميس التاسع عشر من أغسطس".

اليوم الذي لا ينسى مهما طال العمر وقد مرت الأيام وحتى لو حان

موعد الرحيل والقيام!..

أخبرت والدي أنني ذاهبة إلى هناك ولكنه لم يأبَ، ثم ذهبت إلى المنزل وعند الدخول ألقيت على كل من والدته أولاً ثم أخوته (سعاد) و(هبة) ثانيًا، ثم عند الجلوس.

قلت لـ(سعاد): لقد جئت إلى هنا لكي أعطيكِ هدية بسيطة أتمنى أن تروق لك لقد جلبتها لأطفالك.

قالت لي: ولماذا كل ذلك التعب؟

قلت لها: أين التعب؟ لا تتفوهين بذلك، لقد شاهدت الإعلان على الإنترنت ولم يخطر في ذهني حينها سوى أطفالك الصغار.

قالت لي: لا أعلم ماذا أقول لكي حقًا سلمت يداك يا (هدير).

وعندما أخذتهم راقوا لها للغاية حتى أنهم أعجبوا والدته وأخته (هبة).

ثم قالت لي (سعاد) أتدرين؟ أردت أن أجلب لهم مثلهم عند الولادة ولكنني لم أستطع؛ لأنني قد التهيت بتعبهم للغاية!

قلت لها: لا بأس فلقد جلبتهم أنا..

وكان يجلس بجانبي على ذات الأريكة (عادل).

ثم قالت لي والدته: حمدًا لله على سلامتك يا (هدير)، كيف حال والدتك ووالدك وإخوتك؟

قلت له: جميعهم بخير يا أمي.

قالت لي: ولكنك أصبحتِ سمراء اللون للغاية!

قلت لها: لا بأس بذلك، هذا فقط من الإجازة الصيفية.

قالت لي: بل أنك نحيفة للغاية!..

قلت لها: أنا لا أريد أن أمتلئ عن ذلك الوزن؛ لأنني من الأساس سوف امتلئ من بعد الزواج.

قالت لي: لا يجوز أبدًا ما تقولينه فعند احتفالية الخطوبة عندما يراكِ الأقارب والعائلة سيعتبون عليّ ويقولون ما هذه التي قد جلبتيها لابنك يا (سيدة) فهي سمراء اللون ونحيفة للغاية..

كيف سيلقون عليك الترحيب إذًا؟!

كاد وجهى أن يختبئ فى الأرض من كثرة الإحراج، هل تعتقدين أنني وصمة أم خطيئة؟ ولكن لم يكنْ الصمت حينها يجوز.

فقلت لها: ولكنني لست نحيفة ولست سمراء اللون من منظوري.

قالت لي: بل نحيفة.

أريد أنه عندما يلمس ابني جزء من جسدك يدري أنه ممتلئ وتروقي له..

اخبأت وجهي في الأرض حقًا تلك المرة وترجف جسدي خجلًا وحياءً، كيف تقول ذلك؟

ثم نظرت من حولي رأيتهم يضحكون!

(سعاد) و(هبة) و(عادل!..)

أي نعم (عادل) كان يضحك ولكن بصوت منخفض، رأيت الابتسامة على وجهه وكأنه يستمع إلى أحد النكات، ثم قال لي (عادل): لا نريدك أن تمتلئي للغاية يجوز فقط أن تمتلئي مثل أختي (هبة) هكذا، فهي ليست نحيفة وليست ممتلئة للغاية، وكان يموء بيده نحو أخته حقًا وأنا لم أقل شيء، فقط قلت له في ذهني..

هل أنت (عادل)!

ولم أدرِ ماذا أقول في ذلك الموقف، ثم قالت (جنى): ماذا تقولون أنتم بل هوَ أسمر اللون حقًا ونحيف حقًا وبالرغم من ذلك وافقنا به .

قالت والدته: لا تتحدثي يا صغيرة.

وقالت أخته الأكبر: نحن نتحدث مع زوجة أخينا ما شأنك أنتِ إذًا؟

تلك الكلمات أحرجت أختي الصغيرة للغاية!، ولكى ينتهي ذلك الحديث.

قلت لها: تستحقين ما قد قيل لك؛ لأنك تتفوهي فيما لا يعنيكِ، ثم نظرت لي (جنى) إلى نظرة لن أنساها أبدًا، وبعد بضع دقائق..

قالت لي والدته: يا (هدير) إياكِ والغضب مني نحن فقط نهرء

معك.

قلت لها: لا تتحدثي هكذا أبدًا فأنتِ مثل والدتي وأنا لا أغضب من والدتي أبدًا ومهما حدث..

ولكن كيف للمرء أن يخطئ بحق إمرئ بالتعمد ثم يعتذر منه.

"ولله المثل الأعلى"

عندما يفعل العبد الخطيئة عمدًا ويعلم أنها معاصي ثم يقول (استغفر الله العظيم)، لا بأس بالاستغفار ولكن عند الحساب يحسب عند الله ذنبين..

فكيف لها أن تتحدث معي هكذا وتخبرني تلك الكلمات ثم تخشى أن أكون قد غضبت، ما فائدة الاعتذار بعد أن قد حدث الخطأ عمدًا؟؟

ثم بعد دقائق نظر إلى (عادل).

وقلت له: غدًا سوف نذهب للاحتفال أنا وصديقاتي في منزل (كاميليا).

قال لي: لا بأس فلتذهبي، ثم أردت أن أذهب.

وقلت لهم: سوف أذهب الآن إذًا، ثم ألقيت عليهم الترحيبات وقلت لوالدته: عندما يأتي عمٍ (عبد الرحمن) والد (عادل) لك أن ترسلي له سلامي، وكيف حاله إذًا؟

قالت لي: سلمك الله ولكنه كالقرد!

ضحكت وقلت لها: أيوجد من تتحدث هكذا عن زوجها؟

قالت لي: بل يوجد هو حقًا قرد..

ثم جاء والده من العمل وألقى على الترحيبات وقالت والدته بسخرية: كيف حالك يا زوجي العزيز؟ منذ ثواني فقط أخبرتني عنك (هدير) وأخبرتها أنك بأحسن حال يا حبيبي.

ثم ابتسمت ابتسامة خفية، فقالت لي والدته: لماذا تضحكين؟ هل لأنني قلت عليه قرد، فما المشكلة؟ حتى أنه يعلم، فلم يهتم والده بالأمر وكان يبدو على وجهه كل الإحراج.

وقال لي: هل أنتِ ذاهبة يا ابنتي؟

قلت له: نعم.

قال لي: لماذا يا ابنتي؟ فلتجلسي إذًا.

قلت له: معذرة لا أريد أن أتأخر على منزلي.

قال لي: لا بأس يا ابنتي ثم ذهبت من المنزل وجاء معي (عادل) ليصل بي إلى أحد المواصلات، وعندما كنا على الدرجات زغزغ جنبي بأصبعه ونظرت له ضاحكًا ورأيته يضحك لي، وكأن هذه كلمة معذرةً..

أمام المنزل يتحدث (عادل) مع أختي (جنى) في أمور الحياة بعض الشيء وعندما انتهى من حديثه قال لي: من المفترض أن نذهب لشراء المصوغات غدًا.

قلت له: لا بأس فلتتحدث مع والدي فالأمر وتخبره.

قال لي: بالطبع سأفعل..

وصار يموء بيده إلى أحد المواصلات وركبنا إليها أنا و(جنى) وذهب هو إلى منزله..

لم أكن أعلم أن ذلك اللقاء الأخير، لم أكن أعلم أن ما حدث في اللقاء تلك المرة هو آخر شيء، آخر ضحكة وآخر زغزغة من حركاته المعهودة المتغازلة، وآخر مرة سأرى تلك عيناه الجميلتين.

(الفصل السادس)
(عالم دون صوت)

لو كنت أعلم..

كان سيصبح الأمر غير ذلك تمامًا.

لم يكنْ ذلك اللقاء.

لم تكنْ فقط نظرة مجردة ثم ركوب المواصلة، لم تنحنِ عيناي من أمامه وتنظر إلى شيء آخر، كان سيبدو الأمر أفضل من ذلكَ، كان سيبدو.... بل لم أجعله يذهب من الأساس، ومن هنا وقد انتهت رحلة المئة وتسعة وثلاثون يومًا..

نظرت إلى أختي (جنى) ورأيت وجهها غاضبًا!

وقلت لها: ما بك؟

قالت لي: أيروق لك ما يحدث في كل مرة تلتقي بهم؟ هل خلقك الله دون كرامة وعزة؟

هل تقبلين على ذاتك بالهين ما يحدث؟

قلت لها: بل لا أقبل ولا يقبل أحد.

ولكن تعلمين أنني محتملة فقط لخاطر (عادل) لأنني أحبه!

بل إنني سأعيش معه فقط وليست معهم، أي أقل من سنتان وسأكون في منزله هو وليس منزلهم.

قالت لي غاضبًا: ومن تتحدثي عليه الآن وتخبريني أنه لخاطره كان يجلس بجانبك على الأريكة ولم يقل شيء لخاطرك..

فلتخبيرني إذًا، الآن أنتِ تحتملين كل هؤلاء وتحتملين ما يحدث لأجل شخص يفعل مثلهم تمامًا.. فماذا الآن؟

ماذا تفعلي إذا؟

سقطت تلك الكلمات على عقلي كالصاعقة

حقًا ما تتفوه به (جنى) هو الصواب..

فالمرء يحتمل المصاعب من أجل شخص يحتمل من أجله المصاعب ويحتميه ويفعل ما يجعله يحتمل حقًا، ولكن؟

أنا أحتمل من أجل شخص يماثلهم للغاية في كل شيء، فلماذا أحتمل ولأجل من إذًا، ذهبنا إلى المنزل وشاهدت والدتي (كريمة) غاضبة للغاية!

وقالت لي: ماذا هناك؟ هل تشاجرتم أنتِ وأختك؟

قلت لها: لا يا أمي لم نتشاجر.

قالت لي: إذًا ماذا هناك؟

نظرت والدتي إلى أختي ورأتها حزينة وغاضبة للغاية، ثم نظرت لي أمي.

وقالت: هل ما بذهني قد حدث؟

قلت لها: لماذا دائماً تعطون الأمور أكثر مما ينبغي.

ما الذي بذهنك بعد؟

فقط هو الهراء المعتاد لهم وكلماتهم المعهودة.

قالت لي: وماذا عن خطيبك؟؟

قالت (جنى) مسرعًا: لا تقلقي يا أمي، كان يجلس بجانبها على ذات الأريكة، ولكنه كان يتحدث مثلهم!

ثم قصت عليها كل ما حدث..

ثم جلست أمي على المقعد.

وقالت لي: لماذا تفعلين ذلك بذاتك؟

كل هذا من أجل الحب فقط فبماذا قد فادك تلك الحب؟!..

لم أقل شيء حينها، فكل الكلمات قد تفوهت بها في تلك الأمور.

قالت لي أمي: سوف أتصل على (عادل).

ثم اتصلت به عدة مرات ولكنه لم يستجيب للرد.

فقالت لي: سأتحدث مع والدته الآن.

قلت لها وكدت أن أبكي؛ لا يا أمي أرجوك لا.

قالت: بل سأتحدث فلتعطيني الهاتف.

قلت لها: بالله يا أمي لا تفعلي ذلك.

قالت لى: لو لم تجعليني أتحدث معها سأنتظر حتى يأتي أباكِ من العمل وأخبره أن يخبر والد (عادل) أننا لم يعد لنا ابنه لتلك الزواج.

قلت لها: لا يا أمي أرجوك لا، لا تفعلي هذا فأنتِ تحدثتي معي من قبل في ذلك الأمر، وأخبرتيني أن أحتمل ما دام هو يحبني وهو غيرهم.

قالت لي: أخبرتك ذلك عندما أعتقدت أنه حقًا ليس مثلهم ولكن الآن لم أعد أصمت..

قلت لها: فلخبريني ماذا تقولين؟

قالت لي: لا تقلقي سوف أخبرها فقط أن تجعلني أدري لماذا تفعل معك ذلك..

ثم تحدثت معها في الهاتف وعند الرد.

قالت والدته: كيف حالك يا أم (هدير)؟ حمدًا لله على سلامتك!

قالت أمي: سلمك الله..

أخبريني الآن يا أم (عادل) لماذا كل مرة ابنتي تأتي من عند اللقاء بكم هكذا باكية!

رددت والدته وقالت: ابنتك أنتِ تأتي باكية كيف ذلك؟

قالت أمي: أي نعم تأتي باكية، إذًا كنتِ لا تريدينها فلتخبريني.

فما يحدث لا يجوز لا يمكن أنه عندما تلتقي بك وببناتك تفعلون ذلك بها وتتفوهون بتلك الكلمات حرم عليك ذلك فهي فتاة كأولادك.

قالت والدته: هل ابنتك الصغيرة أتت إليك بالشكوى.

قالت أمي: أينعم أتت، ولكن فلتخبريني الآن لماذا تفعلي ذلك بابنتي؟

ابنتي تحبكم كثيرًا وتدافع عنكم أمامنا كثيرًا وفي كل المواقف وكأننا لست عائلتها بل أنتم.

ونحن نصمت فقط لأجل سعادة ابنتنا ولكن ما يحدث ذلك فوق إرادتنا جميعًا..

ابنك يأتي إلى هنا نرتفع به على الرأس.

قالت والدته: ما هذا الذي تتفوهين به وماذا تقولين إذا نحن لا نفعل بابنتك شيء؟..

وفي ظل ذات الانفعال والتعصيب من الطرفين رن هاتفي وكان المتصل (عادل) ولكنني لم أستجب للرد، شعرت حينها وكأنها قد شلت يداي، والدتى ووالدته يتشاجرون ويتبادلون الانفعال والغضب والثأر، وفي ذهني أكثر من مئة سؤال، أقلهم ماذا سيحدث بعد الآن..

ثم استمروا في ذلك الحديث.

وقالت أمي: لو لم تريدين ابنتي فلينتهِ فورًا هذا الزواج، ولكن يجب أن تعلمي أن ما تفعلينه في بنات الناس سيحدث مثله في بناتك، لو كان خيرًا أو شرًا ولكنه فليسترد.

قالت والدته: أيسترد في بناتي أنا يا عاهرة..

فورًا قد أغلقت والدتي الهاتف في وجهها وقد انتهت المكالمة على ذلك.

قلت لأمي: إلى هنا ويكفي، منذ ذلك الوقت فقد تركت عادل ولم أعد مرة أخرى.

والشيء الوحيد الذي سيشفع له هو اعتذار والدته منك، إما أن توافقي إما أن تأبى..

دخلت غرفتي وأنا أعلم أنه سيأتي، لم يتركني بتلك السهولة ولا يقبل ابتعادي عنه، فهو يحبني للغاية!

وإنني له أغلى ما يملك حتى أنه أخبرني بذلك فيما قبل، سيأتى الآن أو سيتحدث مع والدتي في الهاتف يعتذر منها..

بل إن ذلك هو الشيء الطبيعي، أن يأتى للاعتذار حتى أنه أقل ما في الأمر، ومر الوقت ولكنه، لم يأتِ..

لم يأتِ حقًا، ثم تفقدت هاتفي فرأيت منه رسالة يقول فيها...

ما حدث فعليًّا؟

ما توصلنا إليه نحن حقيقيًّا؟

ولكنني لم أستجب للرد شعرت ولأول مرة أن جسماني يحمل كل معاني الصمت، متوقفة عن الحديث حتى أنني لم أشعر بأي شيء في جسدي، حتى أناملي التي يجب أن أكتب بها رسالة إليه، هي أيضًا توقفت..

لا أعلم ما هو مفترض رد الفعل حينها، فكيف يرسل لي رسالة، بدل من أن يأتي؟

وبعد بضع دقائق أتى والدي من العمل وصار يسول والدتي على: أين (هدير)؟ هل عادت من منزل (عادل)، ثم قد حكت والدتي كل ما حدث لأبي.

وقالت له أيضًا: سعادة ابنتي هي أول وأهم شيء فإذا اعتذرت مني والدته سوف أغفر لها وفقط من أجل ابنتي.

فسمعت أبي منفعل وفي غاية الغضب يقول: ما هذا الذي تتفوهين به؟

أقسم أن ما حدث لم يمر بالساهل، فقد حرمتِ على زوجتي وطلاق الثلاث إذا تم ذلك الزواج، وحتى وإذا كان آخر رجال العالم لم أضع يدي فوق يداه..

كنت حينها تائهة لا أعلم من أنا، وماذا يحدث، وماذا بعد، وماذا من المفترض أن أفعله ولم أفعله، كان الأمر أشبه بشعره رمش رقدت نحو

عين شخص مبتور اليدين، لم أستطع فعل أي شيء أبدًا...

ذهبت إلى النوم حتى أنني لا أدري كيف ذهبت إليه أو متى ولماذا وكيف غفلت عيناي من الأساس، حتى أنني لم أتفقد الساعة، كانت أسوء غفلة ليليلة قد اتجهت لها في طيلة العمر، عندما استيقظت من النوم أول ما فعلته هو أنني تفقدت هاتفي، هل أرسل رسالة مرة أخرى؟، هل حاول الاتصال بي؟، هل جاء؟

بل أنه لم يأتِ؛ لأنه إذًا أتى سوف أعلم..

ولكن أين هو الآن؟

يا هل ترى ذهب إلى عمله، لا أعلم؟..

ثم ارتديت ملابسي ولا أعلم حتى كيف ارتديتها، لم أتحدث مع أحد، جميعهم من حولي ينظرون إلى لم أدرِ حتى ما يريدون أن يتفوهون، فقط ما بي يكفي..

ذهبت إلى العمل ورأيت أصدقائي وكان يبدو على التغيير للغاية والوجه الحزين وصارت تسول كل منهما إلى سؤال..

ولكنني لم أنظر حتى إلى أي من أحدهم، ثم رأيت (عادل) في العمل، فقد عاد غريبًا مغتربًا مرة أخرى، لم أذهب وألقى عليه الترحيبات ولا أدري من هو، حتى كان يبدو له الأمر وكأن شيء لم يكن، كيف ذلك لا أعلم؟..

بكيت للغاية شدة البكاء، وكانت أول مرة أبكي منذ أن تعارفت

به، أغلقت بوجهه باب القسم، لم أعد أريد أن أراه، تعجبوا الجميع من حولي للغاية حتى أنهم اعتقدوا أننا قد تشاجرنا بعض الشيء.

ثم طلبت مني إحدى المشرفين العمل بالقسم الذي قد جمعني به ذات يوم وفي ذات المقر الذي شهد على كل شيء في كل تلك الأيام، لا أستطيع أن أعترض فأولًا وأخيرًا ذلك عمل بل أنني لم أخبر أحد أن علاقتنا قد انتهت أمس!

وعند الدخول تحدثت مع أحد الإداريين عن العمل وكان يبدو على التعب للغاية حتى إنني رأيت ذلك بأعينه وكنت أشعر وكأنني لا أراه لا أستطيع التحدث فقد توقفت عن الحركة أيضًا وكنت أتفوه بالعافية، وقبل بداية العمل في المقر شاهدت من حولي كل يوم وكأنه يترائى أمامي، أي كأنه منذ أمس، شاهدت عندما رأيته أول مرة وكنت لا أعرفه، وشاهدته وهو ينطق لي كل الكلام الذي كان بداية حياتي معه وفي بدايته (أنتِ تروقين لي للغاية).

شاهدت المقر الذي قد غمز فيه إلى تلك الغمزة المغازلة، رأيت الكعكة التي كان يقوم بإعدادها عندما أخبرته أنها جميلة للغاية ونظر لي نظرة متغازلة وقال: هل أتقدم لخطبتك وأجلب مثلها؟

كان جسدي فقط في تلك المكان ولكن روحي وأرواح كل تلك ما ذكرته يفيض من حولي؟..

شعرت حينها بالدوار، شعرت وكأنني في دنيا المتاهة التي لم أجد فيها ذاتي، كان الشعور أصعب من أن أبوح به فقط في نصوص مجردة!..

ضاقت أنفاسي وكاد كل جزء في جسدي أن يتوقف عن وظيفته ثم إنني قد سقطت أرضًا..

وكانت زميلة لي حينها تعمل في نفس القسم مع إحدى الشيفات وجائتني لكي ترى ماذا بي، ولكنني كنت حينها لا أستطيع القول وقد غفلت عيناي من كثرة البكاء بل كنت أبكي، وكل ما تفوهت به هو: أريد أن أخرج من ذلك المكان لا أستطيع العمل هنا أبدًاا فلتذهبي إلى المشرفة وتخبريها أنني أريد النفور..

ثم جلبت لي إحدى المقاعد وذهبت لكي تخبرها بما أخبرتها إياه.

ثم بعد دقائق جائتني تلك زميلتي ومسكت بيداي مسندة لكي تذهب بي الى مكان عملي الأساسي، رأيت حينها ولأول مرة في أعين كل ما رآني الكسرة والضعف..

ولكنني لا أبالي فسوف يكفيني ما بي، وعند الدخول إلى مكان عملي الأساسي تحدثوا معي كل ما قد رآني في تلك الحالة ولكنني لا أدري ماذا قالوا وماذا يقولون فقد نمل فمي وشعرت بالغثيان والدوار الذي قد يؤدي إلى الإغماء!، ولكنني لم أنطق شيء ..

واستمر ذلك الحال حتى موعد الذهاب إلى المنزل، لم أدر كم الساعات وما الساعة من الأساس حتى وقت الاستراحة أنا لم أَنطق شيء مع أي امرئ، وعندما ذهبت إلى المنزل أخبرتني والدتي أن أختي (فيروز) قد تحدثت مع أفراد عائلة (عادل)، وألقت على كل منهما جميع الشتائم والألفاظ البذيئة، فذلك هو المعهود والمفترض والطبيعي فقد

شتم أحدهم أمها وقالت لها يا عاهرة!..

فماذا كان من المفترض رد الفعل حينها سوى ذلك الأمر؟

حتى أن ذلك كان يجب أن يحدث مني فقط لولا التعرض لي لتلك الحالة التي كنت أنا عليها..

وكان من المفترض أن غدًا هو احتفالية خطوبة (كاميليا)، فقد ذهبت إلى المقر الذي قد حجزت منه رداء خطبتي، وكان يليق بالاحتفالية؛ لأنه كان يشبه رداء السهرة وقد جلبته هكذا لأنني كنت سأحتفل بخطبتي على المضيق، فذهبت وجلبته وذهبت إلى منزل صديقتي المقربة تلك لإعداد الماكياج أنا ووالدتها، وطلبت منها أن تنهي من مكياجي أنا أولًا؛ لكي ألتقط بعض الصور لتلك المناسبة، وعندما انتهت من المكياج وبدأت في والدتها، قد تفقدت هاتفي وفتحت تطبيق الكاميرا، ثم تم الاستعداد لوضعيات التصوير.

ولكنني لم أفعل، فعضلات فمي لم تتحرك، تلك الشفاة لا تستطيع أن تتسع حتى بعض الشيء، نظرت إلى الكاميرا ولم أستطعْ التقاط أي صورة، ثم إن كان ردائي جميل للغاية حتى المكياج كان جميلًا جدًّا، ولكن ذلك الملامح لم تعد جميلة فقط انطفأ ذلك الوجه، أين ابتسامتي؟

وإلى أين ذهب ذلك الوجه الحسن البشوش؟، ومنذ ذلك اللحظة وأنا لا أستطيع النظر للمرآة إلى ذات يوم!..

لا يجوز أن يمر ذلك اليوم دون وجودي ووجود سعادتي وابتسامتي

المزيفة تلك، لآلاف الأسباب، أقلهم أن اليوم هو احتفالية خطوبة (كاميليا) أو التي لا تدري بما دار معي وأنني تركت (عادل)، ولأنها صديقتي المقربة يجب أن أكون أول المارحين بتلك الاحتفالية فيجب؛ أن أتظاهر بكل القوة وأتقمص شخصية اللا مبالاة تلك والتقط جميع الصور وأقوم بالرقص مع أصدقائي، وأهم كل تلك الأسباب أنه لا يمكن وليس من المفترض أن أبدو ممزّقة، ولكنني لم أستطع الاستمرارية..

فعند دخولى إلى مقر الاحتفالية لم يمر بذهني سوى أنه من المفترض أن يكون بجانبي الآن؛ لأنه كان سوف يأتي معي

فكيف أنا هنا الآن بدونه؟

بل أين هو الآن..؟

تقابلت ببعض الزملاء ومنهم التي لم تقل لي مبارك من قبل على قراءة الفاتحة، فعند الترحيبات المعهودة قالت لي أحدهم: مبارك يا عروس!

توقف الزمن عند تلك الكلمات ولم أقلْ شيء فقط ابتسمت ابتسامة متصنعة، تحدثت معها في ذهني قائلًا: كيف لك أن تباركيني وأنا قد تركت ما تباركيني به منذ يومان فقط؟

بل يجب أن تقولي لي صبرك بالله!، تلك الجمل كانت تدور بذهني هي وجميع ما يدور ومن كاد أن يتسبب في ارتفاع ضغط الدم جميعهم..

يمرحون ويرقصون من حولي ويلتقطون كل الصور لتلك المناسبة،

وأنا يشرد ذهني فقط ويراودني الاستعجاب وأقول: كيف للعالم أن يسري هكذا؟ يجب أن يتوقف، كيف لم يتوقف حتى الآن إذاً؟، وما يفعلون هؤلاء القوم هنا؟، بل ماذا أفعل أنا هنا؟، (وعادل) أين هو الآن؟، وكيف مر يومان وأنا لم أعرف عنه أية شيء، بل كيف مر عليه يومان ولم يهتم لمعرفة أي شيء عني؟

فقد تركني حقًا ولم يتمسك بي، ومثل ما أخبرني من قبل أنه يثق بي وعيناه غافلة فالآن قد باع كل ما يربط بيننا أيضًا وعيناه غافلة، وكيف أنا الآن أتقمص تلك الشخصية المتصنعة، وأتظاهر بالقوة وما بداخلي يشبه الأوراق بل ما بالخارج أيضًا؟، لم أستطعْ إرادة استيعاب ما يدور من حولي، كنت وكأنني في غيبوبة ولا أدري هل هي مؤقتة أم مجردة، يا قوم لكم أن تدورن أن ما بالخارج هو فقط رداء جميل ومكياج جميل لتلك المناسبة ووراء ذلك الوجه الحسن انطفاء، لم تعد ملامحي مضيئة ولم يعد وجهي بشوش، حتى هذا الرداء.. هو فقط رداء!، فالجسد الذي يرتديه لا يحتمل اصطدامة ليس الشخص الذي يتظاهر بالقوة ومن الداخل مَمْزُوق، لست بخير ولكنني على ما يرام أمامكم!.

كان مطالب ذلك الوقت حينها مني أن أستكمل المسرحية المزيفة من أجل تلك للإحتفالية، كان تصرفي حينها وكأنه يراني، لست ممزوجة وحزينة وغاضبة، فانظر إليّ وأنا ألتقط الصور وأنظر إلى وأنا أرقص مع أصدقائي وأنظر إليّ وأنا مارحة وفي قمة السعادة، وعندما أنظر من حولي وكأنه هنا، أخبر ذاتي وأقول هو لست هنا ولا هناك، بل أنه

بجانبي وبداخلي ولم يذهب أبدًا!..

ما يحدث كان يسبق عقلي ببلاد ولا أستطيع التفكير بكل ما يحدث في آن واحد، فمنذ يومان لقد تركت (عادل)، الشخص الذي كان كل ما يعنيني في تلك الحياة، فلم يعد دياسطي ولم أعد أنا بسنت بل لم أعد هدير أيضًا، إذًا فمن أنا..

كل ذلك كان يدور في ذهني إلى أن جاءت اللحظة، فقرة من فقرات الاحتفالية توقف فيها كل ما بالاحتفالية عن كل ما كانوا يقومون به من رقص وضوضاء، لم يعد هناك شوشرة، كيف ذلك؟ فمنذ ثواني فقط كنت أستمع إلى الشوشرة، ومن حولي الضوضاء الممتزج بضوضاء ما يدور في عقلي وذهني وتفكير، كيف ذلك؟

هل كان ما يعاونني وما كان يأخذ بيدي هو ذلك الضوضاء والقوم والصياح والأصوات المرحة؟، ثم دون أي مقدمات أو أولوية انهرت بالبكاء في عناق (فريدة).

وقلت لها: لا أستطيع يا (فريدة)، لا أستطيع استكمال كل ما أفعله، لا أستطيع التقمص المزيف أكثر من ذلك، أنا لست بخير ولست على ما يرام أنا حقًا كاذبة أكبر الكاذبين هنا بل أكثر الكاذبين في العالم، ولم تتوقف عيناي ولا قلبي ولا جسدي عن البكاء، ثم قالت لي.. حتى أنني لا أدري ماذا قالت فلم أستمع لأي شيء سوى الذي يدور في عقلي الذي كان المتسلط عليه هو فقط ما يدور من حولي!..

وقد ضليت على ذلك الحال باستمرارية حتى انقلب إلى ما حدث

رأسًا على عقب، لا أدري متى انتهت الاحتفالية ومتى ذهبت إلى المنزل، فعند العودة إلى المنزل بدلت ملابسي وذهبت إلى المرحاض ثم اغتسلت وجهي من ذلك المكياج اللعين وقررت أن أفيق لذاتي ولو لمدة لحظات، ثم رقدت نحو المنشفة وقررت أنني سأتفقد هاتفي، وبالفعل فقد فعلت.

تفقدت هاتفي وبدأت بتنزيل هذه الصور التي قد التقطها في الاحتفالية وكم من السعادة واللا مبالاة التي كنت أنا عليهم، وعند التنزيل كان هو أول المشاهدين (عادل)

رائع جدًّا!

ما أريده قد حدث فلك أن تشاهد الآن تلك الصور، أنا في غاية السعادة والمرح ومنذ دقائق فقط عدت من احتفالية خطوبة صديقتي المقربة، التي كنت سأذهب إليها برفقتك، وارتديت الرداء الذي كنت سأرتديه في احتفالية خطوبتي معك.

والآن وبرغم كل ما كنت أنا عليه الآن استطعت أن أوصل له أنني حقًّا بخير وعلى ما يرام ولم أكذب فكل شيء يبدو له بالصور والمشاهدة..

وفي اليوم التالي استيقظت من النوم وأنا أشعر بالغثيان والصداع المزمن، غافلة عيناي من كثرة البكاء وأيضًا من شدة ذلك الصداع المزمن اللعين، فقمت بالقيام إلى المرحاض لاغتسال وجهي، وعند القيام رأيت الشيء الذي لم يحدث لي من قبل كل تلك سنواتي الماضية، الشيء الذي قد تسبب في أنني صرت أبشع وأسوء فتاة في العالم.....

النزيف!

أصيب جسدي بالنزيف!، بل بكثير من الأمراض، أقلهم خيبة الأمل ولكن أكثرهم ذلك النزيف الذي سال دمي، كاد أن يشق جسدي نصفين من كثرة اللاآلام ومن كثرته!..

كاد أن ينفرط عقلي وصرت أتحدث مع ذاتي مشتتة قائلًا: كيف ذلك؟ أنا لم يحدث لي ذلك من قبل أينما وكيفما كان مقدار تعبي، مهما كان التعب الجسماني أو النفسي فلم يحدث ذلك، أيعقل؟ هذه المرة الحزن أكثر وأكثر بل أكثر من أكثر مرة.

هل الكتمان الداخلي يستطيع أن يفعل ذلك؟، كان يأخذ من جسدي جسد ومن دمي دم، جعلني أكثر نحافًا، ماذا أفعل الآن ولكن!... ما باليد حيلة وقد قضى أمر الله، ثم أنه قد قل وزني حوالي خمسة كيلو جرامات في تلك اليومان، استمر ذلك النزيف لمدة أربعة عشر يومًا بالتقارب!..

وبعد بضع ساعات تحدثت معي صديقتي (فريدة)؛ لكي نسترد الفساتين إلى مقرها، وقد اتفقت معها أنه في وقت المجيء إلى سأكون في استعداد الذهاب، فقد رقدت نحو خزانة الملابس لدي، ثم أنني لم أستطع أن أرتدى إحداهم، بل إحدى حتى من جميعهم، رائحته تفيض بين الملابس بل تفيض في الخزانة بأكملها، كيف سأرتديها الآن؟، إذن ماذا سأرتدي إذًا؟

سقطت باكية على إحدى الرفوف الخشبية، ثم جاءت والدتي إليّ

مسرعًا قائلًا: ما بكى يا ابنتي لماذا تبكين هل حدث شيء؟

قلت لها: كيف سأذهب إلى العمل يا أمي كيف سأذهب إلى الطرق؟

ماذا سأرتدي؟

أنا لا أدري ماذا أرتدى وكيف سأرتدي إحدى من تلك الملابس.

قالت لي: أيعقل يا ابنتي؟ تبكين فقط؛ لأنك لا تعلمين ماذا سترتدي؟ فالملابس أمامك يا فتاة ما بكِ؟

قلت لها؟ هل تنعتينني بالخرف يا أمي؟

أنا أتحدث بجدية حقًّا!، رائحة (عادل) في كل تلك الملابس، فقد ارتديت جميعهم معه عندما كنا نلتقي وعند التنزه، رائحته تفيض هنا وهناك، رائحته تفيض بملابسي يا أمي، ماذا سوف أرتدى الآن إذًا؟

ثم وقعت عيناي على العباءة، العباءة التي أراد أن يجلبها لي عند دخول شهر رمضان المبارك، فلم يعد أمامي أي اختيار سواها، فهي الوحيدة التي لا تحمل رائحته؛ لأنني لم التقِ به بها ولو مرة!...

ثم جائت صديقتي (فريدة) وقررنا الذهاب، وعندما شاهدت الطرق شعرت وكأن قلبي منفرطًا، فقد ذهبت معه من ذلك الطريق كثيرًا للتلاقي وللتنزه، هنا كنا نسير ويمسك بيدي تلك اللمسة التي كانت الأمان..

ثم بعد دقائق ذهبنا إلى مقر استعادة الفساتين ثم قالت لي (فريدة):

هل تريدين أن تذهبي إلى المنزل؟

قلت لها: لا أريد، فلنذهب إلى إحدى الأماكن العامة، ثم ذهبنا إلى المكان الذي كما نجلس فيه أنا (عادل)، وعندما رأيته قد بكيت مرة أخرى لأنني رأيتنا هناك، نجلس على أحد المقاعد أمام واحده من الطاولات المتاحة للقعيد، ولكنني لم أستطع أن أجلس على ذات المقعد والطاولة، فأنا لم أستطع أن أرتدي ملابسي التي تفيض بها رائحته، فكيف سأجلس على المقعد والطاولة اللذان كنا نجلس عليهم وأراه أمامي؟

كنت أشعر وكأن روحه متواجده بذلك المكان،

وأخيرًا وقد بدأت بالحديث مع (فريدة) وأخبرتني أن والدتي قد حكت لها كل ما حدث من والدة عادل، ثم قلت لها يا (فريدة) حتى إذا جاءت والدة (عادل) واعتذرت من والدتي وترجتها بالاعتذار فلا يجوز، فكيف لي أن أستكمل تلك العلاقة وأنا والدتي مخطوء بها؟ من سيقبل ذلك على كرامته؟، من سيوافق أن يعيش وسط قوم قد خطأت أحدهم بالشتائم والألفاظ البذيئة بوالدتي من قبل؟، ففي تلك الحالتين لم تستكمل تلك العلاقة، إذًا لم يأتِ وحتى إذا جاء!..

قالت لي: ولكن (عادل) وافق بكل ذلك يا (هدير) ولم يأتِ حتى ولم يقوم بالمحاولة، ولذلك السبب يجب أن تقاومي ما بك من تلك الآلام والمصاعب لا يجوز أن يراكِ أحد وأنتِ متعبة هكذا.

قلت لها باكية: لا أستطيع يا فريدة لا أستطيع، فكل شيء من حولي

ينطق باسمه ويمر وجهه أمامه، أكثر البعداء عني جسدًا وأقربهم مني روحًا، كيف لي أن أخبئ ما بي، أنا حتى لا أعلم كيف لم نتحدث مع بعضنا إلى الآن، أريد أن أعرف فقط كيف فعل ذلك؟، كيف تم الاستغناء عني بتلك السهولة؟، ألم يقل لي أنه يحبني؟، ألم يتحدى كل تلك القوم الذي قد أقسم أنه سيجعلهم يخسرون ذلك الرهان الذي راهنو به أنه لم يأخذني؟، ألم يأتي إلى منزلي ليخبر أبي أنه يحبني ويريد البقاء معي لطيلة العمر؟، ألم يقل لي أنه ليس وجود لدياسطي دون بسنت، فكيف هو الآن دوني؟، بل أنني صرت بسنت من أجله ومنذ أن أحببته أصبح كل ما يعنيني وجميع ما لدي، فلا أستطيع أن أعود (هدير) مرة أخرى، إذن فمن أنا؟

كيف سأعود وأين سأعثر على ذاتي مجددًا؟، كيف له أن يتركني هكذا بسهولة، حقًا كيف له؟، أريد أن أعلم فقد كاد أن يجن جنوني.

قالت لى: فلتهدئين يا صديقتي لا مانع أن تتحدثي أنتِ معه وتخبريه بما يدور ف ذهنك وتسولي إليه بكل تلك الأسئلة التي لا تدرين إجابتها.

قلت لها: سوف أفعل حتى يهدئ قلبي بعض الشيء، وعندما ذهبت إلى المنزل غفلت عيناي قليلًا ثم استيقظت من النوم على صوت أبي منفعلًا وغاضبًا، وكان يتحدث مع (عادل)، يتشاجران ويتبادلان الأحاديث المشينة، فما هذا؟

هل الأمر يحتمل شيء لكي يتشاجران مع بعضهم البعض؟، ومن المتصل من الأساس؟

لا أعلم!..

وفي اليوم التالي تفقدت هاتفي وفتحت ذلك الصندوق الإلكتروني الذي قد جمع وشهد بالنصوص على كل كلمة قد تفوهنا بها، وسجلت لـ(عادل) إحدى المقاطع الصوتية وقلت له: لم تجد مني حتى الآن أي ردة فعل على ما قد حدث، ولم تجد من الأساس؛ لأنني لا أدري ما هو مفترض ردة الفعل مني، والآن أريدك أن تخبرني كيف فعلت ذلك بي، وكيف كان لك قمة الاستطاعة في الاستغناء عني بتلك الضراوة والسهولة، والدتى التي كنت تخبرني أنها بمثابة والدتك وتناديها بحبيبتي دائمًا وعندما كنت أزعجك كنت تذهب بالشكوى إليها، والدتي التي كانت تحبك كثيرًا؛ لأنها لم تنجب الذكور، أنت قبلت عليها تلك البذاءة، ولم تأبَ في أن يقال لها يا (عاهرة)..

كيف لك حتى الآن لم تأتِ للاعتذار منها وتأتي بوالدتك لتعتذر من والدتي؟

كيف قبلت من الأساس حدوث ذلك ولم تفعل شيئًا؟

كيف كان التخلي عني أسهل ما يمكن نسبًا لك؟

ألم تخبرني أنك تحبني؟

ألم تفعل كل ما أثبت لي ذلك من البداية؟

أليست أنا التي قد تحديت من أجلها كل تلك القوم وأقسمت أنك ستجعلهم يخسرون رهان فشل علاقتك بي؟

أليست أنا التي من أجلها أردت أن تتحدى العالم بأكمله وأخبرتني ذلك من قبل؟

أليست أنا الفتاة التي على خلق وتفتخر بأخلاقها التربوية والتي تمنيت أن أقيم معك بالمنزل لطيلة العمر؛ لأنه لم يستأمن على منزلك سواي؟

أليست أنا الفتاة الأكثر جمالًا وعظمة والتي تشمل كل معاني الجمال وأنك المحظوظ الوحيد بها في ذلك العالم؟

أنا لا أريد الآن أي شيء سوى أن تخبرني وتأتيني برد إجابة على تلك الأسئلة!..

وأرسلت إليه المقطع الصوتي، وعند الاستلام أرسل لي مقطع صوتي أيضًا يقول فيه: حسنًا! سوف أجيب على كل تلك الأسئلة وأخبرك بما تريدين معرفته؛ لأنه يبدو أنك لم تتفهمي الأمر جيدًا.

أولًا: بذاءة والدتي التي تتحدثين عنها هذه كانت نتيجة؛ لأن والدتك قد دعت عليها وعلى أولادها، والدتك كانت غاضبة ومنفعلة للغاية ولم تعطِ لوالدتي أي فرصة للحديث، ضلت تتفوه بنص أنه إذا لم تروق لك ابنتي فلننهي ذلك الزواج، حتى أنها قالتها لعدة مرات، فماذا كنتِ تريدين أن تفعل أمي بعد أن قد دعت عليها والدتك؟

ثم أتت أختك (سعاد) وتفوهت بأبشع الشتائم والألفاظ البذيئة المشينة لي ولأفراد عائلتي بأكملهم، والدتي وإخوتي وأبي، ولكن لماذا

أبي ماذا فعل أبي؟ ساء بمن وتسبب في حزن من؟، حتى أنها قد أساءت بحوائط المنزل يا فتاة، وعند الحديث مع والدك لكي أشكو له مما قد فعلته أختك.

يقول لي: ما حدث أقل ما قد يحدث في موقف هكذا، والدتك ساءت بزوجتي فماذا تريد أن تفعل إذا فقد أخذت ابنتي بحق والدتها وأختها الصغيرة التي كنتم تسيئون لها وهي لم تعطِ لكم سوى الخير واعتبرتكم عائلتها واعتقدت أنك ستكون زوجها وكانت تلقيك تاجًا فوق رأسها..

عن أية معاملة يتحدث آباكِ من الأساس؟

كان كل الأمر يدعى إلى الفكاهية والهراء فقط، ورغم ذلك لم تدعك والدتي تذهبين إلَّا عندما قالت لك لا تحزني يا هدير، فماذا حدث إذًا؟

وعند انتهاء مكالمة والدتي ووالدتك ذهبت إلى غرفتي وبكيت كثيرًا على ما قد حدث ثم جاءت أختي (سعاد) ووالدتي..

وقالت لي (سعاد) ما حدث ليس له اختصاص بك أو بهدير.

وقالت أمي: حقًّا ليس لكم أي شأن فما حدث هو فقط شجار بيني وبين والدتها، وعندما ساءت أختك وشتمت عائلتي غضبنا كثيرًا وقالت لي (سعاد) لماذا حدث ذلك الآن؟، فكنت سأتصل بـ(هدير) وأشكرها جزيل الشكر على أنها جلبت تلك الملابس لأطفالي..

كل ذلك وتخبريني أنني لم آتي وأعتذر عن ما قد حدث وتخبريني

أيضًا أنه كان من المفترض أن أفعل شيء؟

متى وكيف وأختك (فيروز) لم تعطِ أحد فرصة الحديث؟!..

سمعت ذلك المقطع الصوتي واستعجبت للغاية فيما يتفوه به، ماذا يقول؟

كيف يتملك منه إقناع تلك التفكير هكذا؟، ثم أرسلت إليه مقطع صوتي آخر يقول:

والدتي لم تدعُ على والدتك ولا أخوتك، فهي فقط أخبرتها أن تلك المعاملة ستسترد إذا كانت حسنة أم مشينة، أي كما تدين تدان، وما قال ذلك هو فقط الله ونبيه، لست والدتي، فما الخطأ هنا؟ والدتك انفعلت فقط وانتابها الحزن فقط؛ لأنها حقًّا كانت تعاملني أسوء معاملة ولذلك هابت دعوة والدتي، فلو كانت تعاملني معاملة حسنة، فلم ينتابها الخوف أبدًا، ولكن حتى إذا توصل الأمر للدعاء، فهل ذلك تبرير تلك البذاءة والألفاظ المشينة التي قد حدثت من والدتك؟

والدتي لم تتحدث مع أحد من قبل بتلك الطريقة، لم تتفوه تلك الألفاظ حتى بيننا وبين العائلة وبين ذاتها، ولذلك فهي لم ترد على والدتك واستكفت بإغلاق الهاتف في وجهها، وما قد فعلته أختي ذلك هو المعهود، فماذا كنت تريد أن تفعل؟

امرأة ساءت بوالدتها، ما هو مفترض رد الفعل؟

ومع العلم إذا كنت حينها في وعيي وفي أتم الاستيعاب والفهم فيما

يدور من حولي، فكنت سأرد أنا عليك وعلى والدتك، ولكن ما كان بي حينها لا يعلمه إلا الله، فأخبرنى الآن، إذا حدث ذلك مع والدتك ماذا ستفعل؟!..

ووالدي لم أعلم بماذا أخبرته وأخبرك، سمعت أبي منفعل للغاية واستيقظت من النوم على ذلك الصوت المرتفع واستمعت إليه وهو يتشاجر معك على الهاتف واستمعت إليك أيضًا وأنت ترتفع بصوتك وتتشاجر معه، فكيف لك ذلك؟

بدل من أن تتصل لطلب الاعتذار، تتصل لكي تشكو؟ من أين جلبت هذه الجراءة والحق؟

والآن تبرر استغنائك عني واستسلامك لما قد حدث؟، كيف هذا؟

ترسل إلى رسالة، تقول فيها: هل ما حدث حقيقيًّا وما توصلنا له فعليًّا؟، ما هذا؟

ذهبت إلى غرفتك وجلست تبكي!

حقًّا!؟

حقًّا قد فعلت؟، بل إنني فعلت ذلك أيضًا ولكنني لم أبكِ، كان الأمر لدي أكثر من البكاء ولا يعلمه إلا الله، فكيف كانت المواقف تبدو متشابهة إليك، الحق لنا فقد بكيت، والحق منك وقد بكيت، كيف تشابهت الأمور هكذا، أتدري ما قد حدث، أنت الرجل وأنا المرأة بل أنا المحقة الآن، حقًا لا أدري ما الرد على تلك الكلمات التي تتفوه بها،

وتخبرني أن أختي لم تعطي أحد وقت لفرصة الاعتذار؟، جاءت أختي قبل منتصف الليل تقريبًا، وما حدث كان من بعد صلاة العشاء، أي كانت بيدك كل تلك الأمور حينها، فإذا كنت تريد أن تفعل شيء فكنت فعلت في ذلك الوقت، كان حينها لم يمر الأوان ولكن من بعد ذلك فقد فات، بكاء، ما فائدة البكاء، فكلانا كنا نبكي فبمن كنا سننجو، من الشخص الذي كان من المفترض أن يفعل شيء إذا كان ليس من إحدانا؟..

ثم أرسلت إليه ذلك المقطع الصوتي.

وقال لي: بلى يا هدير يجب أنك على اقتناع تام بما يدور في ذهنك ويوجد أكثر من أمر في عقلك ولم يمر أمامك سواهم ولذلك أنتِ لم تفيقي الآن، فلك الأيام ستأتي، وتدرين أنه من تسبب في ما نحن به الآن هم فقط أخوتك (جنى) و(فيروز) وليس بامرئ سواهم، وعلى العلم لقد أرسلت لفيروز رسالة نصية أسيء فيها لها ولكنها لم تراها حتى الآن؛ لأن هي من تسببت في ما أنا به، وأنا لم أسامحها أبدًا ثم أنني أدعو الله بذلك..

وفي صبيحة اليوم التالي رأيته وجاءت عيني في عيناه ولكنه قد عاد أغرب مما كان عليه، وبعد عدة ساعات أرسل لي رسالة يقول فيها: أتدرين؟ حين أراكِ أشعر وكأن قلبي ينفطر، كيف؟

كيف كنتِ أقرب الأقربين ثم صرتي أكثر البعداء اغترابًا هكذا؟

كيف بعدما كان باقي على احتفالية خطوبتنا فقط أيام معدودة صرتي

الآن غريبة عني؟

وفقط كلانا يترك للآخر ذكرى مجردة تبقى بداخله لطيلة العمر والحياة، أتدرين أيضًا؟!. كنت أريد حتى إذا لم يجعل الله نصيب إلى فيكِ وتصبحين زوجتي وأصبح زوجك، تبقين معي هكذا فقط وعندما يأتي لك نصيبك تذهبين له وأتركك في شأنك، حقًا أنا لم أسامح أي شخص قد تسبب في ما أنا عليه الآن، حتى إذا كنتِ أنتِ يا (هدير)..

قلت له ؟ ما هذا الحديث الذي تتفوه به وتلك الخرافات.

أنا لم أسمح لذاتي يومًا أن أقضي معك فقط يومان دون زواج، فأنا لم أقض إياهم معك قبل أن تتقدم لخطبتي؛ لكي أبقى إياهم معك بعد أن تركنَا بعضنا البعض، كيف لك أن تقول ذلك؟، أنا لم أفعل ذلك حتى لو كنت سأموت دونك؟

ولك أنت تخبرني الآن! لماذا لم تسامحني فماذا فعلت إذًا.

قال لي: بالله لم أسامحك ولم أسامح أي من تسبب في ذلك، فأنتِ التي ذهبتي شاكية لوالدتك وجعلتيها تتحدث مع الأمر مع والدتي.

قلت له: أقسم لك أنه لم يحدث، بل أختي (جنى)، وانتهى الحديث على ذلك، وبعد يومان من الصراعات الذهنية، من المخطئ ومن الصحيح؟، أين الخطأ وأين الصواب؟، ما هو المفترض حدوثه ولم يحدث؟، لماذا حدث ذلك من الأساس؟

كيف مرء حوالي سبعة أيام دون وجوده، فلم يمر ثانية واحدة

دون أن يكون فيها بجانبي، إذا لم يكن فالعمل ففي أحد منازلنا، وإذا لم يكنْ في أحد منازلنا ففي الهاتف، وإذا لم يكنْ فالهاتف فهو في التنزه والخروج والتلاقي، كيف ستمر حياتى هكذا بدونه؟، كيف أستكمل حياتي الآن؟، ما هي حياتي بدونه إذاً؟، ثم سقطت دموع عيناي دون وعي وقد رأها الجميع ثم طلبت الذهاب إلى المرحاض، وعندما ذهبت تحدثت إليه فالهاتف وقلت له: أنا لا أستطيع العيش بدونك ولا أستطيع استكمال حياتي هكذا دونك، فبالله أفعل أي شيء، فأنا لا أدري ما المفترض في الحدث وأنا لم أفعله، حتى أنني لا أدري متى سأتعافي منك.

قال لي: لماذا تتحدثين معي الآن وتزيدين ما بي من آلالام.

هل أنا تركتك؟

هل استغنيت عنك؟

هل قبلت ببيعك؟

قلت له: أنا لا أعلم أين الصواب وأين الخطأ فسوف يجن جنوني من كثرة التفكير.

قال لي: ما تسبب فيما حدث فقط أخوتك يا (هدير).

(جنى) عندما ذهبت إلى والدتك تشكو لها مما قد فعلته أمي وإخوتي، و(فيروز) عندما ساءت بجميع ما بالمنزل، فقط هم المتسببين، وماحدث كان خلاف عائلي لا شأن لي في، ووالدك، اتصل به لكي أشكو له مما

حدث يقول لي أنه أقل ما قد يحدث؟، ويخبرني أن من ذهبت لتشكو هي أنتِ ولست أختك (جنى).

أخبره أنها (جنى) وليست (هدير)، يخبرني أنها (هدير) وليست (جنى)، أخبرني بذلك كثيرًا حتى قلت له أتريد أن أكرهها

هل ما يحدث وقد حدث يحتمل أن تكرهني بهدير، كيف ذلك؟، ما حدث أمر الله يا هدير وقد قضى.

قلت له: فلتبقى معي لطيلة العمر أريدك معي فقد لا أريد الابتعاد عنك.

قال لى: ألم تخبرينني من قبل أنه لا يجوز بل أنني قد أردت ذلك من قبل وأخبرتك، ولكن حقًا لا يجوز ابق معك وأنا أدري إنك لم تصبحين زوجتي في يوم من الأيام.

قلت له: أنا لا أدري ما المفترض أن يحدث، لم يسبق لي أنا أكون ضعيفة هكذا ولا أدري متى سأعود قوية مرة أخرى

فقد اضربت عن الطعام والمأكل والمشرب حتى أنني لم أنم، منذ ما حدث وأنا هكذا، لقد أصيب جسدى بالنزيف يا (عادل)، لم يحدث لي ذلك من قبل، كيفما مرضت أو تعبت نفسيًّا وجسديًّا، فلم أصب به أبدًا في حياتي!..

قال لي: فلتهدأي بعض الشيء.

قلت له: كيف لي أن أهدأ وكل ذلك يحدث من حولي، وفي ظل

الحديث معه على الهاتف اتصل بي أحد زملائي؛ لأنني قد تأخرت في المرحاض عن العمل، وقلت له سوف أنهى المكالمة الآن؛ لأنهم يتصلون بي.

قال لي: فلتفعلي وسوف نتحدث مرة أخرى، وعندما صعدت إلى مقر العمل ذهبت إلى القسم الذي أجد فيه ذاتي،

الذي أرى به بسنت ودياسطي ولست..

هدير!

أين هدير؟

أنا الآن لم أعد بسنت ولا هدير، تفقدت هاتفي وأرسلت إليه رسالة وقلت فيها: كنت أتشاجر معك بعض الشيء؛ لأنني لم أتحدث معك كثيرًا وكنت أزعجك حين أشتاق إليك وأريد أن نتحدث كثيرًا، والآن!

لقد حرم عليّ كل شيء حتى كم الدقائق لم يعدُ من حقي!..

قال لي: أريد منك ألا تفكري فى شيء فلتهدئي حتى إلى أن يتوقف ذلك النزيف، وقد انتهت المكالمة على ذلك..

وما زال النزيف يسيل دمي ويأخذ من جسماني لم أكل ولم أشرب ولم أنم، حين أشعر بالغثيان أو الإغماء ارتوى قطرة ماء أو آأكل أي شيء من الحلوى، حتى لا يشعر أحد بما أنا به، وفي ذلك الفترة كان (عادل) أول العابرين على ذهني طيلة الوقت، لم تمر ثانية إلا وهو ببالي وتفكيري، كاد عقلي أن يأخذني إلى عدة أفكار، وآخرهم أنه قد تم الاستغناء عني بغاية

السهولة بإرادته، ثم إنني قررت إضراب الحديث مع إخوتي وأهلي، لم أتحدث مع أحد، لم أحتمل أي كلمة من أحد تكفيني للغاية تلك نظرات البعض، من يتعاطف ومن يحزن ومن يفرح ومن أرى في عينيه الكثير من الأسئلة..

ثم في يوم من الأيام تحدثوا معي اثنان من زملائي أن (عادل) قام بممارسة الفاحشة مع (نجلاء) مقابل الأموال وأنها ليست إشاعة، لم أصدق، لكنني صدقت!..

(الفصل السابع)

(أين الصواب؟!)

أصبحت مشتتة للغاية

أريد أن أنسى (عادل)، وكان في اعتقادي حينها أنني لم أنسَه، حتى علمت بذلك الخبر، (عادل) خائن، كان يخونني وفعل الفاحشة مع (نجلاء) مقابل بعض الأموال، كيف ذلك؟، حتى أنني لم أكن خائنة حتى بنظرة أعين، ثم قررت أن أعاتبه أو ما يسمى أقوم بإهانته!..

فقد أرسلت إليه رسالة وقلت فيها: أنا لم أندم عليك ذات يومًا سأحمد الله على أن علاقتنا لم تستكمل، فأنت كنت شخص خائن، كنت تخونني، كنت معك وفعلت الفحشاء مع (نجلاء) مقابل الأموال، لقد علمت واستخبرت بكل شيء، حقًا إنك ليس الخير الذي كنت أتمناه في ذات يومًا، كنت تتحدث معي عن الخيانة وكيف على المرء أن يخون زوجته أو تخون المرأة زوجها، وأنت كنت تخونني، فلم أحزن عليك في ذات يومًا...

ثم أرسلت تلك الرسالة وفي المساء.

قال لي: ها هو ما تتمنينه أنتِ يا (هدير)

إن أصبح في منظورك ذلك الشاب الخائن؛ لكي يطمئن قلبك ويسترح ضميرك، لذلك أنتِ قد صدقتي على ذلك الحديث ولم تكذبي أحد أبدًاا، ولكنني لم أغضب منك يا (هدير) ولم يتغير حديثي عنك سوف أضل أخبر كل ما يعرفنا أن ما قد حدث هو فقط من العائلة وليس لدينا يد به، سأضل أتحدث عنك بكل خير ولم أصدق ما يقال!..

ثم شاهدت تلك الرسالة وكأنني لم أرها، ومرت أيام ولكنني لم أنسَه، فكان هو أول العابرين على ذهني حين يستيقظ عقلي قبل حتى أن تتفتح عيناي، واذكر خيانته كثيرًا، كيف فعل بي ذلك؟

كيف استطاع؟، كيف كان له أن يراوغني؟

ويستخف بعقلي كل ذلك فقد؛ لأننى أحببته، حتى أنني لم أخونه حتى بعيناي، لم أرَ رجل أجمل منه، بل لم أرَ رجلًا سواه من الأساس، فكان عندما يتحدثون معي أصدقائي أنني أسبقه فى الجمال وكيف نظرت إليه بالمنظور العاطفي هكذا وكيف لي أن أحبه للغاية.

كنت أقول لهم: لم يرَه أحد بعيناي، فهو كان لي أجمل ما في الكون بأكمله وأعظم من خلقه الله من منظوري..

لماذا فعل ذلك بي؟، كنت أستمع إليه فيما يقوله حتى لو كان مخطئًا وكان حديثه ذلك على سيف عنقي، تغيرت من أجله كثيرًا، تحملت أفراد عائلته وأحببتهم واعتبرتهم عائلتي وفعلت كل ما بوسعي لكي أروق لهم فقط من أجله.

من أجله؟

من أجل من؟

ماذا فعل ذلك الذي أفعل كل هذا من أجله، هو فقط خائن، لقد خانني وكان ذلك هو الشكر والتقدير!..

وفي ذات يوم تفقدت الصندوق الإلكتروني الخاص بنا!..

كنت أبكي كثيرًا عند مشاهدة كل شيء قد قرأته ورأيته بذلك الصندوق، ثم جاءت لي والدتي وقالت لي: إلى متى سوف تفعلين ذلك بذاتك؟

فقد باعك دون مقابل وكانت عيناه غافلة ولم يفعل شيء، ثم أنه قد خانك، وإلى الآن تحني إليه وتحبينه؟

كيف ذلك؟، قلت لها باكية: ماذا تقولين يا أمي؟

أنا حقًا أحبه للغاية!، لا أستطيع نسيانه ولا أعلم متى سوف أنسى ما قد حدث، متى سأستيقظ من النوم وأنا أشعر وكأنه لم يمر على حياتي ذات يومًا؟

قالت لي: الحل الوحيد هو أن تحذفي تلك المحادثة والصور الملتقطة ومقاطع الفيديو التي تجمع بينكم.

قلت لها مسرعًا وأنا باكية: لا يا أمي أرجوك لا.

لا أستطيع أن أفعل ما تخبرينني به، فذلك الصندوق الإلكترونى

يجمع أحاديثنا منذ أول كلمة قد أرسلها لي إلى آخر رسالة

والصور الملتقطة التي تجمعني به، صور قراءة الفاتحة وباقة الورد والصور التي أخذناها والتقطنا في التنزه والخروجات، ومقاطع الفيديو التى قد التقطناها أيضًا في منزله، المنزل الذي كنت سأشاركه فيه، كنت هناك سأستيقظ على وجهه وأنام وعلى وجهه، المنزل الذي تمنيت أن يجري ويمرح فيه أولادنا، لا يا أمي أرجوك، أنا لا أستطيع أن أفعل، ذلك فلك أن تؤمرينني بأي شيء إلا ذلك، حقًا لا أستطيع.

قالت لي: لا يا هدير فلتحذفي كل ذلك الخرافات، بتلك الطريقة سوف تتناسيه.

قلت لها: بل لم أنسَه.

أي طريقة يا أمي؟

أتعتقدين أنني هكذا سأنساه؟

قالت لي: بل يا ابنتي فلتستمعي إليّ

قلت لها: إذًا حذفتي كل ذلك لم تحذفيه من عقلي فهو يجري كمجرى الدم بداخلي يا أمي.

قالت لي: كفاك عن ما تتفوهين به، إلى متى ستبقين في ذلك الغفلة؟

فلتفعلي أنت الآن ما أخبرك به، سوف تحذفين كل شيء!..

ثم نظرت إلى الهاتف وتفقدت الصندوق الإلكتروني ذلك وأنا لم

أصدق ما يحدث حقًا لم يصدقه عقلي هل سأحذف كل شيء حقًا؟

حسنًا سأفعل؟..

ثم حذفت الصندوق الإلكتروني الخاص بنا، شعرت حينها وكأن روحي قد تركت جسماني عند حذف ذلك الرسالة، رأيت أنني حذفت أكثر من مئتين وثمانية ألف رسالة نصية، يبدو الأمر هين للجميع ولكنه لم يكنْ، فشعرت أنني أفقد شيء من قلبي بل قلبي بأكمله، فهذا الصندوق كانت اتفاقيات كل شيء، هنا كنا نتفق على التلاقي، وهنا كنا نتحدث في كل شيء بأمور الحياة وغيرها، قد شهد على كل كلمة قد أخبرني بها وأخبرته إياها، منذ كلمة بسنت إلى أن قال لي هل ما قد حدث حقيقيًّا؟..

لم تحذف كلمة أبدًا من قبل، كان يشمل الحزن والسعادة والغضب والحنية والهراء والفكاهية والثأر، الملابس الذي أراد شرائها وأخبرني بها لأخبره برأيي ويشترى ماذا ولا يشتري ماذا.

هنا اتفقنا على الخطط التي قد حققناها والتي لم نحققها بعد، هنا كنا نتحدث في مساء اليوم التي قد انتهينا منه وكان في بدايته لقائنا معًا ويخبرني في نهايته أنني كنت أروق له للغاية!

كان هذا الصندوق يشمل جميع المواقف بيننا، لم أتخيل أنه ذات يومًا سوف تحذف رسائلنا وصورنا وأحاديثنا وذكرياتنا بتلك الضراوة.

حتى أننى لم أتركه يهجر ولو للحظة واحدة وكنت أتفقده كل

يوم، لم يكن الأمر مجرد حذف محادثة بل كان وكأنني أمزق جزء من جسدي ويتفتت قلبي وينفرط، نحن لم نكن نتحدث بل كنا نتعانق بين النصوص، ثم إنني حذفت أيضًا جميع الصور التي قد التقطت ومقاطع الفيديو.

ولكن!..

ما قد أخبرت به والدتي كان صحيحًا حتى إذا حذفت كل شيء من هاتفي لم يحذف من عقلي أبدا فهو يجري كمجرى الدم بداخلي!..

وفي ذلك الوقت كان موسم المولد النبوي الشريف، وبعد عدة أيام كان يوم التاسع عشر من سبتمبر.. عيد مولده، الذي قد خططت له أنه سيكون أجمل يوم في حياته ولكنني لم أفعل!..

وفي صبيحة ذلك اليوم أرسلت إليه رسالة وقلت فيها: بجانب ما توصلنا إليه وما نحن عليه الآن وكيفما كان ما بداخلي نحوك وبداخلك نحوي ولكن لا يجوز أبدًا أن يمر ذلك اليوم دون أن أخبرك كل عام وأنت بخير ولكن بطريقتي!..

بأحد خواطري التي تعجبك للغاية، بل أنني كنت مخططة لذلك اليوم أنه سيكون أجمل يوم في حياتك ولكنني للأسف الشديد لم أفعل، وها هي تلك الخاطرة وأتمنى أن تروق لك!..

وهي: التاسع عشر من سبتمبر، مثل ذات اليوم في الصباح منذ سبعة وعشرون عامًا أشرقت الشمس باسمك، ابتسمت الوجوه من حول

والدتك قائلون لها: أدامه لك عز الأطفال ليصبح سيد الرجال، كانت تضيء بلدتك أنوارها احتفالًا بمجيئك للدنيا تواضعًا بأنك ستعيش فيها ولست في جنة السماء التي تستحقك..

فكيف حالك يا سيدي؟!..

وكيف حال قلبي الذي تركته معك ونحن موافقون للغاية، ولكنني مفتقدة أن يضخ قلبي بداخلي، وأنا الآن على قيد الحياة بفضل ربي و بالدم فقط، بالرغم من أنك تركض هرولًا داخل هذا الدم ولن تتوقف أبدًا

كل جزء في جسدي ينطق اسمك، عيناى التي تشرفت برؤياك يومًا ما، وفمي الذي كان له عز الشرف بأنه تحدث ذات يوم إليك، فكان لا يقبل التوقف عن الحديث حتى لو كان متعبًا، ويداي التي كنت تلمسها لمسة رقيقة وتفعل بها شيء أنا حتى الآن لا أعلم كيف كان لك أن تستطيع تجعلني أشعر وكأنك تعانقني لمجرد لمستها وفعل ذلك الشيء بها فقط..

حتى اسمِي الذي كان له عز العزة أنه كان على اسمك فى يوم ما... ينطق باسمكَ

حقًا!

أنا خسرت كل جميل بك..

وأيضًا فمثل هذا اليوم منذ ثلاثون يومًا، كانت أخر ليلة رأيتك فيها،

وكان أخر يوم أسمع فيه صوت حديثك، وأخر لقاء، وأخر نظرة أعين مني إليك عادةً مليئة بمحبتك يا سيدي.

يا ليتني كنت أدري أن هذه الليلة أخر لقاء، ما كنت تركتك ترحل لو حتى كان على سيوف عنقي، كانت ليلة ما علم بها سوى الذي جمعني بك، لا أعلم كيف مرت وكيف غفلت عيناي، وكيف لي أن أصبح فاليوم الثاني دون صوتك ودون وجودك في عالمى الجميل الذي أصبح جميل في وجودك فقط يا عزيزي، أريد أن أعلم!..

لماذا كل الذي حدث؟

كنت فقط أريد البقاء معك للأبد، تحت السقف الذي بُني من حبي لك وليس من المشترط أن يُبنى من حبك إليّ، كنت أريد أن يبدأ اليوم بوجهك وينتهي بوجهك، تشرق الشمس عن طريق عيناك عندما تضيء العالم في الصباح، كنت أود أن الأربعة والعشرون ساعة خاصتي يكونوا فقط أنت ومنزلك وأبنائك من رحمي ورائحتك في كل مكان بمنزلك الدافئ!

فأنا الآن أشم هذه الرائحة في مكان العمل الذي جمعني بك، الذي تذهب أنت عقبه إلى المنزل للاسترخاء والراحة، وتتركني أنا أراك في كل مكان بالعمل وأشُم رائحتك أيضًا، فتسترد روحي مرة أخرى، ولن تتوقف عيناي عن البكاء وهي قائلًا:

اشتقنا إليك يا سيد الجمال، أكتب لك هذا وأنا في أسعد لحظات حياتي؛ لأني أكتب لك وأنت تقرأ، كل عام وأنت ابني الأول من رَحم

الحب، كل عام وأنت سيدي وتاج رأسي، كل عام وأنت دائمًا داخلي ولن تذهب أبدًا، كل عام وأنت في البعيد ولكنك أقرب الأقربين هنا، كل عام وأنت أيامك سعيدة وأنا أيامي لا ترى السعادة سوى عندما تراك سعيدًا.

كل عام وأنت في بالي وتفكيري وعقلي وخيالي حتى في الوقت الذي أسرح فيه عن العالم شاردة، كل عام وأنت لقلبي سيدًا، كل عام وأنت نسيانك على البال مستحيلًا ولا يمكن التفكير بمحاولاته، كل عام وأنت الوحيد الذي سرق مني عنادي وجعلني دائمًا أتحدث حاضرًا وأمرك يُنفذ ويطاع فورًا يا سيدي، كل عام وأنا عندما أريد أن أشعر بالأمان أتذكر لمسة يداك التي كانت تحتويني وكأنها عناق بسيط، فاللهم كل عام وأنا عندما يستيقظ عقلي قبل عيناي وقبل أن تتفتح فهو يفكر بك حتى قبل أن تتفتح عيناي..

إلى اللقاء في حديث أخر ستستمع إليه مني..

ثم أرسلت تلك الخاطرة وعند استلامه تلك الرسالة، تأخر في الرد بضع دقائق بعد مشاهدتها، وأرسل إليّ مقطع صوتي كاد أن يشق قلبي نصفين، كان يقال فيه: هل ترسلي إليّ تلك الرسالة لكي تندميني عليكِ؟

تريدي أن تزيدينني تعب أكثر من تعبي؟

ترسلي إليّ تلك الرسالة لكي تجعليني أمت أكثر ما إنني حقًّا ميت بسبب ابتعادك عني؟

يا هدير أريد أن أخبرك أنه منذ أن ابتعدي عني وتركنا بعضنا وأنا..

وكان يبكي أشد البكاء، لم أستمع إلى صوته هكذا من قبل، لم أستطع أن أتحدث بعد ما قد سمعت به.

ولكن قلت له: لم أكن أدري أنك متعب هكذا أعتذر منك للغاية حقًا يا (عادل).

قال لي: كنت على يقين أنك سوف ترسلين إليّ معايدة وكنت على يقين أكثر أنك ستتصلين بي على الهاتف؛ لأنني أريد سماع صوتك.

فكان سيصبح أجمل يوم في حياتي عندما أجد معايدة من أكثر فتاة أحبها في حياتي.

قلت له: وأنا لم أستطعْ أن يمر ذلك اليوم دون إخبارك وكل عام وأنت بخير، ولكن لا يجوز أنه في يوم هكذا تكون بذلك التعب والمشقة.

يجب أن تكون في غاية السعادة وسط جميع من يحبوك ويفعلون كل ما بوسعهم؛ لكي يروك سعيدًا وتتناسى كل شيء.

قال لي: مخطأة يا (هدير).

فمنذ أن تركنا بعضنا وكل أيامي متشابهة، أتدرين؟

قلت له: فلتخبرني يا عادل.

قال لي: حتى إنه يوم العطلة الأسبوعية لم أتنزه مع أصدقائي كالمعهود، أقضي اليوم بأكمله نوم فقط، وعند الاستيقاظ أتفقد هاتفي

وأنظر إلى صورك وأتحدث معك فيما يزعجني ثمَّ أذهب إلى النوم مرة أخرى، ثم أنني صرت أكثر نحافًا، تساقط وزني حوالي تسعة كيلو جرامات، وأقسم لك بالله يا (هدير) ولك أن تعتبرين أنه وعد مني، لم ألقى فتاة أبدًا، لم أفتح لأحدًا باب لحياتي من بعدك، لم أعرف مخلوقة..

قلت له: كنت أتمنى يا (عادل) أن نستقدر على محاولة فيما وسعنا؛ لكي لا نبتعد عن بعض هكذا وكأنه كان أمر الله وقد قضي، بل إنه حقًا أمر الله، فجاء أمامنا القدر وحلف أننا لم نستكملْ أبدًاا.

قال لي: لم يستحلف القدر، هو فقد بيد الله ونحن لست على علم بخبايا الله عز وجل.

قلت له: (عادل) أريدك أن تعلم لو أمر الله قد قضى في أنك تصبح زوجي فأمره سيقضي، وإذا أراد ألا أصبح زوجتك فما يريده قد يحدث.

قال لي: وها هو الذي أؤمن به للغاية، ومثل ما أنا موقن بذلك موقن أيضًا بأنني إذا كنت حينها تحدثت فى الأمر مع والدتي ووالدي كنت سأخسر إحداهما، وموقن أيضًا أن الله يمكن أن يبدل تلك الأحوال في لمح البصر مثل ما أبتعدتي عني في لمح البصر!..

قلت له: ونعم بالله وصدق الله.

قال لي: أريد أن نلتقي حين تنتهي من ذاك الموسم، أريد أن أراكِ وأريد أن أتحدث معك.

أشعر أنني وحيدًا للغاية فقد أصبت بفقدان الشغف، غدًا أنا وعائلتي

سوف نذهب إلى رحلة مصيفية، وأريد ألا أذهب، لم يعد بداخلي شغف المرح الطبيعي لتلك الإجازة.

قلت له: كيف لك أن تكون وحيدًا؟

أين أفراد عائلتك والقوم الذين يحبوك للغاية ويخشون عليك؟

قال لي: جميعهم متواجدون ولكنك لست بينهم يا (هدير)!..

قلت له: فلتهدأ قليلًا الآن وخاصًا اليوم، فاليوم عيد مولدك وأيضًا غدًا سوف تذهب لتلك الرحلة المصيفية، كيف لك أن تكون هكذا؟

قال لي: هل ستسمحين لى بمقابلتك؟

قلت له: سوف نتحدث عند عودتك يا (عادل).

قال لي: أتدرين؟!

صورك حتى الآن بهاتفي ولم أحذفها.

قلت له: لا تحذفها يا (عادل) فاجعلها هكذا متواجدة؛ لكي تذكرك بي.

قال لي: لم أحتاج إلى أن تخبرينني يا (هدير).

أنا لم أحذفها، حتى إنني لم أنساكِ؛ لكي تذكرني بك تلك الصور، أنا أنظر إليها كل يوم لأنني أفتقدك وأشتاق إليك كثيرًا وألجأ إليها حين أريد أن أتحدث مع أحد، لن أنساكِ يا (هدير!)..

قلت له: حسنًا يا (عادل) حمدا لله على كل ما يريده وآية حال، ثم

قد انتهى الحديث على ذلك، ومنذ حينها وهو يطمئن على من حين إلى أخر برسالة نصية، كيف حالك؟، هل أنتِ بخير؟، هل انتهيتِ من عملك؟، هل تأكلين جيدًا؟

يخبرني عن حالي وهو لا يعلم أنه حالي فبالله قد أردت أن أخبره حالك من حالي فكيف حالك يا جميع أحوالي!..

ومن بعد ذلك استمر حالي على هذا، لم أفقد الأمل ولو للحظة واحدة، وفي ذات التزامن لا أرى شيء واحد يجعلني على يقين بأن الله سيجمعنى به واستمر جسماني على ذلك وأصبح أكثر نحافًا وتكاثرت البقع الداكنة في وجهي وأصبح كل ما يراني يعتقد أنني فقد جسمان دون روح..

من يحزن من أجلي على ذلك الوجه والحال، ومن يشمت ويسعد بما بي من آلام؛ لأن جميع من يشمتون هم الذين أرادوا ألا نستكمل علاقتنا أبدًا، وفي ذات يوم رأتني (ليلى)، وقالت لي: إلى متى ستضلين هكذا؟، أين ضحكتك وأين ابتسامتك وأين فكاهيتك؟، أنا لم أراكِ هكذا من قبل، قلت لها: فماذا بي؟

على أية حال أنا بخير وحمدًا كثيرًا لله.

قالت لي: بل لم تكونين بخير أبدًا فلماذا لا تحاولي أن تستعيدى علاقتكم مرة أخرى.

قلت له: هذا أمر الله وقد قضى يا (ليلى) ثم إن ما قد حدث لم

يكنْ بيدانا فيه شأن، فأفراد عائلتنا هم المتسببون، ثم تركتها وذهبت إلى عملي، وبعد عدة أيام تلهيت في موسم المولد النبوي الشريف، وحاولت استرجاع ضحكتي مرة أخرى مع أصدقائى ولكن الأمر ما زال كالحفرة بداخلي، وفي ذات يوم جائتني (ليلى).

وقالت لي: أنا في أشد الاضطراب منك إلى الغاية فمنذ أن تقدم عادل لخطبتك وأنتِ لم تتحدثي معي حتى أنك سُؤتِي في معاملتي للغاية ولا أعلم لماذا؟

قلت لها: اضطرابي منك أكثر من اضطرابك بكثير الكثير، فعندما كانت والدة (عادل) متعبة تحدثت معها للاطمئنان عليها أخبرني في المساء أنك تحدثتي معه وقلتِ له ما بها والدتك سلامات الله عليها، فمن أين علمتي يا (ليلى) منَ أخبرك، فعندما أخبرني أنها متعبة كنت بمفردي في مقر العمل، من سمعني وجاء لإخبارك من الأساس.

قالت لي: ما هذه تلك الخرافات؟

ففي ذات يوم تحدثت مع عادل وقلت له كيف حالك قال إن والدته متعبة للغاية وهو حزين لذلك الأمر وبعد يومان تحدثت معه على الإنترنت مرة أخرى وقلت له كيف حال والدتك سلامات الله عليها..

استعجبت للغاية!

وقلت لها كيف ذلك؟

(عادل) انفعل بثأره على في هذا اليوم.

وقال لي: من أين عرفت (ليلى) أن والدتي متعبة واتهمني أنني أفشي بأسراره وبما يقوله إلى ويحدث بين عامة الناس.

قالت لي: ذلك لم يحدث، أقسم لك أنه ما حدث!

قلت لها: فلتصدقيني أن ذلك ما أخبرني به.

وقالت لي: أتذكرين اليوم التي قد رأيتك فيه متعبة للغاية، حينها تحدثت معه وأخبرته عن حالتك.

وقلت له: بما إن الأمر هكذا فلتسترجعوا علاقتك مجددًا، فيبدو عليك أنك حزين وما زلت تحبها للغاية.

وقال لي مستهزءًا بسخرية: حزين؟ لا يستحق أحد أن أحزن من أجله سوى ذاتي وقال لي أن أختك (جنى) هي سبب كل ما حدث؛ لأنها ذهبت لتشكو لوالدتك بالكذب وأن أختك (فيروز) أساءت له ولأفراد عائلته للغاية وإن عندما ذهب ليشكوا لأباكِ مما قد حدث من أختك تشاجر معه أباكِ

وقال له: أن ما حدث أقل ما سوف يحدث في الطبيعي.

وتفوه أباكِ بأبشع الألفاظ البذيئة والشتائم التي تشين بك وبوالدته وبه.

قلت لها ماذا تقولين؟

هذا كذب.

كيف له أن يقص عليك ما حدث بذلك الكذب والبشاعه السوقية؟

أنتِ إذا علمتى جيدًا ما حدث ستعلمين أنه يكذب.

قالت لي: فلتخبرينى إذًا.

قلت لها: والدته لم تحبني من البداية ولا أنا كنت على علم بذلك، كانت تعاملني أسوأ معاملة حتى أن إخوته أيضًا يفعلون ذلك بمعاونة والدته فلم يتوقفوا عن ما فعلوه بي بتشجيع والدتهم في ما كان يحدث..

كان دائمًا يقول لي:

أمي وإخوتي.

أمي وإخوتي

امى واخوتي.

وقد تحملت كل ذلك دون أي انتظار مقابل، فقط من أجله ومن أجل خاطره ولأنني كنت أحبه للغاية، وفي آخر مرة عند عودتى من الإجازة الصيفية جلبت لأبناء أخته هدية بسيطة وذهبت لكي أعطيها إياهم، ولكن يا ليتني ما قد فعلت ذلك وما ذهبت، فنظراتهم إلى لم تكنْ مريحة للغاية، حتى أنه كان يبدو ذلك في سلاماتهم الترحيبية، ثم أن والدته.

قالت لي: أنتِ نحيفة للغاية وسمراء اللون بل تبدين سوداء...

تصادمت (ليلى) للغاية!

وأسرعت قائلًا: نعم؟ وماذا عن ابنها النحيف الأسود إذا؟

ضحكت كثيرًا وقلت لها: بالله فلتنتظري فأنا لم أقل لك شيء حتى الآن استمعي إليّ جيدًا.

فوالدته قالت لي أيضًا: أنه كيف سيلقون عليك عائلتنا سلامات الترحيب، فسيذهبون إلى فورًا ويقولون لي ما هذه التي جلبتيها عروس لابنك، فهي مشينة وبشعة للغاية، وعندما سمعت أختي الصغيرة ذلك الحديث.

قالت لها: بل إنه أيضًا أسمر اللون أكثر منها ونحيف للغاية حقًّا، ثم حكيت لها ما فعلته (جنى) عند الذهاب إلى المنزل.

وقلت لها: أيضًا عندما تحدثت والدتي مع والدته في الهاتف للمعاتبة وقالت لها أن معاملتك لابنتي سوف تنعكس على معاملة حماة من يتقدمون لخطبة بناتك، أساءت الفهم والدته وقالت لأمي يا (عاهرة)...

نظرت إلى (ليلى) نظرة مندهشة!

وقالت لي: كيف ذلك؟

هو لم يخبرني بكل ذلك أبدًا!....

فقال لي فقط أن عندما شكى من أختك (فيروز) تلافظ أباكِ بأبشع الألفاظ المشينة لك وله ولوالدته، ثم انتهى الحديث على ذلك....

فقد تعجبت للغاية، كيف قال لي أنه يخبر القوم أن ما قد حدث لنا

ليس بشأننا فيه وهو من جهة أخرى يشين بعائلتي ويقول ما لا يقال في حقيقة الحدث، كيف أنا لم أقص لأحد ما حدث حتى أصدقائي المقربون لكي لا أشين في عائلته، وهو يذهب ذلك يحكي القوم إن عائلتي هم المتسببون ويتظاهر بالبراءة وارتياح الضمير من جهة عائلته، فقررت أن أرسل له رسالة معاتبة وقلت له: عادل ما أرسله لك الآن هي آخر رسالة ترسل إليك؛ لأنني لا أريد التحدث معك مرة أخرى فقط سوف أخبرك بما أريد قوله، وبما أنه قد حكم الله عليك أن تكون ذات يوم خطيبي فلك أن تعتبر ما أقوله عتاب، أنا مضطربة منك للغاية يا (عادل)، أنا لم أحكِ لأي أحد ما قد حدث حتى أصدقائي المقربين مني كالدم، فقد حاولت الاحتفاظ بما حدث بداخلي حتى لا يسيء أحد بعائلتي أو عائلتك، كان كل ما يسألني فقط أقول أن ما حدث قد فات وأنا لا أريد التفوه به أبدًا بل أن ما بداخلي يكفي، لم أحكِ لأحد ما قد حدث، لم أحكِ أن والدتك سبت والدتي بأبشع الألفاظ لمجرد أنها فقط تحدثت معها للعتاب كأي حماة، لم أخبر أحد أننا قد فعلنا المجرد والطبيعي وقد أخذنا بحق والدتنا، فمن الأساس ما هو المرء سوى كرامة، عندما ساءت والدتك لوالدتي هكذا قلت لها أنا الآن قد تركت (عادل) ولم أعدْ مرة أخرى ، ومن يشفع له فقط هو أن يأتي للاعتذار منك هو ووالدته وإما أن تأبى أو توافقي، فهي أمي الغانية عن كل شيء، فلك أن تتخيل أنك بمقري، إذا أساء أحدهم لوالدتك هكذا بذلك اللفظ وبدون مقدمات أو سبب ماذا ستفعل أنت؟

أنا فقط أريد منك أن تخبرني لما تظاهرت هكذا بعائلتي أنهم المتسببين،

فأنا لم أتحدث في حق والدتك طول لقائي معك سوى بالخير، ولم أتحدث عنها سوى بما لم كنت أراه ذات يوم بالله، وأنت إذا ماذا فعلت؟ فقد تحدثت في الأمر مع الأكبر والأصغر ويا ليتك تفوهت بالحقيقة، ما تركت للشركة أحاديث سوى فقط لماذا تركا عادل وهدير بعضهم، فأنا لم أتوقع أنك ستفعل ذلك الشيء.

وعند أحاديثنا المجردة بعد انتهاء العلاقة أخبرتك ألا تتحدث مع أحد في الموضوع أبدًا، وأنت لم تستمع إليّ، فتحدثت مع الجميع بل عامة الناس، فأنا لم يغضبني الآن سوى ذلك الأمر.

ماذا فعلوا لك عائلتي لكي تتفوه عنهم هكذا؟

على القلية لم يكنْ بهم أحد ينزعج منك سوى (فيروز) وكان بسبب أنها تراك تشاهد كل ما يحدث لي من عائلتك وتصمت

ولكن أنا؟

أحببت عائلتك دون أية انتظار أو مقابل، ورأيت بعين جميعهم أنهم لا يحبونني وكنت لا أعلم ما هو السبب، كنت دائمًا أقول لذاتي سوف أتحمل فهي امرأة مسنة والأهم من ذلك أنها والدة عادل أي تلقى فوق الرأس، وإخوته سأعتبر أنهم مثل أخوتى ولم أغضب منهم أبدًا، وكل ذلك فقط من أجل (عادل).

عادل!

أين عادل؟

فكان بجابني على الأريكة لم يفصل بيني وبينه شبرين، ويتفوه بما يزعجبني معهم أيضًا ومثلهم تمامًا وليس هناك فرق

كل ذلك أنا لم أخبره لأحد.

لم أتحدث فيه أبدًا؛ لأنني دائمًا كنت أذكر أنه في ذات يوم كان أفراد عائلتك سيصبحون عائلة أبنائي فلا داعي للذم، كنت أعتقد إنك ستخبرهم مثلي أن كل شيء بيدى الله وأنه أمره وقد نفذ وقضى..

حتى أنك لم تقلْ الحقيقة كاملة، تظاهرت بأن عائلتي هم المذنبون المتسببون وأن عائلتك هم المظلمون، لم أدر لماذا تركت خطيبتك السابقة، ولكن الآن قد علمت، من المؤكد أَنه قد حدث معها مثلي تمامًا فقط لأن والدتك لا تريدها، لا تريد أن تختار من تتزوجها، فلها الاختيار فقط وكأن هي من ستتزوج، يا عادل بالله حاول ألا تكون هكذا مجددًا، فحاول بقدرتك أن تكون صاحب قرار ذاتك، أنت رجل وشاب وسوف تتلاقي بامرأة ستترك عائلتها من أجلك، فيجب أن تحافظ عليها، صدقني لم يتحدثون القوم في شيء سوى بالكلمة المعهودة (ابن أمه)، لم يتفوهون بالأحاديث المعتقدة بذهنك أنك رجل ذو شخصية، فأنت كنت بكامل شخصيتك المتسلطة علي، حتى إنك هكذا في الشركة وبمقر عملك، فلا يجوز أن الشاب ذو الشخصية المتسلطة، فهو أيضًا مثل الطفل الرضيع في منزله وينتظر الأوامر من والدته وإخوته لتنفيذها..

فنحن فتيات لم نأخذْ بأوامرنا من أحد سوى أبوانا وأمنا، هم

المتسلطين فقط علينا، أما أنت رجل يا (عادل)، يبدو أن والدتك وأخوتك جعلوك تتناسى ذلك الأمر، أتدري؟

لم أنسَ لك يومًا أنك تركتني في اليوم الذي لم أحتاج فيه لامرئ سواك..

ولكن لم أطلْ الحديث أكثر من ذلك فقط سأخبرك بانتهاء ما أقوله يا (عادل)، حاول بقدر ما يمكنك فعله ألا تتحدث مع أحد في ما حد وبموضوعنا مرة أخرى، من تتحدث معه فقط أخبره أن كل شيء بيد الله، ولا تتحدث عني سوى بالخير؛ لأنك بالله لم ترَ مني إلاه

إلى اللقاء يا (عادل)..

أرسلت تلك الرسالة وانتظرت أن يرد على برسالة مثلها متوقعة أنها سيبرر موقفه كالمعهود، ولكن ما حدث لم يخطرْ بذهني أبدًا..

اتصل بي على الهاتف..

وعند الرد قال: أتدرين؟

كنت سأذهب إلى المسجد لقيام الصلاة وعند رؤية رسالتك قد غضبت للغاية وتراجعت وصممت أن أتحدث معك على الهاتف؛ لأنني الآن خصيصًا لا يمكن أن أتحدث معك على الإنترنت.

قلت له: ولماذا غضبت؟

قال لي: كلامك يشير إلى الاستفزاز والاستهزاء، أنتِ تشيني إليّ

بالغير مباشر، تسيئي إلي ولكن بالأخلاق.

قلت له: أنا لم أسيء لك أبدًا فكلامي يدل على العتاب فقط لماذا تقول ذلك هل أنا أكذب فيما قد حدث.

قال لي: بل لا تكذبين ولكن ما تقولينه لم يحدثْ.

أنا لم أتحدث مع أحد.

قلت له: بل تحدثت، أنت فقط تذكر يا (عادل).

قال لي: فلتخبريني إذا ما حدث في المرة الأخيرة.

قلت له: أية مرة؟

قال لي: عندما كنتِ بمنزلي.

قلت له: لم أتحدث في ذلك الموضوع؛ لأنه يغضبني للغاية.

قال لي منفعلاً: بل ستتحدث.

قلت له: لا نتحدث.

قال لي: إذا فلتستَمعي إليّ، أنتِ أشد المنافقين يا (هدير).

هل تعلمي لماذا؟ لأنك لم تمضِ إلا عندما أخبرتك والدتي ألا تحزن، وعندما ذهبت إلى المنزل شكوتَ لوالدتك.

قلت له: يبدو عليك أنك في أشد التصميم أنني من شكوت، ولذلك أنا لم أبرر ولكن لك أن تتذكر، هل هي أول مرة؟ لم تكنْ المرة

الأولى فلماذا قد أشكو الآن خصيصًا إذا؛ لذلك انا لم أزعج ذاتي أمامك، فما تريده قوله فتخبرني به وأنا لم أنزعج.

قال لي: وإخوتي ماذا قد فعلو لك حتى إنكِ لم تشكُ لي ولو لمرة.

قلت له منفعلة: وكيفما كان قد سيحدث لم أشكُ يومًا، فكنت أحتمل فقط من أجلك.

فقط من أجلك يا (عادل).

فأنا لم أشكُ من أحد وليس لدي حس الشكوى، فكيف حين يأتي اليوم وأشكو، أشكو من عائلتك؟

كنت أحتمل من أجلك فقط كل شيء، وأنت كنت تماثلهم جيدًا للغاية.

قال لي: من الجيد أنك ذكرتيني، فكل مرة تقولين فيها أنني كنت أماثلهم، فالآن سوف تخبرينني ماذا تقصدين؟

قلت له: تريد أن تعلم.

قال لي: أي نعم أريد.

قلت له: أنت كنت بجانبي وجميعهم يتفوهون بكلامتهم المزعجة والمشينة لي الليست حقيقة وأنت أيضًا تتحدث معهم

كنت تنبهر بي في كل مرة تراني فيها، ما هذا الجمال؟

كيف لك أن تكوني أجمل من العروس هكذا؟

أنتِ تروقي لي فى كل شيء..

وعندما كنت سيئة من منظورهم وجدت ذاتي سيئة أيضًا من منظورك أمامهم، كيف لك ذلك يا (عادل)؟

قال لي: ما حدث كانت أمور سيدات فما شأني بها.

قلت له: إذن فكان، فيجب أن تصمت، مثل المرات السابقة، في كل مرة كانوا يسيؤون إلى فيها كنت تصمت، فياليتك صمت ذلك المرة، فإذا كان حدث ما كنت سمعت كلمة أنك كنت بجانبي ولم تتفوه بشيء، ولكن هي فقط حكمة الله!

ثم قال لي: تلك الرسالة تعكس تمامًا الرسالة التي أرسلتيها إلى يوم ميلادي، هل كنتِ ترسليها من وراء ظهرك.

قلت له: أقسم لك أنني أرسلتها من أعماق القلب فذلك اليوم كان مميز للغاية، فأولًا هو يوم ميلادك

وثانيًا أن حين ذلك اليوم قد مر على فراقنا ثلاثون يومًا بالضبط، فلا يمكن أن أكون كاتبة ولا أكتب عن ذلك الأمر.

قال لي: أريد أن أعلم إذًا من الذي أخبرك بما تخبرينني به، فأنا لم أتحدث مع أحد.

قلت له: فلتتذكر أنت.

قال لي: وتخبريني أن والدتي المتسلطة عليّ وأنا فقط ذو شخصية

عليك وعلى ما في مقر العمل؟!

قلت له: فهي الحقيقة.

أنت مثل الطفل الأبله أمامها يا (عادل).

قرارها من قرارك.

قال لي: هل لأنني أحاول أسترضيها أصبح هكذا؟

قلت له: لم أقل ذلك، فمن له خير بعائلته ليس لديه الخير في أي شيء، ولكن هناك فرق بين من يرضي أمه ومن يأخذ منها الأوامر وتخطيطات حياته وينتظر اختيارها في كل شيء، بل إخوتك أيضًا متشجعون من أجلها، لك الله يا (عادل)!

قال لي وصوته حزينًا: حسنًا يا (هدير).

وأنا الآن لدي مع (ليلى) حساب آخر.

وأنتِ لا أريد أن تحزني وتغضبي مني

قلت له: وأنت أيضًا لا تحزن مني!

قال لي: إلى اللقاء يا (ست البنات).

ثم بعد عدة دقائق أرسل لي رسالة عبر الإنترنت.

وقال فيها: أعزك الله يا (هدير) كما أعز رسله وأنبيائه ورفع شأنك وقدرك كما رفع قدر أنبيائه وأنار وجهك وقلبك وأضاء بصيرتك وأنبأك بغيبك الله، أشهد لكي في كل جبال الله علم ينبأ عن الاحترام

والأخلاق، أشهد بأصلك ومعدنك، فهو مثل الذهب والآثار.

أعزك ربك بالخير يا أغلى فتاة قد تعرفت بها بحياتي..

أسعدتني تلك الكلمات للغاية، ولكن أزعجتني أيضًا كلماته التي لم أنسَها، حين قال أنني أشد المنافقين، كيف ذلك؟

كنت مضطربة منه للغاية وأردت أن أعاتبه فيما قاله.

تحدثت إليه وقلت له: لا يمكنني أن أحمل إليك حزن واضطراب وألا أخبرك به؛ لأنك حقًّا تعني لي الكثير.

(عادل) أنا لست منافقة مثل ما أخبرتني، أقسم لك أنني لست هذه الفتاة لا يمكنني أبدًا أن أكون كذلك، عندما حدث ما قد حدث هذا أنا لم أخبرك؛ لأنني كنت على أتم الاستعداد؛ لأن أستكمل علاقتي بك إلى حد الدهر وطيلة العمر حتى إذا كان ما قد كان يحدث قد حدث كل يوم.

وكنت حينها كل ما لدي في هذا العالم.

لا تعتقد أنني كنت أنافق لك وأنه ما داخلي غير الذي بالخارج فكنت حقًا أسامح من أجلك ولم يأتِ بذهني ذكر الشكوى يومًا ما، (جنى) هي من شكت؛ لأنها حزينة عليّ، بل أنني تحدثت معها كثيرًا ألا تشكو لأحد ولكنني لم أستطع أن أوقفها، قلت لها أن ما يحدث لا بعنيني لأنني سأعيش معه فقط وليست معهم وهذا يعنيني عن العالم بأكمله، أنت الآن لست خطيبي أو أي شيء من هذا القبيل.

لكى أخشى حزنك ولكي أكذب أنا حقًا أتفوه بالحقيقة، ولك أن تعلم أنه ما كان حدث كان لم يحدث أنت لم تدرِ حينها أنني حزينة والدليل على ذلك أنه ليست المرة الأولى وليست كانَت الأخيرة..

لم أنافقك يا (عادل) أبدًا، لم يكن حبي لك نفاق ولا كلمة قد تفوهت لك بها، لم يكن شعوري لك نفاق بل كان أكبر الحقائق ومثل ما أذكر دائما أنك تركتني فالحين الذي لم أحتاج فيه لامرئ سواك، أذكر أيضًا أنني عشت معك أجمل مائة وتسعة وثلاثون يومًا في حياتي، لك أن تقدر تلك الصراحة وتعلم أنه بالله لم أكذب، عليك وبحياتي ما نفقت لأي شخص حاش لله من ذلك الذنب يا (عادل).

وثمة شيء أريد أن أخبرك به.

إذا اشتقت إليّ تذكر أنك من تركتني في الحين الذي لم أحتجْ فيه لامرئ سواك، ولكنني سامحتك على ذلك ليبقى لك بداخلي كل الخير فقط..

ثم أرسلت تلك الرسالة العاتبة وعندما رأها أرسل لي رسالة أخرى وقال: فلترسلي ما تودين رسالته وتتفوهين بها يروق لك يا (هدير).

لم أغضب ولا أحزن من أحاديثك أبدًاا، وللعلم، لا تقولي إذا اشتقت، فأنا دائما مشتاق يا حبيبة العمر أدامك الله بألف خير

رأيت ذلك الرسالة وبكيت كثيرًا..

حقًا؟..

هل تلك النهاية؟

لم نبقى سويًّا أبدًا وما تركه لنا القدر هو الذكري والخير فقط..

في ذلك الفترة كنت حقًّا أريد نسيانه، أريد ألا أتذكره مرة أخرى، فما يحدث من حولي خارج إرادة النسيان، فأنا أره في كل مكان بالعمل حتى عندما يذهب إلى المنزل، ثم إن نظرات البعض لا تحتمل أحدهم نظرات شفقة وأحدهم الشماتة، ثم حذفت رقم هاتفه من هاتفي المحمول لكي لا أتحدث معه مرة أخرى ولا أرى له أي شيء، وبعد عدة أيام أرسل لي رسالة عبر الإنترنت.

وقال: لماذا اختفيتِ هكذا فجأة؟ ف أنا لم أر لك شيء.

قلت له: لأنني حذفت رقم هاتفك يا (عادل).

قال لي: حقًا؟.. حسنًا أنا فقد كنت أريد الاطمئنان عليك.

قلت له: أنا بخير سلمك الله..

حزنت كثيرًا لما حدث ولكن كان أفضل لي ألا أرى له شيء، فيكفيني ما يحدث في العمل.

حاولت بقدر إمكاني أن أتظاهر أمام القوم أنني بخير وأنني قد نسيته وأنه لست ببالي وأنني قد استسلمت لما حدث و(عادل) ما عاد يعنيني بشيء.

ولكن!..

كانت رائحته هي المتسلطة الوحيدة علي في كل شيء.

أشمها في العمل بل بمجرد خطاي.

أشمها في بعض ملابسي فهي متواجدة وتفيض بينهم حتى من بعد الاغتسال.

فهو كان حينها أعز العابرين على عمري.

ولم أود أن ننتهي هكذا.

أريد أن أعيش معه كما كنت أود، لا أريد أن يذهب وفي داخلي بقايا منه، بل كل شيء.

لا أريد أن أحبه في البعيد وهو بعيد بالجسد ولكن أقرب الأقربين إلى قلبي..

ترك رائحته بمكان العمل وتركها في ملابسي وترك لي كل شيء منه هنا.

ثم ذهب!.

وإلى هنا منذ ذلك الوقت الذي قد تفارقنا فيه قد مرء ثلاثة وسبعون يومًا دون وجوده، دون حديثه معي فالهاتف في صبيحة اليوم، دون لقائه كل يوم بمكان العمل، دون صوته ودون كل ما كان يبقيني على قيد الحياة..

وفي ذلك الوقت كان زفاف أحد زملائي وعندما ذهبت إلى الزفاف

شعرت أنني لا أستطيع المرح الاعتيادي، كل شيء مظلم من حولي رغم كل الأضواء، ينتابني شعور التشتت في كل مرة يحدث فيها أمر جديد، وكأنني أريد أن تتوقف الحياة إلى هنا، إلى اليوم الذي تفارقنا فيه.

كنت أسول لنفسي كثيرًا كيف تمر الأيام هكذا دون وجوده معي!

كيف يتعاشوا ذلك القوم؟

كيف تمر الأيام من الأساس؟

لماذا لم تتوقف دنياي؟

فقد انتهى ذلك الزفاف وأنا على ذلك الحال.

وفي ذلك الوقت كان قد فات عدة أيام على أنني لم أراه في العمل.

وفي صبيحة اليوم التالي كنت أسير إلى مقر عملي فشعرت أن (عادل) يأتي من خلفي وحين شعرت به رأيته حقًّا يأتي من خلفي وجاء أمامي.

ثم أنني استعجبت للغاية.

هل أنني أشعر به هكذا للغاية؟

نعم.

حق في كل روح تشعر به في داخلي.

وحين ذهبت إلى مقر عملي شعرت بالإغماء وقد أتاني دوار في رأسي جعلني أفقد الوعى حقًّا، لم أشعرْ بذاتي أبدًا من بعدها، وعندما استرجعت إلى وعيي مرة أخرى بمعاونة أصدقائي شعرت أن الأرض

لا تحملني!

جسدي متوقف تمامًا.

فطلبت من أحد المشرفين أن أعود إلى المنزل على الفور؛ لأنني لم أستطيع استكمال العمل اليوم، ثم ركبت المواصلة التي تصل بي إلى المنزل، وكان يركب فيها (عادل) ليصل إلى المنزل لأنه يسكن بجواري..

وانتظر السائق جميع العاملين بالشركة المتجهين إلى منزلهم للعودة، ثم رأيت (عادل) يأتي من البعيد للصعود إلى المواصلة، وعندما بدأنا بالسير في الطريق قد زاد تعبي للغاية أكثر مِمَّا كنت عليه لم أقدر على اتخاذ أنفاسي جيدًا وجسدي ما زال متوقف ولا أعلم لماذا كل ذلك التعب.

استرجعت لتعبي مرة أخرى فقط لمجرد أن قلبي شعر به!..

فكان يجلس بجانبي حينها أحد زملائي الرجال ورآني هكذا.

وقال لي: ما بك؟

صرت أموء له لكي أنطق بأنني لا أستطيع التحدث وأن جسدي متوقف ولكنه لم يفهم جيدًا.

فقال لي: أنا لا أدري ما المفترض الآن!

حتى وإن استطعت أن أساعدك في أي شيء فإنني لم أفعل ولذلك السبب سوف أتحدث مع (عادل) على الهاتف ليأتي هنا ويرى ما بك...!

فذهب إليه حقًّا وفورًا عند القيام قد جلس (عادل) بجانبي.

وقال لي: ما بك يا (هدير)؟

ولكنني لم ألقَ بردي عليه من كثرة التعب.

فسأل السائق على مياه، ثم سقاني بيداه الكريمتان، وضل بجانبي ولن يتركني أبدًا ثم ذهبت إلى غفلة النوم بعض الدقائق، فأعتقد أنني فقد الوعي ثم حاول أن يقيظني بكل خوف، وبقيت على ذلك الحال حتى تقاربنا من المنزل، ثم ترك المواصلة للذهاب إلى المنزل واستكملت أنا لمنزلي، وشعرت أنني بحاجته للغاية، فتحدثت إليه على الهاتف ولكني لم أتكلم.

قال لي: هل أنتِ بخير؟

ولكنني لم أتفوه بأي كلام.

ثم شعر بالخوف وقال لي أين أنتِ؟

ثم أخبرته على مقري فقد أتى.

وعندما جاء قال لي: كيف حدث ذلك؟ هل أتيتِ من منزلك متعبة هكذا أم أصابك التعب بالعمل؟

من الأساس متى وكيف؟ فأنتِ حتى لم تذهبي إلى مقر العمل...

ثم بكيت كثيرًا!

وقال لي: لا تبكي أريد أن أستمع إليك لن أذهب إلا عندما تخبرينني بما بك يا هدير.

قلت له باكية: أنا لم أنسَك يا (عادل) لم أنسَك. حاولت بقدر إمكاني أن أفعل ذلك ولكنني لم أستطيع، سئمت من عدة المرات والأيام والشهور التي أخبأت فيها اشتياقي إليك.

واللحظات التي كنت أتقمص فيها تلك شخصية القوية وأتظاهر بها أمام الجميع، ولكن نسيانك لم يمر على البال ولو لوهلة يا (عادل).

إذا قمت بإعداد شيء فالعمل مدته خمس دقائق، فأنت لك فيهم حوالي أربعة دقائق وأربعين ثانية متواصلين، وأنت أول من يمر بذهني حين أفيق من النوم عندما يستيقظ عقلي قبل عيناي، دون أي مبالغة أنا أشعر بك في جميع اتجاهاتي بل أنك بداخلي ولم تذهب أبدًا، أشعر بك أكثر مما أشعر بذاتي، رائحتك تفيض هنا وهناك وبين ملابسي وفي مقر العمل بل بالشركة بأكملها، وكأنك بداخلي حقًّا ولست مجرد مقولة.

ثم بكيت!

وقال لي: لا تبكي يا (هدير) فلتستكملي ما تخبرينني به أريد أن أستمع إليكِ؛ لأنني أيضًا ثمة الكثير من التفوهات والأحاديث أريد أن أخبرك بها.

قلت له: أريد نسيانك يا (عادل) لا أستطيع ولا أدري كيف سيحدث؟

قال لي: أنا امر بما تتفوهين به بالضبط؟

أتظاهر بالقوة وأتقمص شخصية المتعافي أمام الجميع، وأنا بداخلي

أمت كل يوم بتأني، على القليلة أنتِ تعبتي قليلًا وتظاهر بك ذلك..

أما أنا، فما زلت أتظاهر وكأن شيء لم يحدث وأخبر أفراد عائلتي وأصدقائي أن يجلبون إلى عروس لأتقدم لخطبتها لأنني بكل خير، حتى رأيت رسالتك التي قد أرسلتها إلى يوم ميلادي هذه، فقط استيقظت كل مشاعر الضعف والسقوط ومن بنيته في أيامي جائت تلك الكلمات وسقطته أرضًا، جعلتني أبكى ولأول مرة بحياتي أبكى أمامك، لكن ذلك المرة لم يكن في حسباني تلك التفاهات فبكيت أمامك دون وعي أو حساب.

أتدرين؟ حين أريد البكاء وأشعر أن اشتياقك يأخذ من عقلي عقل، اذهب إلى المنزل الذي كنا سنتزوج به وأتفقد صورك بهاتفي وأتحدث معك وأبكي، وأذهب إلى هناك؛ لكي لا أفعل ذلك بمنزل العائلة حتى لا أستمع إلى والدتي.

تقول لي: ما بك؟ يا (عادل) هل تبكي كالفتيات؟ لا تفعل فأنك رجل..

وكأن البكاء قد خلق للفتيات فقط وليس للحظات الضعف.

قلت له: أنا أيضًا متعبة لفراقك للغاية، أتدري؟ عندما أريد أن أشعر أنك ما زلت بجانبي ولم تذهب أبدًا، أتذكر تلك حركة التلامس التي كنت تفعلها بيدي حين تلمس باطن يدى بالوسطى والسبابة وتأتي بهم هنا وهناك، حينها أشعر على الفور أنك بجواري..

ونظرت إلى وجهه رأيته يبتسم تلك الابتسامة التي تسترجع روحي مرة أخرى.

ثم قلت له: وحين أريد أن أشعر بالأمان أتخيل وكأنك تعانقني، أعلم أنها لم تحدث من قبل ولكنني أتخيل ذلك فقط لجلب إحساس الأمان الذي كنت أشعر به معك ولكنني قد افتقدته الآن.

قال لي: إذا لماذا حذفتي رقم هاتفي؟ أنا فقط كنت أريد الاطمئنان عليكِ من حين لآخر، وطلبت منك أن نلتقي ولكنك كنتِ دائمًا تأبين.

قلت له: حذفت رقم هاتفك لأنني أريد نسيانك، حقًا أريد أن تعمي عيناي عن أي شيء أراك به، ولم أقبل أن نلتقي؛ لأن حينها سيكون في الإخفاء والظلام، فأنا كنت التقي بك أمام الجميع ولدي الحق، ولكن الآن ليس لدي حقًا بك..

أتدرى أيضًا أنا أشعر بعض الأوقات أنك ليست على قيد الحياة، أتحدث مع ذاتي وأقول يا ليته هنا ومعي، يا ليته يعود مرة أخرى، لم أغضبه ولم أحزنه مرة أخرى، مثل ما نتفوه على الأموات، ثم نظرت على عيناه وتأملت ملامحه.

وقلت له: حتى تلك ملامحك هذه كنت على وشك نسيانها من القريب، أتخيل بها فقط بذهني، وتلك ابتسامتك تغنيني عن العالم بأكمله حقًا.

أتناسى بها هم الدنيا ولو جائتني المصائب عند رؤيتها أشعر وكأنه

لم يحدثْ شيء.

قال لي: حين تتحدثين هكذا أشعر وكأنني لم أجد مثلك مرة أخرى بل لم أجد حقًا، أقيم الصلاة كل يوم وأدعو الله أن يأخذ بحقي من كل ما فعلوا بي ذلك ذات يوم.

أوقات أحدث نفسي قائلًا: أن والدتي هي التي فعلت بي ذلك، حين أقول أن أختك (جنى) هي السبب، وحين آخر أقول أن إذا لم تفعل والدتي ذلك لم يكن كل هذا قد حدث، وأوقات أقول أن إذا أختك (جنى) لم تشكُ لوالدتك لم يحدث كل ذلك حقًا لم أدرِ أين الخطأ وأين الصواب!

يا ليت كل ذلك ما قد حدث!

نظرت إليه باكية ورأيت الدموع تكاد تسقط من عيناه للمرة الثانية أمامي، ثم نظرت بضع لحظات إلى الأرض.

وقال لي: فلتذهبي إلى المنزل الآن حتى لا يراكِ أحد، فأنا لا يمكن أن أتسبب فى آذاكِ أبدًا.

قلت له: حسنًا سوف أذهب، معزرًا على أنني تسببت في حزنك الآن وجعلتك تأتي إلى هنا.

قال لي: لا تتفوهين بذلك الحديث الخرافي، فالحديث معك يروق لي دائمًا، هيا اذهبي إلى المنزل واستحلفك بالله عندما تصلي إلى المنزل تجعلينني اطمأن عليكِ حتى ولو برسالة.

قلت له: حسنًا سوف أفعل.

إلى اللقاء يا (عادل).

قال لي: إلى اللقاء يا (ست البنات).

صعدت إلى المنزل وقد تحسن حالتي بعض الشيء

أرسلت إليه رسالة على الإنترنت وأخبرته أنني بخير، ثم تحدثنا بعض الشيء في أمور الحياة، شعرت حينها بالارتياح الشديد، فقد تحدثت معه وكل شيء أريد أن يدري به فقد أخبرته به، ولكن كلماته كانت بأذناي راقدة.

(أوقات أحدث نفسي قائلًا أن والدتي هي من فعلت بي ذلك).

حقًا؟

فأصبحت والدته من الأسباب المذكورة في ذهنه

يا ليته يعلم أن هي المتسببة الوحيدة؛ لأنها المتسلطة عليه في كل شيء، من يتزوج ومن لا يتزوج.

هداها الله!...

وفي صبيحة اليوم التالي أرسلت له رسالة وقلت فيها: أيمكن أن أطلب منك إحدى المطالب.

قال لي: بالطبع يا هدير.

قلت له: فلتخبرني ما هو الشيء الذي قد أحببتني لأجله أريد أن

أعرفه.

قال لي: معززًا لم أستطع أن ألبي لك ذلك الطلب، فهو فقط للاحتفاظ به داخلي، وذلك الشيء الذي قد أحببتك لأجله هو الذي يجعلني حتى الآن أشتاق إليك وأستمر في حبى إليك.

قلت له: فلتخبرني إذًا أين المشكلة إذا أخبرتني؟

قال لي: فتعزرينني يا هدير.

فذلك الشيء قد يزول حين أتفوه به لأحد، تمامًا مثل الزكاة والصدقة إذا أخبرتي أحد بقيمتهم سوف يزول ثوابها.

قلت له: كيف ذلك ما علاقة ذاك بذلك من الأساس؟

قال لي: أقسم لك أنه نفس الشيء والآن؛ لكي أن تصمتي وتريحي ذاتك وعقلك، لأنني لم أخبرك أبدًا، يكفيني أن أذكرك بالشيء الذي قد أحببتك لأجله دائما في الغياب.

قلت له: حسنًا يا (عادل).

وفي ذلك الفترة عدنا مرة أخرى نلقى السلامات الترحيبية على بعضنا البعض من حين لآخر على موقع التواصل الاجتماعي...

ولكن مر عليا الوقت وقت سئمت

سئمت من رؤيته كل يوم

وسئمت من رائحته!

وسئمت من كل شيء قد يذكرني به

فقد أدركت حينها أنني تأذيت للغاية هنا، ثم تذكرت مقولة العالم الكبير (دوستويفسكي)

"لا يمكنك أن تُشفى في نفس البيئة التي جعلتك مريضًا غادر"!

ولذلك قررت أن أستقيل من العمل!..

(الفصل الثامن)
(الفاجعة)

لا أريد أن أراه مرة ثانية

أريد أن أبتعد عن كل تلك الألسنة المتفوهة من حولي في ذلك الأمر وأريد أن أن أنساه تمامًا

لم أود رؤيته كل يوم هكذا

لم أود أن أستمع إلى صوته حتى ولو بالمصادفة

لا أريد أن أشم تلك رائحته التي كادت أنا تؤذينني، أردت أن أعمل في أحد الشركات الأخرى لرؤية قوم آخرون ولكي أشفى من ذلك المرض اللعين، ثم ذهبت حقًا إلى بعض الشركات لتقديم الوظائف، وفي اليوم التالي تحدثت معي إحدى المشرفين لكي أعود إلى عملي ولكنني أبيت فهذا القرار الذي قد اتخذته لم أتراجع فيه ثانية، وقلت لها أنني لم أعد أستريح في ذلك المكان، ثم تراجعت مع ذاتي أكثر من مرة في موضوع (عادل)، وقلت في نفسي لماذا لم أسامحه فالمرء إذا أراد أن ينسى شخص أذاه فليسامحه، وهذا هو القرار الذي قد اتخذته حقًا، وبعد يومان تحدثت إحدى المشرفين معي وطلبت مني أن أعود للشركة مرة أخرى وستقوم بنقلي من القسم الذي أعمل به.. ثم وافقت، وقررت

بعدها ألا أتظاهر بضعفي مرة أخرى أبدًا وسوف أتعايش على ذلك النمط أنه ذهب ولم يعد بل أنني لا أريد عودته أبدًا حتى وإن عاد..

وعند عودتي إلى العمل وفي لحظة دخولي إلى الشركة استنشقت رائحته، كانت تؤذينني للغاية فهي من أكبر الأسباب التي أدت لاختيار استقالتي من العمل..

رأيته مرة أخرى بالمصادفة وأصبحت لا أبالي ولكنني أود التعود وفي ذات التزامن يتلهف قلبي عند رؤيته..

وفى ذات يوم كنت أجلس مع زميلة لي في أحد الأماكن العامة بالطريق، ثم رأيت (عادل) يسير في أحد الطرق وكان يحمل من إحدى محلات الحلوى كعكات..

ثم انتابني شعور أنه ذاهب لتقدم إحدى الفتيات فكان في ذلك الفترة هو الشعور الأولى والوحيد الذي انتظره والذي يأخذ من طاقتي تفكير ومن ذاتي سلبية..

ثم بكيت بشدة من مجرد التفكير الذهني والاعتقاد فقد اتصلت به على الهاتف في الفور.

وقلت له باكية: هل ثمة فتاة سوف تذهب الآن لتتقدم لخطبتها؟

قال لي؟ بالله لا بالطبع، ولكن ما بكى؟

قلت له: بل أنت تكذب، فإلى أين أنت ذاهب.

قال لي: أنا ذاهب إلى أحد المشاوير فقط.

قلت له: حسنًا يا (عادل).

قال لي: سوف أنهي ما أقوم بفعله ثم أعاود الاتصال بكِ.

قلت له: إلى اللقاء.

صرت أبكي وقلت لصديقتي: أنا لم أدرِ ما المفترض حدوثه، لقد سئمت من هذا التفكير وكأنني مصابة بمتلَازمة تسمى سوف يتقدم لخطبة إحداهن، أنا حقًا أحبه للغاية ولا أريد أن يصبح مبتعد عني هكذا، من الأساس من أنا دونه؟!

ثم ذهبت إلى المنزل وأرسلت إليه مقطع صوتي عبر الإنترنت وقلت فيه: أنا أعلم أن ما حدث له يجوز وليس بشأني أن تتقدم لخطبة إحداهم أم لا.

ليس لدي الحق أن أتحدث معك

ليس لدي الحق أن أشتاق إليك

ولكنني سئمت من ابتعادك هذا.

استحلفك بالله إذا كان يوجد فقط ولو نسبة قليلة من الأمل أن نعود مرة أخرى فلتخبرني وأنا سوف أفعل ما يمكنني وما بوسعي لكي أبقى معك طيلة العمر.

وإذا كان لا يوجد أمل فلتخبرني أيضًا ولكن عندما تخبرني بذلك لك

أن تخبرني أيضًا ما الحل فيما أنا فيه؟

إذا كان من المفترض أن أنساك فلتخبرني كيف؟

كيف أتعايش على فكرة أنك لم تعُد ويجب نسيانك في الحال وعلى الفور؟

فلتخبرني إذا

أنت تعلم أنني أحبك ولكنك لا تعلم أنني ما زلت مهووسة بك.

لم تغيب عن بالي أبدًا

أخبرني أنه ثمة أمل في ذلك الأمر وأعدك أنني سوف أحتمل ما أراه وما سيحدث، أتدري؟

حتى إذا تزوجنا وتشاجرت مع والدتك وأخوتك وقد لكموني ووضعوا آثار اللكم على وجهي، وعند عودتك من عملك سالتني ما هذا فلأخبرك أنه بعض الماكياج، حقًا.

فلم أخبرك أبدًا بشيء وكمعهود ما كنت أفعله لا أشكو أبدًا، فقط أخبرني أنك لي وأنك ستعود وأنا بالله سوف أكن لك باقية لطيلة العمر كالظل والهواء..

ثم أرسلت إليه ذلك المقطع الصوتي وانتظرت الرد علي، ثم عند المساء أرسل رساله يقول فيها: سوف أخبرك بالرد يا (هدير) ولكن ليس الآن.

قلت له: كيف؟ ليس الآن أتتركني هكذا!

قال لي: لم أبقيكِ هكذا في انتظار الرد، أعدك بذلك..

ثم مر يومان وهو لم يرسل لي أي شيء وكنت في انتظار الرد للغاية فعند رده فقط فليطمئن قلبي إذا حدثني أنه سيعود فنسبًا إلى لا يوجد شيء أفضل من ذلك وإن لم يعد فسوف يخبرني كيف نسيانه..

وعندما مرء تلك اليومان ولم يقيم بالرد على ذكرت في ذهني أنه من الأفضل أن نلتقي للحديث، حقًا.

أنا التي كانت تأبى أن نلتقي به في الإخفاء، ولكن ذلك هو الشيء الوحيد الذي يأتي بحل، ثم أرسلت إليه رسالة وقلت فيها: إلى الآن أنت لم تخبرني بالرد علىٍ رسالتي، ولكن ثمة طلب أريد أن أطالب به منك، هل يمكن أن نلتقي، نتحدث بعض الشيء مع بعضنا البعض؛ لأن حينها سوف يعرف كل منا ما طريقه!..

قال لي: ليس هناك أية مشكلة يا (هدير) وأنا موافق بالطبع..

ثم اتفقنا أن نلتقي يعد يومان!..

وفي صبيحة الثامن من ديسمبر

اليوم الذي من المفترض أن نلتقي فيه شاهدني أحد زملاء (عادل) وهو صديقي أيضًا ومتزوج من أحد صديقاتي..

وقال لي: فلتأتي.

قلت له: كيف حالك؟

قال لي: ألم يغلق أمر (عادل) هذا؟

قلت له: بالطبع ولكن لماذا تقول ذلك؟

قالي لي: لأنك تحدثتي معه مرة أخرى.

يا هدير أريدك أن تتفهمي الأمر عادل قد أصيب بفقدان الشغف.

قلت له: ماذا تقصد؟

قال لي: فلأخبرك يا (هدير)، منذ حوالى يومان أنتِ تحدثتي معه في أنه إما أن يعود اليك أو إما أن يخبرك كيف تتناسيه وهو لَم يعدْ، وأيضًا لا يدري كيف يخبرك أن تتناسيه وأن تلك الأمور لا تتفوه لأحد.

قلت له: ماذا تقصد؟

قال لي: عندما تحدثتي معه أتى ليخبرني.

وقال لي: لماذا هي لم تسير في طريقها حتى الآن؟ فأنا فعلت الكثير من أجل الفتاة التي تقدمت لخطبتها من قبل

وقد أخذت كل طاقتي وشغفي ويوجد بداخلي أي شيء لكي أحتمل وأحاول به أن أفعل شيء لأعود لها.

فلتخبرها بذلك أنت أو زوجتك.

فأنا حقًا لا أريد أن تتآذى وأيضًا لا يمكنني أن أقول لها هكذا ولذلك فتخبرها أنت أن الأمر فات عليه بضع أشهر، وكل منا يجب أن

يذهب إلى حال سبيلهُ

وحقًا ما أنا به الآن رغماً عني..

قلت له متعجبة: هل حقًا أخبرك ذلك؟

قال لي: نعم أخبرني وعامة البعض هنا يرون أنكِ ما زلتي متعبة لذلك الأمر وأنكم قد تقاربتم وما يحدث لا يجوز فأنتِ تدري جيدًا بما تتفوه ألسنتهم فلا تعطي منهم أو منهن حق التفوه عليكِ.

هذا أمر الله وقد قضي يا هدير لا مفر وليس هناك أية أمل!

قلت له ولكن ثمة شيء الآن، اليوم سوف التقى به ولكن من المفترض أن نتحدث فيما تحدثت معه فيه على الإنترنت.

قال لي: لا بأس فلتذهبي، ولكن يجب أن تعلمي أن ما أخبرتك به هو الصواب، ولكي أن تلتقي به وأنتِ على ذلك النمط.

قلت له: حسنًا.

كنت حزينة للغاية بما علمت به.

ثم تحدث معي عادل على الهاتف لنتفق على أنه كيف سيكون التلاقي ولكني كنت غاضبة منه للغاية ولكن يجب حقًا أن نلتقي فذلك هو الحل الوحيد..

انتهيت من عملي ثم ذهبت لكي التقى به في مكاننا المعهود الذي كنا نلتقي فيه، وعندما اتجهت إلى الطاولة التي قد انتظرني بها جلست

على المقعد دون حتى أن ألقي عليه سلامات الترحيب، ثم أخذت التنهيدات بضع لحظات.

ثم قلت له: فلتستمع إلى يا (عادل) لست أنا الفتاة التي تستمر في المحاولة مع امرئ قد راق له اختيار المعيشة دوني.

صديقك أخبرني بكل شيء صبيحة اليوم ومن قبل أن يخبرني كنت آتية إلى هنا؛ لكي أتحدث معك في أمر ثاني آخر تمامًا

ولكن، حين يتفوه لي أحدهم بمقولة: (فلتبتعدي عنه تمامًا؛ لأنه قد أصاب بفقدان الشغف)

فهنا لم أقبل أبدًا تلك الكلمات، حينها حتى لو كانت روحي عالقة بك وإن لم تعد سوف تذهب لخالقها، سوف أجعلها تذهب لخالقاها حقًا.

حينها أيضًا يذهب إلى الجحيم كل من روحي وعقلي وقلبي الذي قد أحبوك ذات يوم ثم خابت محبته تلك..

ولكن من البداية كنت أنت المتسبب الوحيد في ذلك الشأن أنت لم تسرِ في طريق المحاولة؛ لكي لا تفقدني حتى ولو لثانية واحدة

قال لي: وما الفائدة من البداية يا (هدير) لَم المشاكل والأمور التي تنهي العلاقات، ثم انفعل كل منا على الآخر، وقد ثار غضبي حينها من بعد الاستماع لتفوهات تلك كلماته.

قلت له: ما بك يا (عادل) فذلك المعهود أن تحدث مشاكل، ولكن

هل لأن والدتي تحدثت مع والدتك بعنف وانفعال وعتاب فيجب أن يساء لها هكذا وتشين إليها والدتك بذلك اللفظ البذيء؟

(عاهرة)؟

والدتي عاهرة ؟

قال لي: منفعلًا ألم أخبرك يوم أو ذات مرة إن والدتي ليست مخطئة، ولكن انفعلت هكذا؛ لأن والدتك قد دعت على أبنائها بالشر.

قلت له: شر ماذا؟

هل كلام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أصبح شرًا؟

هي قالت لها: أن تلك المعاملة التي تأديها لبنات الناس سترد سواء خيرًا أم شرًا (أي كما تدين تدان).

وتلك الكلمات كلمات الله ورسوله لست كلمات والدتي، والدتك إذا كانت تعاملني معاملة طيبة فلم تحزنْ أبدًا.

قال لي: ثم إنكم قد أخذتم بحقك في ذات الوقت ولم تنتظرون، ومثل ما ساءت والدتي لوالدتك.

ساءت أيضًا أختك (فيروز) إلى والدتي وأخوتي وأبي وبجميع من كان في المنزل بالأكمل.

قلت له: ذلك المعهود والمفترض حدوثه فهي لم تفعلْ سوى ردة الفعل.

قال لي: كل ذلك ردة فعل؟ فلتصمتي بالله إما أن تتحدثي شيئًا مفيدًا.

قلت له: أي نعم ردة فعل يا (عادل).

وكيف تعتقد أن أختي ردة ذلك الفعل في حين الوقت؟ فعندما ساءت والدتك وتفوهت بذلك اللفظ كان من بعد عودتي إلى المنزل بدقائق، وأنا عدت من منزلك في حوالى الساعة الثامنة مساء، ثم إنه قد أتت أختي الكبرى من العمل في حوالي الحادي عشر مساءً، أي ما بينهما أربعة ساعات بالتقريب، والآن فلتأتي هنا! أين كنت أنت في تلك الأربعة ساعات.

عندما سمعت والدتك تسيء لوالدتي هكذا ماذا فعلت أنت؟

قال لي: ذهبت إلى غرفتي وصرت أبكي ثم اتجهت إلى النوم...

قلت له: بكيت؟! ونوم؟!

كيف ذلك؟ فأنا أيضًا بكيت ولكنني لا أدري كيف ذهبت إلى النوم ولا أتمنى لأحد من أعدائي حتى أن يشعر بذلك الشعور الذي كان ينتابني حينها.

قال لي: ولماذا من البداية، فوالدتي حينها لن تدعك تذهبين إلا عندما أخبرتك ألا تحزني وأنها كانت تمزح معك فقط.

قلت له: وهل للمرء أن يحزن لأخيه المرء ويعلم أنه سيتآذى ثم يخبره ألا يحزن؛ لأنه كان يمزح؟

كيف ذلك؟..

ثم تنهد قليلًا وخفض صوته واقترب مني وتلامس بيدي كمعهود ما كان يفعل حين كان معي، ثم أخذتها منه في الحال وكأنني أخشى أن يخطفها، ثم مسحت يدى في البنطال الذي ارتديه، ثم نظر لي نظرة مستعجبة ممتزجة بالغضب!

وقال: لك كل الشكر على ما فعلتيه.

قلت له منفعلة: ما عاد لك حق تلامس يدى ليس لك أن تفعل ذلك أبدًا، لم تسقط تلك الكلمات على أذنيه هين، من الواضح أنها كانت أصعب ما يمكن استماعه حتى أنه لم يحتمل تلك الكلمات، ولكن سقطت على أيضًا كالخز بالسكين.

كيف أصبح لا يحمل حق تلامسها بعد، فتلك لمسة يداه هي من كانت تجعل شعور الأمان بنتابني، هي من كانت لا يحلو لقائي به دونها، هي من كانت تذهب بي إلى دنيا عالمه الذي قد حققه لي.

فكيف الآن لم يعد له الحق في ذاك التلامس؟ ولكن ما عادت يداه تؤتمن..!

ثم تحدث لي قائلًا: هل تأنبين بضميري؟ هل يحتمل الأمر ما تفعلينه؟

أتدرين؟!

والدتي فعلت مع الفتاة التي تقدمت لخطبتها من قبل نفس الأمور ولكن الأمر يختلف في أنها شكت ولكنك أنتِ لم تشكُ

فهي كانت دائمًا تخبرني بما تفعله والدتي، وكانت تشين لها وتسيء لها لأنها لا تريدها، حقًا مثل ما فعلت بك، ولكن أنتِ يا (هدير) لم تفعلي ولم تشكِ أبدًا.

قلت له: وحتى إذا استمرت علاقتنا أيضًا فلم أكنْ شاكية حتى فيما قد يحدث أينما وكيفما يكن وللعلم، إذا كانت علاقتنا استمرت إلى الآن وأنا فقط التي كنت أرى تلك الإساءة من والدتك في ذلك اليوم، فبالله لم نكن نتفارق يومًا..

ولكن ما حدث هو فقط لأن (جنى) كانت في حضور الموقف وليس للمرة الأولى

فقد حدث ذلك من قبل، ثم أنني أخبرتك أنني إذا تزوجتك وعدت من عملك ذات يوم ورأيت والدتك وأخوتك قاموا بلكمي في وجهي ووضعوا آثار اللكم على وسألتني ما هذا ففورًا سأخبرك أنني واضعه بعض الماكياج..

قال منفعلًا وقد ثار غضبه: أدري يا (هدير).

بل أدري أيضًا أنني حينها سأتفهم أنه من اللكم وليس ماكياج، وأدري أيضًا أنني سأمر الأمر وكأن شيء لم يكنْ وسوف أصمت...

قلت له: ولماذا؟

لماذا تصمت؟ ولماذا يفعلون بي ذلك وفعلوا ذلك بالفتاة التي تقدمت لخطبتها من قبلي.

قال لي منفعلًا: لأنهم يريدون فتاة تروق لهم.

فتاة يتفاخرون أنها بعائلتهم

فتاة ترتفع برأ..

ثم صمت لإحراج تلك الكلمات

وقلت له: فلتخبرني

فتاة ترفع برأسهم.. أليس كذلك؟!

قال لي: وأي شخص إذا كنتِ أتية برأسه أرضًا أنتِ، حتى أنك كنتِ رافعة برأسي أنا أمام الجميع بأخلاقك التربوية.

قلت له: وأين الفرق؟

تروق لهم هي تماثل الفخر وارتفاع الرأس في المعنى.

ولكن فلتخبرني إذًا الآن.

من سيزوج أنت أم هم؟

قال لي: أنا بل هم؟..

قلت له: حقًا لا أعلم ما أقول لك الآن، ولكنني أريد أن أسول لك ببعض الأسئلة.

هل تستطيع النوم حقًا وأنت فاعل بي كل ذلك؟

عندما يأتي الوقت؛ لكي تذهب إلى العمل ليلًا هل من قبلها كنت

نائم؟

هل تتعايش حياتك المعتادة وأنت تعلم أنك مدمر حياة أحدهم؟

حقًا كيف تذهب إلى النوم وأنت ظالم، بل أنا المظلمة ولم تغفل عيناي أبدًا؟

حقًا أنا لم أسامحك بحياتي وحتى إذا توقف دخولك جنة الفردوس على مسامحتي أنا فقط، وحتى إذا غفر لك جميهم بل أصبح انا أحدهم التي لا تسامحك أبدًا..

هل تعلم لماذا؟ لأنك المتسبب الوحيد فيما أنا عليه الآن.

فلو لم تجلسْ بمقرك حينها على أحد المقاعد هكذا وإذا كنت أتيت إلى لكي أنجو، ما كان كل ذاك الذي حدث قد حدث!..

حسبي الله بك يا (عادل)

قال لي: هل تأنبين ضميري؟ هل أتيتِ هنا لكي تتفوهين بذلك الكلمات؟

إذا كان ذلك الأمر فيا ليتني ما أتيت بلقائك اليوم.

قلت له: حقًا قد أزعجك حديثي؟

أتدري لماذا؟

لأنه في غاية الصواب والجدية.

والصواب والجدية أيضًا أنني لم أسامحك..

قال لي منفعلًا: لماذا؟

لماذا لم تسامحينني؟

سامحيني يا (هدير) أرجوك، فالله يسامح عباده.

قلت له وأنا في أشد ثأري وغضبي: أنا لست الله.

قال لي: وهو في أشد الغضب: ولماذا لم يكنْ بداخلك شيء من الله؟

التسامح!

جميعنا نملك صفة من صفات المولى

يمكن أن يكون أباكِ به صفة الاحترام، ووالدتك تملك صفة التقدير، وأنا أملك الصفات الحانية، وأنت كذلك.

ما المانع في أن تملكي صفة من صفات الله وتكون التسامح وتسامحينني؟..

قلت له: بل أنني لم أتصور أن ذلك الشخص الذي يجلس أمامي هو من لا يعرفه الجميع (عادل).

الشاب الذي يسير بين القوم وأمامهم بتلك الشخصية القوية المتسلطة على كل شيء، فهو يأخذ الأوامر من والدته.

وهي المتسلطة الوحيدة في أمره في أن يتزوج من ولا يتزوج من تنجبك رجل تحترمه جميع الأعمار، ثم تأتي هي بذاتها وتجعلك كالطفل الرضيع، بل إن إخوتك أيضًا كذلك، يفعلون ذلك وقد فعلوا بي ذلك

بسلطتها وبأوامرها، وأنت تجلس بينهم ولم تأبَ أو تنزعج لما يتفوهون به ويأمرونك به، فقط هم يؤمرون وأنت تطاع

يتسلطون عليك في أمور حياتك فيما بعد وحتى الآن هؤلاء الثلاث!..

أنت!..

رجل المنزل من بعد والدك من المفترض يا (عادل).

ولذلك فلتخبرني الآن، ألم تلاحظ أن تلك الخطوبة الثانية على التوالي التي قد انتهت لك بمتسبب عائلتك..

قال لي: بل ألاحظ، جميع أصدقائي أخبرونني بذلك وأنا أعلم ذلك بل أنك لم تخطئين في كلمة واحدة قد تفوهتي بها..

ولكن ماذا أفعل؟ فهي والدتي التي قد أمرني الله بطاعتها، وقال تعالى في كتابه العزيز: (وبالوالدين إحسانا)

ولست قيل إنه بزوجتك او بخطيبتك، هؤلاء هم من يرقدوا بي إلى الجنة، ماذا على أنا أفعل إذًا..

صمت بشرود لتلك الكلمات، فهي أول مرة منذ أن تعارفت لعادل أن يعترف مؤخرًا أنه يدرى بأن عائلته هم المتسببون وقد أصبح على إقناع تام شديد أن أختي (جنى) ليست المتسببة؛ لأنها قد شكت لوالدتي بل إنها السبب الذي أوضعه الله لعدم استكمال علاقتنا..

ثم نظرت له بحزنٍ شديد.

وقلت له: (عادل) ما عمرك الآن؟

قال لي: سبعة وعشرون عامًا.

قلت له: أيمكن لك أن تخبرني ماذا فعلت في تلك السبعة والعشرون عامًا.

نظر إلى بشرود ثم سقطت عيناه بالأرض.

وقال لي: لم أفعلْ شيء.

قلت له حقًا لم تفعلْ شيء.

أنت لم تنجح في اتخاذ القرارات التي قد أردت اتخاذها في حياتك.

أنت لم تحصل على ما كنت تريده.

انت لم تتزوج الفتاة التي كنت تحبها، بل بالعكس تركتها مثل ما أرادت والدتك وتعارفت بفتاة أخرى لكى تنسيك إياها وعندما نسيتها حقًا أصبحت لم تستطعْ فعل أي شيء لمحاولة استكمال علاقتك بها؛ لأنك أصبت بفقدان الشغف من بعد أن فعلت كل ما بوسعك للحصول على الفتاة التي لم تحصل عليها بإرادة وأمر وتسلط والدتك وأخوتك..

أي حين استخرجت شغفك وطاقتك بأكملهم استخرجتهم في الشخص الذي أنت كنت أضعف من أن تحصل عليه ذات يوم..

ونسيت أنني ليس بذنب لي فيما قد حدث لك، فأنا أيضًا تأذيت ولكنني كنت أبدو معك رحيمة، أليس ذلك؟

قال لي: أنتِ لم تخطئين بكلمة واحدة من الكلمات التي تفوهتي بها والحديث الذي أخبرتيني إياه.

قلت له: أتدري عمري أم لا تدري.

قال لي: أعتقد أنكِ في العشرين.

قلت له: أنا في الحادي والعشرون، أي أقل منك عمرًا ولكنني أسابقك وأتفوق عليك في كل شيء، أنا أستمع لأوامر عائلتي في كل شيء؛ لأنهم يدرون الصواب لي أكثر مما أدري به أنا..

فهم المتسلطين علي في كل شيء، إلا في الأشياء التي لها علاقة بحياتي المقبلة في الزواج بل لهم الحق أن يأبون زواجي من شاب لا يصلح؛ لكي يكون زوجًا ولا يستحق أن أترك عائلتي من أجله، ولكنني قد تأسست منهم على أنني أخبرهم برأي وما أريده وما لا أريده.

فرض الشخصية والتسلط هذه لم يخبرني أبي وأمي بها سوى في الصواب، بل أنني أيضًا نجحت في أن تطور من تفكير في ما أريد فعله..

كنت منذ سنوات أكتب خواطر وكتابات..

والآن أصبحت كاتبة تستطيع أن تكتب مئة كتاب ويصبح في المكاتب كتاب غلافه يحمل اسمي!..

ثم ابتسم لي ابتسامة تحمل الفرحة والحب.

وقال لي: وذلك من أعظم الأشياء التي ميزك بها خالقك والتي أذكرك بها دائماً حين تأتي سيرتك، وللعلم سوف تنجحين أكثر وأنا موقن بذلك، وفي تلك الكلمات كنت أنظر لعيناه وهو يتكلم وحين توقف عن حديثه

قلت له: أتريد أن أسامحك؟

قال لي: من أقصى ما أتمنى الآن وأقسم بالله.

قلت له: سوف أسامحك أتدري لماذا؟ لأنك لا يمكن أن تحتمل ذنبي هذا، فيكفيك ما أنت عليه الآن، نظر إلي بابتسامة ضاحكة!

وقال لي: تقصدين والدتي ألست كذلك؟

قلت له: حقًا!

فأنت تخسر جميع من حولك بأمرها وبإرادتها وتلغيك هي عن إرادتك، فيكفيك ذلك الذي يحدث وتكفيك مقاومته وصراعاته فلم أقسُ عليك أنا أيضًا وأرقد بك إلى الذنب وعدم السماح.

فقد سامحتك يا (عادل)!

قال لي: حقا يا (هدير) قد سامحتينني.

قلت له: فليسعدك ربك.

قال لي أعزك الله.

وتفوه بابتسامته قائلًا: أي لم تستمعي إلى الكلام الذي يسيء إلى ثم ترسلين إلى رسالة تشيني إلى فيها؟

قلت له: لم أفعل ذلك مرة أخرى أبدًا.

ولكن يا (عادل) أنت ستصبح رجل عائلة، لا يجوز أن أحدهم يفعل بك ذلك مرة أخرى.

لا تتجوز فتاة فقط؛ لأنها تروق لهم أنت أيضًا لك كل الحق فاختيار فتاتك وزوجتك، لا تتزوج لأنك فقط تريد أن تتزوج لتكن أب لعائلة أو زوج لذات زوجة، لا تتزوج أي فتاة فحسب؛ لأنك تدفع في كل شهر إيجار المنزل الذي جلبته لتتزوج به، ولأن ذلك المنزل يأتي بك إلى الخسارة منذ أن نهيت علاقتك في خطوبتك الأولى حتى الآن..

برغم أنني أعلم أنك ستأخذ الفتاة التي تروق لهم.

ذو البشرة البيضاء الناصعة والأعين الخضراء والجسد الممتلئ..

أنا لست كذلك ولا الفتاة التي تقدمت لخطبتها من قبل أيضًا كانت كذلك.

نحن فقط فتيات معهودة تقليدية، ولكنني أفوق عليك جمالًا بل على أي فتاة وشاب وأنا على يقين بذلك، حتى أنه عندما كان يخبرونني أصدقائي ويقولون أنتِ تفوقي عليه للغاية وتسبقينه في الجمال، كنت لم أقل شيء سوى (أنتم لَا ترونه بعيني).

قال لي: فلتدعو لي يا هدير.

قلت له: أكرمك الله يا عادل..

وقال لي: أتدرين أنا أتحدث مع أصدقاء العمل عنك بكل خير يرقدون إلى بفتيات من الشركة يودون أن أذهب لأتقدم لخطبة أحدهم ولكنني دائما لا أقبل ودائماً أقول لهم أنني لم أتزوج أبدًا من الشركة ولم تأتِ التي تليه (هدير) بذلك الطريقة، سأتزوج وأتقدم لخطبة أحدهم ولكَنها لم تكن من الشركة أبدًا.

لا يمكن أن أتقدم لفتاة تعرفها هدير وكانت زميلتها في ذات يوم بل ليست فتاة تليها من الأساس، لم أقبل أن ألقيها في ذلك الموقف أبدًا.

ثم قلت له: ادعو الله أن تحصل على الفتاة التي تستحقك يا (عادل).

ثم تحدثنا بعض الشيء في أمور الحياة، ثم انتهينا من تلك الأحاديث.

وقال لي: من الجيد للغاية أنني التقيت بك اليوم وتحدثنا هكذا، فكل منا كان يود أن يتفوه بكلمة قد تفوه بها بل أكثر أيضًا، ثم ابتسمت له قائلًا: حسنًا يا (عادل).

ولكن حين كنا نتحدث.

شردت أنا في ذهني قائلًا: أيعقل؟

هذه المرة الأخيرة التي سأجلس فيها أمامه، ولكن!

أمر الله وقد قضى...

ثم نظرت إلى الساعة الرقمية في هاتفي.

قلت له: أعتقد أنه الوقت المناسب لكي أذهب إلى المنزل.

قال لي: حسنًا هيا، ثم ذهب بي إلى أحد المواصلات؛ لكي أعود إلى المنزل، وحقًا قد عدت..

وعندما ذهبت إلى المنزل أرسلت إليه رسالة وقلت فيها: استودعك الله الذي لا تضيع عنده الودائع..

فمثلما قدمت لك قلبي، فأنا الآن سأقدم لك كل احترامي وتقديري، وأنا على أدق الاستمتاع بكل ما في وسعي لكي أكون لك ذكرى تعيش لك مدى الحياة، فلك أن تنساني ولن تنساني!

أي استقبل حياتك الآتية بباب يضيء كل الأنوار ولك أن تمر بحياتك دون وجهي وكأن شيء لم يكنْ، ولكن لا تنسى الشيء الذي أحببتني لأجله..

فأنت يا سيدي كنت العالم الأول والآخر والوحيد نسبًا لي

فإذا كان ذلك الشيء سيأخذ معي طيلة من الوقت لنسيانك، فكن على يقين أنني لن أنساك وأعدك بذلك، ويجوز أن أتوقف عن عشقي لك!

ولكن نسيانك لم يمر على القلب أبدًا..

سوف تبقى الذكرى والإنسان الأعظم لي الذى كان لي عظيم الشرف أنني كنت على اسمه في ذات يوم..

أتمنى لك كل الخير والأمان، ولنا موعد مع الله في يوم لا ريب فيه، سنلتقي أمامه وسأطلب منه أن يجمعني بك لكي أراك

ولن يوقفني أنها أحد؛ لأنه لا شيء أمام الله.

استودعتك كل التقدير والاحترام المتبادل بيننا الذي يستحقك.

ثم قام بالرد على برسالة أيضًا وقال: أقسم لك يا هدير واستحلف بالمولى أنك ستضلي أعظم وأفضل فتاة قد تعرفت بها في حياتي، سأتزوج وأتعارف بفتيات ولكنك ستبقين من منظوري (سيدة النساء) نسبًا لي، وإذا لم يجمعني الله بك في الدنيا سوف أطالب بك أنا في الآخرة.

قلت له: تلك الكلمات أنا قد وضعتها تاج فوق رأسي وهذه شهادة سوف أعتز بها باقية حياتي.

وأتمنى لك من صميم القلب أن يرح الله بالك ويبقيك سعيدًا دون حزن وينير سبيلك وبصيرتك ويستعوض لك الخير عن أي شيء قد مر على حياتك وكان سبب في ضررك..

وأتمنى أن تتعايش باقي حياتك وأنت على أكمل وجه للسعادة؛ لأنه وبالله هذا سيكون أقل شيء تستحق أن تحصل عليه يا (عادل).

قال لي: حفظك الله وأكرمك يا هدير ويبقيني الله على قيد الحياة حتى اليوم الذي أراك به في أعلى المراتب والقيم ويبقى الود والتقدير والاحترام شيء يسكن بداخل كل منا للآخر لعل الله يحدث به أمرًا في ذات يوم ما!..

أسعد الله أوقاتك وحفظك يا (سيدة النساء)..

وعندما انتهينا من تلك الأحاديث، استرجعتها مرة أخرى ونظرت لها حقًا!

ها هو ما كنت أود فعله.

أردت أن يتعايش باقية حياته بالخير والأمان، وأردت أيضًا أن أسامحه لكي أنساه، ولكنني كنت أعتقد أنه لا ينسى!..

وفي اليوم التالي رأيته بالمصادفة في صبيحة اليوم في العمل ونظر إلى بابتسامته المعهودة وكانت عيناه مليئة بالحديث كأنه يقول لي: كيف حالك يا هدير؟

ثم ابتسمت أنا أيضًا له وتحدثت معه بعيناي أنا الأخرى وكأنني أقول له: كيف حالك يا عادل؟

وفي ذلك الفترة كنت أتحدث عنه بالخير بين عامة جميع الناس أصدقائي وأصدقائه بالعمل حين تأتى سيرته أو يتحدث أحدهم معي أتفوه بجميع كلمات الحب!

فقط أقول: لم أذكر له سوى قمة الاحترام وأتمنى أن يسعده ويبارك له المولى...

وكان حينها قد اقترب اليوم الأول من السنة الحديثة

وكان موسم أيضًا بالشركة وكنت أعمل حينها فالقسم المقابل له،

وكان يمر في تلك الأيام بالضغط العملي الشديد حتى أنه بات حوالى ثلاثة أيام بالشركة ولم يعدْ لمنزله لظروف العمل القاسية، فأردت أن أطمئن عليه حينها ولكنني كنت أتراجع مع ذاتي كثيرًا، ولكنني فعلتها وأرسلت إليه رسالة نصية في اليوم الأول من السنة الحديثة.

وقلت له: تراجعت بذاتي فيما أفعله الآن كثيرًا ولكنني لم أفضل أن تكن هكذا وألا أطمئن عليك، وأريد أن تعلم أنني لم أنساك وإنك لفي تفكيري وذهني دائماً وطيلة الوقت أتحدث عنك وأطمئن عليك بأحد طريقاتي، فأنا أراك منذ حوالي ثلاثة أيام كل يوم ولم تذهبْ إلى المنزل.

أأتى إلى العمل وأنت هنا واذهب إلى المنزل وأنت ما زلت هنا.

سعيدة للغاية أنني أراك كل يوم وأيضًا في أشد حزني أنك متعب هكذا، فاللهم تصبح بألف خير ويبقيك الله بكامل صحتك وأتمنى ألا يكن بك أي شر أو مكروه، وللعلم أنا سوف أطمئن عليك هكذا حتى أعلم أنك تقدمت لخطبة فتاة فحينها سأتوقف عن مراقبتك؛ لأن حينها سيكون لا يجوز فعل ذلك الأمور، ثم شاهد تلك الرسالة.

وقال لي: يا (هدير) فلتصدقيني أنا لم أدرِ إلى أين أضع تلك جمائلك التي فعلتيها معي، فأنتِ أشد البعض الذين يتميزون بالأصول والعفة فأنا بحياتي لم ألتقِ بالفتاة التي تناسبك في تلك العظمة فأنتِ أعظم فتاة مرت عليا بتاريخِ حياتي، بل أنني حمدا لله بألف خير فاللهم لا يحرمني الله من سؤالك وتبقين هكذا تسألين على لباقية حياتي، وكل عام وأنتِ بخير يا هدير.

قلت له: ففي نهاية العام الذي بدأ بضوء نورك إلى باب حياتي وانتهى وأنت أعظم الراحلين، أود أن أقول إنك إذا عدت معتذرا لفتحت لك باب قلبي مرة أخرى وأجلستك في ثنايا القلب، فوالله وبالله حتى لو كنت أعلم رحيلك عني ثانيًا، لأجلستك في قلبي لكي يليق المقام بالمقيم، ومرحبًا بك أولًا وثانيًا وأخيرًا وعمرًا.

ثم قال لي: لعنة الله على تلك كلماتك التي تجعلني أتوقف عن الحديث والتفوه، فهي حقًا تجعلني أشعر وكأنني أود البكاء..

وفي ذلك الوقت كنت دائمًا أتحدث عنه بالخير بين عامة الناس أصدقائي وأصدقائه أخبرهم أنني لم أرَ منه سوى الخير وسأضل أذكره حتى نهاية العالم، وفي صبيحة يوم من الأيام كنت أعمل أتفقد الدرجات؛ لكي أذهب إلى الطابق الأسفل ثم رأيته يسير مع أحد أصدقائه ويضحك ضحكة قد جعلت قلبي يستمع إليها قبل أذناي.

حتى قلت في ذهني: أدام الله ضحكتك يا عزيزي ولم يأتيك الحزن أبدًا.

ثم صعدت إلى الطابق الأعلى ورأيته يمر من أمام باب القسم واعتقدت أنه ذاهب للطابق الأعلى؛ لكي يبدل ملابسه ويذهب إلى المنزل، وبعد حوالي ساعتين أتت إلى المشرفة التي قد اعتبرتها بمثابة والدتي.

وقالت لي: يا هدير فلتأتي دقيقة هنا.

قلت له: حسنًا يا أمي.

فأخذت الإذن من الشيف التابع لي لكي أتحدث معها، ثم ذهبنا إلى أحد الأركان.

وقلت لها: ماذا هناك فلتخبريني إذًا؟

قالت لي: (عادل)! سيقيم حفل خطبته السبت القادم، سقطت تلك الكلمات على أذني كالصاعقة وشعرت حينها وكأن قلبي كاد أن ينفطر ولكنني تظاهرت أنني بخير ولا أبالي.

وقلت لها: حسنًا فليسعده المولى، ولكن هل سيقيم حفل خطوبة كبير؟

قالت لي: بل أنه أخبر جميع العاملين بالشركة ودعاهم للحفل.

قلت له: سيتقدم لخطبة أحدهم من الشركة؟

قالت لي: لا، بل تقدم لإحدى فتيات الشيف الذي يعمل معه.

قلت لها: حسنًا يا أمي.

قالت لي: وماذا عنك أريد أن أحضر حفل خطبتك وزفافك.

قلت لها وأنا في أشد الحزن ولكنني مبتسمة: ليس لدي مانع فلتجلبى لي أحدهم وأنا سأتزوج فالحال.

قالت لي: فليطمئن قلبي عليك بالله يا ابنتي، والآن سأذهب هل تريدي مني شيء؟

قلت لها: لا يا أمي.

ثم عدت إلى عملي وشعرت أن دموعي تكاد تسقط من عيناي وقلبي لا يحتمل بل إن الأرض لا تحملني، ثم نظرت إلى الشيف.

وقلت له: أيمكنني أن اذهب إلى المرحاض.

قال لي: بالطبع يا (هدير).

ثم ذهبت ولكنني لم أعلم كم من اللحظات التي اتخذتها في تلك المسافة، كنت لا أرى جيدًا بسبب دموع عيناي المشوشة، ولكنني ذهبت..

وعند دخولي المرحاض بكيت وكأنني لم أبكِ منذ أعوام من التراكم، وكان بداخل المرحاض زميلاتي الفتيات وقد سمعوا صوتي ومنهم التي رأتني هكذا فكنت في أشد الانهيار من البكاء، ثم اتصلت أحداهن بالمشرفة التي أخبرتني وقالت لها: هدير هنا بالمرحاض تنهار من البكاء ولن تستطيع إحدانا أن توقفها، ثم أتت المشرفة إلى المرحاض بعد عدة لحظات وعندما رأتني هكذا.

قالت لي: أقسم بالله سوف أصفعك إن لم تتوقفين عن ما تفعلينه.

ماذا كنتِ تعتقدين إذًا؟ أنه سوف يتعايش على ذكر تعارفك به؟

أم يفعل المستحيل لكي ينال بك؟..

فقد تجمعوا من حولي جميعهم وكل منهن تفوهت بكلمة.

- هو لم يحبك يا هدير.

- ودعى جميع العاملين بالشركة لكي يحضرون حفل الخطوبة.

- لا يمكن أن يراكِ هكذا.

- لا يمكن أن يدري أحدهم بما صار بكِ حين علمتي ويذهب لكي يخبره بما حدث لك.

- يا (هدير) أنتِ متعبة هكذا، وهو ليس بذهنه سوى سعادته بتلك الخطبة والدليل على ذلك أنه دعى جميع الناس.

- من يعلم يا إذًا كنتِ تزوجتي به فوالدته كانت ستقيم حياتك بأشد الجحيم.

- لا تجعليه يسعد لرؤيتك هكذا ويستعدون جميع من يروكِ هكذا ويذهب إحداهم لإخباره ويسعدون جميعًا؛ لأنك متعبة هكذا.

فقد توقفت عن البكاء قليلًا بعد سماع تلك الكلمات الصحيحة للغاية.

وقلت لهم: أنا أصبحت بخير أريد أن أعود إلى مقر عملي الآن.

وقالت لي: المشرفة لا أود أن يراكِ أحد هكذا فقد أخبرتك أنا؛ لكي لا يخبرك أحد ويراكِ ضعيفة، فلتذهبي إلى عملك وتصمدي وكأن شيء لم يحدث.

قلت لها: حسنًا.

ثم صعدت إلى الطابق الأعلى لأعود إلى عملي ورأني الشيف التابع لي.

وقال: أيمكنني أن أدرى لماذا كل الذي تفعلينه بذاتك؟

قلت له: وما بي إذًا أنا بخير للغاية.

قال لي: يا هدير أنتِ مثل ابنتي وأنا كآباكِ بل أنه يبدو عليك للغاية، سقطت دموعي لتلك الكلمات قليلًا ولكنني انتهيت من البكاء عندما تلهيت في عملي، وفي ذلك الوقت كنت مشتتة للغاية ومتعبة للغاية، أوقات أقول إنه لماذا أنا حزينة هكذا فمن المتوقع أنه سيتزوج حتى أنني أدري بذلك، وأوقات أبكي وأقول أين اليقين بأنه سيعود يومًا؟، فقد كان لدي أمل ولكنه كان بريق، وما قبل حفل خطبته بيوم واحد فقط، كنت متعبة للغاية وكاد التفكير أن ينصفني نصفين من كثرة الآلام والبكاء، كان جسدي يؤلمني وكنت لا أحتمل حتى التلامس الغير مقصود، حتى أنه إحدى أصدقائي لكمتني مزاحًا على كتفي ولكن صاح الصراخ ثم البكاء..

حتى تلامس المزح لم أحتمله، كان جميعهم بالشركة يرونني هكذا ولم أرَ في عينهم سوى الشفقة والسعادة، إلا القليل..

كنت أبكي دون أن أشعر أنني أبكي، كنت حين أستيقظ من النوم أشعر بالغيام وحين تلامس عيناي أجد الدموع ساقطة إليها

حقًا أنه لم يهدئ قلبي أبدًا..

وفي اليوم التالي

يوم خطوبته:

" الخامس عشر من يناير".

ذهبت إلى عملي ولكنني كنت أبدو سعيدة للغاية، لا يبدو على الحزن أبدًا كنت حينها وكأنني أصيبت بالزهايمر، حقًا الهذيان والضحكات الهيستيرية والمزاح والهراء المبالغ فيه كانوا جزء كبير من ذلك اليوم، حتى أن ذلك اليوم استخرجت كل طاقتي فالعمل، وأعتقد أنني لم أعمل بكل تلك الطاقة من قبل. في ذلك اليوم كنت أرى بأعين البعض، أحداهم يقولون هل أنتِ حقًا بخير؟ أتمنى ذلك.

وأحداهم يقولون بأعينهم أنتِ ليس بخير وحمدًا لله على ذلك، لم أكنْ أدري ما الذي يدور من حولي فقط كنت أبدو وكأنني أكثر امرئ في العالم على ما يرام وبألف خير، ويا ليتني ضليت هكذا حتى العودة إلى المنزل... ففي نهاية اليوم عندما صعدت إلى مواصلة المنزل كان يجلسان في المقعد الأمامي أصدقاء (عادل)، وكنت ما زلت في تلك الحالة التي أبدو فيها وكأن شيء لم يحدث، ثم سمعتهم يقولان: سنذهب إلى احتفالية (عادل) في السادسة مساءً وسيكون عادل في الاحتفالية في ذلك الوقت..

تلك الكلمات قد ردمت على تلك حالتي التي كنت أنا عليها، فقد هدت ما قد بنى منذ صبيحة اليوم، هل كنت أبدو بخير هكذا؛ لأنني لم أسمع شيء عنه منذ بداية اليوم؟

انتابني حينها شعور انفجار الكتمان الذي انتابني يوم احتفالية خطوبة (كاميليا) التي ذهبت لها بعد يومين من انفصالي عن (عادل).

فقد توقف أكسجيني، وضاق صدري، وتعب جسدي أكثر وأكثر ثم شعرت أنني لا أستطيع الحركة، ثم بكيت وجائتني صديقتي (فريدة)، وجميع أصدقائي الذين كانوا حاضرين حينها، فقد حاولوا بقدر استطاعتهم أن يجعلونني أتخذ أنفاسي، ولكني أخذت أنفاسي بالبطء، وتنفست بتنهيدات عالية الصيت..

جميع من حولي كانوا يخشون علي ويفعلون كل ما بوسعهم للغاية، ولكنني شعرت أن أنفاسي قد تقطع فلم يعدْ هناك حتى تنهيدات، ثم فقدت وعي لم أعد أشعر بشيء وكأنني ذهبت إلى حياتي الأبدية بضع دقائق، كنت بعض الأوقات أفيق واستمع لمن حولي، وبعض الأوقات لا أستمع ولكنني واعية، وبعد الأوقات فاقدة للوعي ولن أستمع لشيء ولكن فتحت عيناي، كان كل عضو من جسدي متوقف عن وظيفته تمامًا كالموت المؤقت، وشعرت أنني لا أستطيع تحريك يداي وقدمي الأيمنان، ولكنني لم أستطع التفوه بذلك لأحد، كنت على وشك اقتراب الشلل النصفي، فكل شيء بجسدي أستطيع أن أتسلط عليه إلا هذان..

ثم اقتربت من المنزل ولكنني لم أود أن أذهب إليها فقد ذهبت أنا وصديقاتي (فريدة و سلوى) إلى أحد الأماكن العامة وتحدثوا معي فيما صار إلي، ثم قالت لي (فريدة): ما حدث لا يجوز وليس كان من المفترض

حدوثه من الأساس كنت أعلم أنكِ ليس بخير وأنك تكذبين ولكنني فقط غائبة عنك، تمنيت أن تبقين هكذا في تلك المسرحية البهلوانية حتى عودتك إلى المنزل ثم ينفجر البركان الذي تكون بداخلك، كنت أود وأتمنى لو لم يراكِ أحد هكذا..

تلك الكلمات الدلالية كانت حقيقية للغاية أنا بذات ذاتي كنت أتمنى لو لم أستمع إلى أي شيء عن احتفالية اليوم؛ لكي لا أنهار هكذا فصرت أبكي بكاء شديد.

فقلت لها: لا أستطيع التوقف يا (فريدة) عادل سيقيم حفلة خطبته بعدة عدة ساعات بل دقائق معدودة...

هل تناسى (هدير) بتلك السهولة؟

هل استطاع أن يفعل بي ذلك بتلك الضراوة؟

قالت لي: يا (هدير) تخطى عادل لك بتلك السهولة في ذلك الوقت القصير لا يعني سوى أنه تقدم لخطبتك من قبل؛ لأنك مجرد (عروس).

أنتِ حتى الآن لم تتخطيه فقد مر على انفصالكم أكثر من خمسة أشهر لك أن تدري من المنظور الواقعي ما الذي حدث في تلك الخمسة أشهر، في اليوم الثالث من انفصالكم أصيب جسدك بالنزيف الذي كان يأخذ من جسمانك كتل دموية كادت أن تجعلك على قيد الحياة بالمسمى فقط فقد حاولتي أن تتناسيه ولكنك لم تستطعن تحدثني معه كثيرًا؛ لكي تستعيدينه مرة أخرى ولكنه أبى، جميع من حولك في الشركة بل بين

عامة الناس يدركون جيدًا كيف أنتِ دونه، حاولتي للتظاهر بالقوة أمام الجميع حين استخبرتي باحتفالية الخطبة ولكن عندما سمعتي فقط أصدقائه يتحدثون عن الاحتفالية غبتي عن الوعي ولم تستطعي التنفس، بل أنك لم تستطعي تحريك يدك وقدمك اليماني..

وهو ماذا فعل؟ تخطاكِ في أقل من القليل.

من البداية كان هو المتسبب الأول والوحيد فيما حدث لكم من البداية عندما ساءت والدته بوالدتك جلس بمقعده باكيًا كالغلام ولن يأتي لك أو حتى حاول أن يفعل شيء لكى لا تبتعدي عنه بإضافة إن والدته هي المخطئة من الأساس..

في اليوم الثاني والثالث كان على أتم الاستيعاب أنك لم تعدين في حياته وقد استمر في البحث عن عروس للمرة الثانية وعندما عرف بابنة الشيف تقدم لخطبتها في الحال وتمت قراءة الفاتحة وشراء المصوغات ثم قد تم تحديد حفل الاحتفالية الذي سيتم بعد عدة دقائق يا (هدير).

وأنت لا يبالي بك.

يدري جيدًا أنك ستكونين أول من يستمعون بالإخبارية، ولكنك لا تعني له حتى بأي شكل، مرء أمامك يدعو جميع من بالشركة ليحضرون الاحتفالية وكان في غاية السعادة بل أنه دع الأصغر والأكبر بالشركة، لو كان الأمر لا يبالي له أو كان حزينًا من أجل أنك ستدرين بما يحدث أو كان لا يريد أن تعلمين بتلك الطريقة كان على القليلة يترك الشيف هو من يدعو الناس فهو أيضًا والدها ولكن كل ما حدث من بداية الأمر

حين الوقت الذي أتحدث فيه معك الآن فهو لا شيء سوى أنك كنتِ مجرد عروس، فأين كان سيحصل على مثيلتك؟

(هدير)

الفتاة التي يستحلف بها كل من يعرفنا أنها فتاة على خلق، فكاهية للحد الأدنى، تدري كيف تتحدث جيدًا مع الكبار قبل الصغار، جميلة الشكل والطبع..

فها هو ذلك الذي فكر به عادل في بداية تعارفه بكى، تلك الصفات تروق للجميع، تروق لمن يراكِ خارجيًا قبل الذي يراكِ من الداخل، ولكنه عندما رأى من الداخل كان الأمر معهود له لذلك أنتِ لا تبالي له..

قلت لها: أنتِ لم تخطئين بكلمة واحدة من تلك الكلمات كل أحاديثك الآن تدل على الصواب فقط وليس سواه، ولكن كيف سأتخطاه؟ انا كيف سأنساه؟ أنا حقًا أريد نسيانه، أريد أن أستيقظ ذات يومًا دون أن يعبر على ذهني أولًا قبل أن تفيق عيناي، أريد ألا أراه من حولي في كل شيء بالعمل والمنزل والطرق التي تسير فيها، أريد أن أراه كأي شيء أراه، لا يعنى لي مثلما لا أعني له، أريد أن يصبح وكأنه لم يمر على حياتي ذات يومًا.

قالت لي (فريدة) يا هدير فلتصدقيني! عندما تذكرين كل تلك الكلمات التي حدثتك إياها فورًا ستتناسيه، فلا يصبح وكأنه لم يمر على حياتك يومًا فقط، بل أنه سيصبح وكأنه شيء من الجماد لا تستخدمينه

حتى، أعدكِ بذلك وستريكِ الأيام

قلت لها: حسنًا! ولكنني أريد أن أقيم بالمنزل بضع أيام ولا أذهب إلى العمل، سوف أطالب ببضعة أيام لإجازة رسمية

قالت لي: فلتفعلي إذا كان الأمر سيصلح لك..

ثم بعد عدة دقائق قررنا الذهاب إلى منازلنا وذهبت كل منا إلى منزلها، وعند عودتي للمنزل ذهبت فورًا واضطجعت على فراشي وكأنني لي أكثر من عامٍ لم أنمْ.

أردت أن اختبئ بالنوم، فقد جعلته أنسب اختيار للهروب لما أنا عليه..

لا أريد أن أتفقد الساعة ولا أريد أن أستمع إلى كم هي حتى، فقد نمت فقط، وحين استيقاظي من النوم شعرت وكأنني لم أستطيع التسلط على جسماني

فقد أصابت رأسي بالصداع النصفي حتى أنني لم أستطع أن أرى جيدًا؛ لأن عيني غافلة من كثرة الدموع.

لم أجد حينها عناق أحن من عناق والدتي فقد ذهبت إليه دون تفكير.

ثم قالت لي: ما بك يا ابنتي هل ثمة شيء؟

قلت لها: احتفالية خطوبة عادل كانت بالأمس.

قالت لي: وماذا هناك فلا يزعجك شيء ولا يجوز أن تعني لذلك

الأمر وتحزني ذاتك بل أنه من المفترض عليكِ أن تحمدي الله عز وجل في ليلك ونهارك أنه أنهى علاقتك به، فهو لم يكنْ لك الخير أبدًا، والله سبحانه لا يريد لعباده سوى الخير، الخير فقط يا ابنتي.

وفي ذاك بضع الأيام التي لم أذهب إلى العمل فيها، كنت أود أن أتعافى ولكن كاد الأمر أن يأخذ أكثر مما ينبغي لكي أعود على ما كنت عليه ولو نسبيًّا.

ولكنني توقفت عن المأكل والمشرب حتى النوم لم أستطع أن أغيب به حتى ولو قيلولة، كنت أذهب إليه فقط عندما أريد الهروب، فقد عدت إلى ما كنت عليه مرة أخرى

الملامح الشاحبة، والوجه النحيف المخيف، حتى النزيف، عدت إليه مرة أخرى ولكنه كان أسوء مما كنت عليه من قبل وكأنه أصبح لجسماني شيء معهود، ولكنني لم أخبر به والدتي ذلك المرة ولكنها علمت من تلقاء نفسها، من مشاهدة وجهى وجسماني حينها.

وفي صبيحة يوم ما أعدت والدتي الفطور.

وقالت لي: هيا يا هدير فلتأتي لتناول وجبة الإفطار.

قلت لها: لا يا أمي لا أريد أن آأكل.

قالت لي منفعلة: إلى متى ستبقين هكذا؟

لماذا فاعلة ذلك بذاتك يا ابنتي؟

ألم ترى كيف هو وجهك، كيف ملامحك، كيف جسمانك، أصبحتِ كالمومياء. أي لم يبدُ عليك ملامح ولا جسمان ولا وجه حتى لو بائس، حرام عليك ما يحدث وأنتِ المتسببة فيما أن عليه الآن، أنتِ لا تدرين كم من الآلام التي أواجهها من أجلك أنتِ خصيصًا، قلبي ينفرط في كل وقت أراكِ فيه هكذا. حتى أنني لم أدرِ على ماذا تعاقبين أنتِ ذاتك..

ثم تركتني وذهبت وكل تلك كلماتها تصيح بأذناي، كنت متعجبة للغاية!

هل أنا التي قد اخترت ذلك الذي يحدث لي.

هل ما يحدث يروق لي؟

كيف يبدو الأمر وكأنه أشبه بالعقاب، وكيف يُلقب ذلك بالعقاب وأنا لم أفعلْ من يجعلني على منصة الندم ومن يرقد بي لمعاقبة ذاتي؟

كان كل ما في الأمر أنني لم أعد أميل لتلك الرفاهيات التي كانت تسعدني إلى حد ما، فلا ذنب لجسدي أنني صرت أكثر نحافًا، ولا ذنب لملامحي الشاحبة في هالاتي السوداء، ولا ذنب لذلك الوجه الذي كان يضحك الأربعة والعشرون ساعة خاصة اليوم، حقًا لا ذنب له في الانطفاء وآثار البقع الداكنة، وليس هو ذنب جسدي في نقص الأنمياء وظهور النزيف الذي كان يخرج من جسدي!

وكأن عيناي حُرمت عليها الدموع وتنازلت قناتي الدمعية عن وظيفتها.

فقد بكيتُ من جسماني دم بدل من أن أبكي من عيناي..

كل ما يحدث ليس بيدي يد به أبدًا، حقًا أريد التعافي ولو نسبيًا

أريد أن أعود وأستعيد ذاتي؛ لأنني لا أدري من أنا؟ ومتى سأعود؟ وعلى ماذا سأعود من الأساس؟!..

(الفصل التاسع)
(التعافي)

لا أستطيع النظر إلى المرآة، خشيتي من وجهي متغلبة ومتسلطة على للغاية.

كنت أراه في كل شيء من حولي.. المنزل، العمل، الشارع، حتى في منامي، أخشى أن أنظر على أحد المقاعد بالمنزل فأراه فهو كان يجلس على أحد المقاعد عندما كان يجلس معي في المنزل.

أراه على الأريكة بغرفة الضيافة، فهو جلس عليها عندما أتى إلي لقراءة الفاتحة، أخشى أن أذهب إلى العمل وأشاهده حتى بتلك المصادفة التي تؤذينني، ورائحته التي تستعيد روحي وتسحبها في نفس التزامن..

كنت أخشى النزول إلى الشارع فيشمئزون البعض مني وينفرون مني، زادت في وجهي الحبوب والبقع الداكنة، ظهرت الهالات السوداء أسفل عيني، كادت أظافري أن تنخلع من كثرة التآكل، فلم يعنيني حتى ما ارتدى وما هو ثيابي اليوم وما الكساء وكيف يبدو مظهري، توقفت عن وضع الماكياج الذي كان جزء من يومي ومظهري.

هل يمكن لأحد أن يتخيل ذاك الذي كنت عليه حينها؟

حتى أنا لم أتخيل ولم أرَ لأنني لم أكن أنظر إلى المرآه حتى من كثرة الخشية..

لم يكن تعني لي ذاتي بل أنه لم يعنيني شيء، فقد توقفت عن جميع رفاهيات الحياة، فقط استيقظ من النوم ثم أذهب إلى العمل ثم أعود إلى المنزل مرة أخرى وأذهب إلى النوم.

فقط

لم يمر بذهني في ذلك الوقت سوى خيابة الأمل في كل ما كنت أود حدوثه وهو لم يحدث.

فقد تحدثت معه ولكن ليست في الهاتف ولا عبر الإنترنت ولا في أحد مواقع التواصل الاجتماعي ولا عبر رسالة نصية ولا في مقطع صوتي، بل تحدثت معه بيني وبينه، فقط تخيلت أنه يتراءَى أمامي عابر ولي حق أن أتحدث إليه.

فقد قلت له: لماذا فعلت ذلك بي؟ أنا أحببتك للحد الذي لا أدنى له، كنت المتسبب الوحيد في إذائي ولن ترحمني أبدًا، جعلتني أشعر وكأن العالم بين يداي وأنه لن تفوق على الجميلات وأنني لم أستعوض بأي فتاة قد خلقها الله وأنك المحظوظ الوحيد في العالم لأنك نلت بي، وكنت أعتقد أنك الأمان وأن لمسة يداك المجردة هي جنة النعيم، وعندما حان وقت إثباتك لكل تلك التفوهات كنت أول من سقطني أرضًا.

كيف تحول كل جميل بك هكذا؟

ولكن!

هل تحول حقًا أم كان كذلك من البداية وما كنت أنا سوى المصابة بالعما؟

أحببتك دون مقابل، وأردت فقط بعد كل مرة يسيؤون لي فيها أن تراضيني، تخبرني أن حزني يشمل لك فارقًا، كنت أود أن تتفوه لي قائلًا: فهي والدتي وكبيرة السن فلا تحزني يا حبيبتي، كنت أود لو أرى من تلك النظرات الحانية من بعد الضراوة التي كنت أراها منهن، فأنا تحملت منك الإهانة والتعصيب، ومن والدتك وإخوتك من لا يتحمله بشر، كم من الإهانة والإيذاء والتفوهات السخيفة والتعامل مع أفراد عائلتي بالبذائة، وعندما ساءت والدتك بوالدتي أنا لم أحكِ لأحد ما حدث أبدًا ولكن أنت.

أنت أخبرت جميع العاملين بالشركة بل جميع الناس أن عائلتي هم المتسببون، وإن عائلتي لا يصلحوا للمعاشرة، في آخر لقاء بيننا أخبرتني إنك لم تتزوج فتاة من الشركة لكي لا تصيبني بالحزن والمشقة، وينظرون إلى البعض نظرات الشفقة.

لكن الآن ماذا فعلت؟

تقدمت لخطبة ابنة أحد العاملين بالشركة فماذا الفرق هنا إذًا، فقد زادت النظرات، زاد الإيذاء، زادت المشقة جعلت جميع من حولي ينظرون إلى وكأنهم يتحدثون بأعينهم ويقولوا لي هل أنتِ بخير؟

كيف أردت واستطعت أن تصل إلى ذكر أنني كنت مجرد عروس لك؟

كيف إذا وأنت الذي جعلتني أشعر وكأنني شيء ثمين بيداك لا تستطيع الاستغناء عنه؟

كيف جعلتني أذكر أنني كنت مجرد فرصة قد أتيحت إليك؟

(هدير) فتاة على خلق تربوية، تسير باستقامة، ليس شأنها بالقيل والقال، بل إنها أيضًا فكاهية وتعشق حس الفكاهة، وجميلة بالمنظور الخارجي والداخلي.

فلا بأس بها، هذا ما تفوهت أنت به؛ لكي يروق لك التقدم لخطبتي، ولكن بما أنني هكذا لماذا تركتني إذا؟

فقط لأنك قد أصبت بفقدان الشغف؟

أنا رأيت الكثير وقد عانيت كثيرًا ولكنني كنت أبدو أمامك أنني على ما يرام، تجددت طاقتي من أجلك مئات المرات، في كل مرة كنت تحزنني فيها بقولك وبجميع ما كنت تتفوه به من حديث مؤذي كانت تتفرغ طاقتي وتكاد أن تنتهى، ولكني جددتها من أكثر عدة مرات.

عندما تحدثت معي والدتك بالإساءة في المرة الأخيرة كنت أبدو وكأنني ليس بي أي شيء، حتى أنني لم أذكر ما حدث لوالدتي أبدًا، ولأن هذه المرة لم تكن الأولى وإذا كنت استكملت بك حياتي كانت لم تكن الأخيرة، ولأنني أحبك، لم أشكُ يومًا، وبعد كل ذلك التحمل

والصمت أخبرتني أنني أشد المنافقين؛ لأنني لم أشكُ ولأن والدتي رأت الدموع بعيناي التي قد كذبتها من أجلك!..

كيف أراد قلبك أن يقسو على كذلك وأنا لم أفعل الشيء الذي يجعلك تحمل بداخلك كل ذلك نحوي، كنت تقسو على شدة القسوة.

في اتفاقيات حفل الخطوبة كنت سأتم حفل الخطوبة على المضيق من أجلك ومن أجلِ أنك أردت ذلك، وعندما كنت أخبرك أنني أريد أن أحتفل به احتفالاً عظيم كنت تنفعل على وتثور وتقول لي هل تعتقدين أنكِ عروس!

والآن!

عندما قررت أن تتخطى كل ما حدث فقط بغفلة أعين وتتقدم لخطبة إحداهن، جعلت كلٍ من حولي يتحدثون عن قدوم الاحتفالية وكل أذناي صاغية لهم رغمًا عني؛ لأنهم يحاوطوني من كل جميع الاتجاهات.

حتى أنك دعوت كل من في الشركة لحضور الحفل؛ لأنك شاركت الحفل في مكان فسيح يسع الناس جميعًا وجميع من بالشركة، عندما كنت أخبرك أنني أريد أن أدعو جميع العائلة وجميع أصدقائي للحفل أبيت ذلك للغاية وأخبرتني أنه من يستدعوا لقدوم الحفل لا يتخطون العشرون فردًا..

كيف فعلت كل ذلك بي؟

آخر لقاء كان بيننا استحلفتني بالله وكنت تود أن أسامحك وذلك

يعني أنك نادم وأنك تريد المسامحة؛ لكي لا يجلب الله حقي منك بسلطته ولكن أنت كنت من أشد الناهين، تفوهت إلى بالصعبانيات والتراجي لكي أسامحك حتى تفعل ما بوسعك من بعد المسامحة..

ولكنني لم أسامحك أبدًا، ولك أن تدري أن الله عندما يود أن يسامح أحد من عباده فهو يفعل ذلك فقط؛ لكي يحبب عباده في التسامح ولكن عندما يتم التسامح يفعل هنا الله ما بوسعه وما يريده وما بشأنه من ذلك الشخص الواقع عليه التسامح. والآن أنت من بعد أن فعلت كل ذلك بي ومن بعد أن جعلتني أشعر كل تلك الشعور المميتة.

ولك أن تعلم أنني أصبحت لا أبالي بك، توقفت عن كل شيء كان رابط بين قلبي وبينك، توقفت عن مراقبتك ومع من تحدثت ومع من تتحدث، توقفت عن استنشاق رائحتك كل يوم وها هنا قد اعتبرتها كأي رائحة في المقرات وبتعاونك معي جعلتني أشعر وكأنك لم تمر على حياتي يومًا، وكنت أتمنى للغاية أنني أستيقظ من النوم ذات يوم وأنت لم تخطرْ على بالي، وها قد حدث ما كنت أتمناه. أنت ما كنت لحياتي شيء!..

ولن أعترف يومًا أنكَ مرأت عليها، ولن أؤمن بأنني يومًا فتحت لك بابًا لدنياي، ولو كنت أنت في ذات يوم دنياي، فأتمنى أخرتي لكى لا التقى بك ثانية حتى ولو بالمصادفة، ولن أقبل أعيش في عالم أنت أيضًا على قيد الحياة به، فو الله وبالله لم أسامحك حتى المشيب ومن بعد حتى الموت، وأقسم لك أنه إذا توقفت إقامتك في جنة الخلد على مسامحتي فلن أسامحك أبدًا فلتذهب إلى الجحيم أو تضل عالق بينهما!....

وإلى هنا وقد انتهيت بالحديث معه ولكنني حين كنت أتحدثت إليه كنت أشعر وكأنني حقًا أراه، أدري ما هي ردة فعله بعد كل جملة تفوهت له بها، رأيت نظرات عيناه ودموعه النادمة ووجهه الحزين.

شعرت حينها وكأنني قد تعافيت منه للغاية، والآن سوف أعود إلى عملي دون أي خشية من ذاتي ومن أي خشية بنظرة أحدهم..

عدت إلى عملي بعد حوالى يومين ولم أقرر العودة سوى عندما قررت أن أتعافى مما بداخلي، كنت أبدو ذلك المرة أنني لا أبالى ولكنني لم أكن أتقمص أي شخصيات فأنا حقًا لا أبالي، لم أحتاج إلى أن أصعد على إحدى المسارح البهلوانية وتعمد المزاح وبالفكاهة فأنا حقًا على ما يرام للغاية ودون أي مراوغة أيقنت أنني فقط كنت أحتاج إلى شيء حقيقي أتوصل إليه.

كنت أحتاج إلى المنظور الذي يرقد بي إلى المعرفة والإدراك، كنت أحتاج إلى شيء ينهى تلك الحيرة..

وفي صبيحة اليوم الذي عدت فيه إلى العمل استنشقت رائحته ثم توصلت بعدها

إلى شيء لم أكن أعرفه

شيء لم يخطر على بالي أبدًا

شيء لم أتخيله ولو لوهلة

وهو أن رائحته الذي استنشقها فالعمل هذه هي ليست رائحته بل

هي رائحة المكان، الرائحة التي كنت أشمها في القسم عندما كنا نتغازل فيما قبل أن يتقدم لخطبتي.

"رائحة المكان" ليست رائحته.

وبعد عدة أيام من استرجاع وعودة ابتسامتي، في ذات يوم كنت أجلس مع أفراد عائلتي برفقة عائلة زوج أختي (فيروز)، وصرت أضحك بطريقتي التي كانت معهودة من بينهما جميعنا نملك حس الفكاهة فمن الطبيعي ألا أجلس بينهما، خاصًا أنهم يعشقون الجلوس معي للغاية فصرت ألقى عليهم بعض النكات والمزيج من الهراء والمزاح.

فهو ذلك المعهود منى أنني عندما أقيم بين عدد كبير من عامة الناس يضحكون من أجلي ولأنني ألقى عليهم الطاقة الإيجابية، كانوا عدد أفرادنا حوالي يتراوح من ستة إلى سبعة أفراد.

وأنا أستطيع أن أجعلهم جميعًا سعداء، فهي أنا المعهودة، كان المنزل مليء بالبهجة والضوضاء، وها هو الشيء الذي كدت أن أتناساه.

ثم نظر إلى أبي مبتسماً.

وقال لي: كنت مفتقدك يا ابنتي، كم من الأيام والشهور وأنا لم أراكِ تضحكين هكذا، منذ فترة طويلة وأنا لم أرَ جميع من حولنا يضحكون من أجلك وبرفقتك، مر الكثير على أنني لم أرَ أنك المتسببة في هذه البهجة والمرح، فحمدا لله على سلامتك يا عزيزتي.

قلت له ضاحكًا: ما بك يا أبي لماذا تجعلني أشعر وكأنني كنت تحت الأنقاض وليست على قيد الحياة، بل جعلتني أشعر أنني كنت مدفونة.

قال لي: حقًا كنتِ مدفونة يا ابنتي وأنك لم تكذبين فيما تفوهتي به حقًا.

بالفعل كنتِ مدفونة..

كانت عالقة تلك الكلمات في أذناي، وأن بعدها حتى عدة دقائق صرت أتحدث مع ذاتي.

قائلًا: هل تسببت يا أبي في حرمانك من ابنتك كل تلك المدة الماضية رغمًا عني ودون وعي؟

هل بالفعل سعادتي تشمل إليك فارقًا كبير وإلى كل من يحبونني؟

هل بالفعل ابتسامتي وضحكاتي ومزاحي الفكاهي كانوا غائبين عنك هكذا منذ فترة طويلة؟

ولكن! فلتصدقني يا أبي، كانوا غائبين عني أكثر من أنهم غائبين عنك.

أيعقل أنه كان محرم على أشياء أثمن وأعظم من تلك الأشياء التي كانت محرمة علي، حتى أنني شعرت أنه لي الكثير وأنا لم أجلس معكم هكذا كنت أجلس بجسدي فقط وكان كل شيء آخر ليس له وجود.

ثم توقفت عن حديث ذاتي واستكملت اليوم الجميل معهم ولكنني

أدركت وأيقنت أنه لا شيء يفوق ويغنيني عند ضوضاء العائلة فهو يجلب لي هدوء البال واسترخاء القلب..

ومن ذلك الوقت وأنا متعافية مما كنت عليه للغاية، ولم يخطر (عادل) ببالي، ولا أبالي به وتوصلت لذكر أنه كان امرئ في عالمي ثم ذهب.

لا بأس!

فقد اختصرت سبب تواجده في حياتي ذات يوم في جملة بسيطة:

"كان امرئ رأني ذات يوم فكنت أروق له كثيرًا ثم تحدث معي ثم تقدم لخطبتي ثم أدركت أن والدته المتسلطة الوحيدة عليه في كل شيء ثم تركته لذلك السبب".

فماذا هناك؟ لا شيء ولا بأس، فكل تلك التفاصيل لا تعنيني

هذا هو الاستنتاج الوحيد الذي قد استخرجته مما حدث لي..

كنت أراه بعض الأيام وبعض الأوقات

أحيانًا بالمصادفة وأحيانا بالعمد، حين دخولي القسم للقيام بعمل شيء ما بالداخل..

فقد صرت أراه وكأنني لم أعرفه، حتى أنه عاد كأول يوم رأيته، أو كأنه أحد العاملين بالشركة الذي لا أعرفهم، أو كأي من الآلات أو المعدات أو شيء من الجماد!..

ومرت الأيام ومر الكثير وأنا لم أراه حتى رأيته ذات مرة بالتصادف

وكان وجهه متغير للغاية

أسمر اللون ونحيف الوجه ودون لحية وشارب..

لم أراه جميلًا كما كنت أراه، وجهه تغير للغاية، لم يعد وسيمًا ما الذي حدث له؟..

ثم تحدثت مع صديقاتي في الأمر، وقلت لهم: هل رأت إحداكم (عادل) الأيام الماضية؟ فهو أصبح أسمر اللون للغاية ونحيف الوجه حتى أنه لم يعد ذو لحية وشارب ماذا حدث له؟

قالو لي: وماذا جد إذا؟ فهو طيلة عمره هكذا لم يتغير أبدًا، دائمًا أسمر اللون غاية الغاية، ونحيف الوجه، حتى أن لحيته وشاربه لم يكونان سبب لكي يصبح وسيمًا، فهو دائمًا هكذا.

ما الجديد إذًا ولماذا تتعجبين؟

قلت لهم: كيف ذلك؟ (عادل) كان جميل الوجه للغاية وذو الملامح الصغيرة البسيطة ونسبة سماره لم تكنْ نسبة كبيرة للحد الذي تتفوهون به، حتى وجهه لم يكن نحيف هكذا من قبل.

ردت (يارا) وقالت: يا (هدير) أنتِ فقط التي كنتِ ترينه هكذا، حتى أنه عندما كنا تخبرك أنك تفوقينَ عليه في الجمال كنتِ تتفوهين بكلماتك اللا قيمة لها وتقولين: لم يراه أحد بعيناي..

ذكرت كلماتهم كثيرًا في ذهني، هل ما يقولونه صواب؟

هل (عادل) حقًا هكذا دائمًا وأنا فقط التي كنت أراه أجمل من في العالم لأنني أحبه؟

كيف ذلك؟ أنا حقًا كنت أراه فائق الجمال ذات يوم.

لم أتخيل أبدًا أن منظورنا يختلف تمامًا في الشخص الذي كان يعني لنا الكثير، فنحن نراه بعد التخطي والتعافي حقيقيًّا للغاية!..

وفي ذات يوم طلبت مني إحدى المشرفين العمل بداخل القسم الذي يعمل به (عادل) لإعداد كعكة الحلوى، ولكنني لم أأبى ذلك المرة صار دخولي إلى هذا القسم لم يعد يؤذيني، بالرغم من أنني كنت حينها في مثل الأيام التي تعرفت على عادل فيها.

ولكن الأمر لم يعد بعنيني بشيء، وعند دخولي إلى القسم رقدت نحو المقر الذي سأعمل به وكان عادل يعمل بالمقر الخلفي ثم بدأت في إعداد ما كنت أقوم به حتى أنني كنت على أتم الثبات ولم ينتابني أبدًا الشعور الذي جاءني حين دخولي إلى هذا القسم لأول مرة من بعد أن تفارقنا، وبجانب أنه خلفي ولم يفصل بيننا سوى حوالي ثلاثة أمتار، إلا أنني لم أهتز ولا أبالي ولا يعنيني أي شيء، وبجانب أنني استنشقت رائحته وكانت تفيض في المكان هنا وهناك ولكنني لم أبالِ وذكرت وتذكرت أنها ليست رائحته بل إنها "رائحة المكان".

وبعد عدة دقائق من الوقت جاء إلى مقري فجأةً لكي يجلب شيء من أعلى الرف الذي كان أمامي وكان قريب منى للغاية ولا يفصل بيني وبيني حتى ١ سم مترات، ولكنه لم يتخذ حتى وهلة بسيطة بجانبي فقد

جلب ما كان يريده ثم ذهب إلى مقره مسرعًا.

ولكن؟

كانت رائحته بجواري وتلازمني بضع ثوان، ولكنني ذكرت في نفسى أنني قد اتفقت أنه ليست رائحته ولكنها رائحة المكان ولكن إذا كانت رائحته المكان لماذا تفيض بملابسه.

ولكن لا يعنيني ومن المؤكد أنها تفيض بملابسه من كثرة أنه يعمل في القسم..

وبعد عدة دقائق كنت على وشك الانتهاء مما أقوم به فذهبت إلى حوض الاغتسال؛ لكي أغسل يدي ثم سمعت من خلفي صوت (عادل).

(هدير) هل انتهيتِ من اغتسال يدك؟

كان يسألني هذا السؤال وهو يموء إلى أيديه بعينه؛ لكي أتفهم أنه يريد أن يغسل يداه ويطلب مني أن أفسح لمدة ثوان

ثم ابتعدت قليلًا لكي يغسل يداه ولكنني لم أنطق بكلمة حتى أنني لم أقل له فلتتفضل فقط اكتفيت بالصمت!..

ثم حان وقت الاستراحة وعند استماع الجرس تذكرت عندما كنت في نفس ذات المكان منذ عدة أشهر عندما كنت أعمل هنا وقد حان وقت الاستراحة، ولكنني لم أصعد إليه وكان عادل يعمل بالقسم خلفي وحين رفضت أن أصعد إلى الاستراحة تحدثنا قليلًا معًا بعض

الشيء عن أمور الحياة وكان أول حديث يدور بيننا..

فعندما تذكرت ما قد حدث من قبل ذهبت فورًا لحوض الاغتسال وغسلت يدي ثمَّ ذهبت إلى الاستراحة، وعند انتهائي من الاستراحة عدت إلى عملي في القسم مرة أخرى ولكنه لم يتواجد سوى من يعملوا معه فقط، وكنت قد اقتربت وعلى وشك من انتهاء عملي في القسم وحين كنت أعمل ذكرت في ذهني وصرت أسول لنفسي قائلًا: لماذا قد تأثرت بعض الشيء عندما استنشقت رائحته وعندما تحدث معي وأخبرني أنه يريد اغتسال يداه ويود أن أفسح قليلًا؟

حتى أنني لم أنظر إلى وجهه، ولكن ما حدث معهود للغاية؛ لأنني لم أعمل في ذلك القسم منذ عدة أشهر كثيرة

وما حدث كان شيء من المفترض اعتقاده!..

وفي اليوم التالي استيقظت وأنا حقًا لم أتذكر شيء مما حدث بالأمس، توصلت لذكر أنه أصبح فوق المعتاد والمعهود. والمعهود الآن أنه أصبح لا شيء.

حمدا لله على التعافي، الآن أنا أفضل مما كنت عليه كثيرًا بل إن ما كنت عليه لا يقارن بينه وما بين ما أنا عليه الآن..

وبعد عدة أيام ذهبت إلى القسم مرة أخرى وقمت بإعداد ما أفعله كل مرة، ولكن ذات المرة كنت أشعر وكأنني لم أعمل بالقسم هذا من قبل، ولأول مرة أرى ذلك الناس أو أنه إلى حد ما لم أتعارف بهم معرفة

قوية، وعندما رأيته شعرت وكأنني لم أراه من قبل، وكأنه شاب من ذا الذين أتو حديثًا الى الشركة ليعملوا بها!

هذا المقر حديثًا بالنسبة إلى وذلك ال(عادل) أنا لم أراه من قبل هنا.

كنت أشعر حقًا وكأنني لم أعلم شيء سوى إعداد كعكة الحلوى التي قد ذهبت إلى هنا لإعدادها، وشعوري هذا لم يكن كاذبًا أو متقمصًا أو ولا حتى هو فقط شعور قد بحت به لكي أتظاهر بالثبات، بل أنني شعرت بذلك حقًا.

وكأنني لم أراه من قبل ولم أأتِ إلى هنا من قبل فقد كل ما قد شاهدته من قبل هي كعكة الحلوى.

وبعد عدة ساعات قد مر على القسم رُؤساء العمل وشاهدوا الكعكة والحلوى الجديدة التي قد أعدها (عادل)، والكثير منها وغيرها أجمل وأجمل.

وقالوا له: ما هذا الجمال يا شيف (عادل)؟ حماك الله وسلمت يداك فما قمت بإعداده جميلاً للغاية وأود ولو أأكله الآن، حقًا سلمت يداك...

كنت أستمع إلى أحاديثهم وأنا في غاية البهجة والسرور الممتزجة بالفضول، أريد أن أرى ذلك الكعكة والأشياء التي قام بإعدادها؛ لكي تروق لهم للغاية، ثم مررت من أمام مقر عمله ورأيت الكعكة والحلوى.

وقلت في ذهني: ما شاء الله تبارك وتعالى والله أكبر.

وكنت سعيدة للغاية من أجله ومن أجل نجاحه في عمله، استعجبت للغاية لذلك الشعور الغريب الممزوج!..

شخص أنا لا أعرفه من قبل ولكنه يقوم بإعداد أشياء تجعل كل ما يراها يذكر الله ويدعو له بالخير والتوفيق، هل لذلك الدرجة هو أصبح غريبًا متغربًا؟

حقًا!

فها هو الذي ستتحدث به في المعتاد عندما أرى شخص متفوق في عمله اذكر الله وأدعو له بدوام النجاح والتوفيق، فلا بأس

هذا أنا وتلك هي طبيعتي!..

وبعد عدة دقائق من الوقت نظرت له دون وعيه وأنا خالية من الحب، قلت في ذهني: لماذا أحببتك؟ إذا ما هو الشيء الذي كان بك وجعلني أركض من أجلك كل تلك المسافات؟

بل من أنت من الأساس؟!..

وحين جلست مع ذاتي بعض الوقت اكتشفت أنني كنت أريد وأود وأحتاج أن أعمل بذلك القسم لمدة عدة مرات متتالية؛ لكي أدري كيف أصبح (عادل) وماذا صار يعنى لي؟

فقد عاد غريبًا كما كان سابقًا، ولكن سابقًا كان من المحتمل أن يرقد إلى باب حياتي، ولكن الآن هو الغريب الذي لم أتشرف بعودته ولا دخوله إلى باب حياتي مرة أخرى...

ثم نظرت إلى المرآة ولكن ذلك المرة لم أتحدث في ذهني، تحدثت بصوت مرتفع وواضح جدًّا صوت قد سمعته أذناي: أنتِ (هدير) ليست بسنت لم أكن أعلم من أنتِ ولا أعلم متى سأعلم ولكنني الآن قد علمت جيدًا أنك (هدير) هي حقًا بكل ما بها من كل شيء، بل قد أضيف إليها عدة أشياء أفضل وذهب منها بعض الأشياء السيئة التي قد قضت عليها من قبل.

علمت أن كل ما كان في الأمر أنني كنت في أحد المتاهات وكنت أبحث عن ذاتي، والآن، حمدا لله قد وجدتها..

ثم نظرت في صمت إلى وجهي ولم أرَ الحبوب حتى إن البقع الداكنة قد أذيلت بل أن وجهي أصبح جميلًا وممتلئ إلى حد ما كما كان من قبل، ونظرت إلى أظافر أناملي وجدتها غير متآكلة وأناملي قد تجدد بها الجلد مرة أخرى.

فحمدا لله على سلامتي..

(الخاتمة)

نظرت من النافذة واستنشقت الهواء الذي كنت أكاد أن أشعر أنني لم أتخذه مرة ثانية.

افتخر بذاتي للغاية أنني قد مرأت بكل ذلك وأنا لم أخسر أي شيء أبدًا، أيقنت أن كل ما حدث كان من المفترض أن يحدث وأمر به، توصلت إلى أنني.

وعادل أصبح كل منا في حال شأنه بل أنني على أفضل حال دونه، وبجانب أنه لم يأخذ من حياتي العمرية عدة أشهر إلا أنه قد أخذ الكثير من الجهد والطاقة التي لم تتجدد بالحين أبدًا، كنت أعتقد أنه العالم بأكمله، وأذكر في ذهني أنه لا شيء سواه ولا يعنيني غيره، كنت أريده فقط من كل تلك العالم والمخلوقات كان هو القريب والحبيب والزوج والأب والأم والأخوة والأصدقاء، تحملت من أجله ما لا يتحمله بشر وقد قبلت بما لا تتقبله فتاة، كنت غافلة به وعامية ومستعمية عن أشياء إذا كنت انتبهت إليها فقط ولو ثواني كنت لم أستكمل معه من العمر ثوان.

حقًا أنني لم أسامحه أبدًا، وإذا توقف خلده في الجنة على أنني أسامحه فو الله سأقبل أن يصل عالقًا في العمر الأبدي، لن أسامحه على المشقة

والتعب وكل شيء قد فعله بي. ولكن له جزيل الشكر وإذا أتيحت الفرصة لدي لكي أشكره سأفعل، لأن لو لم نلتقِ يومًا ما كنت علمت الكثير من الأنوار، لم أدرِ من يحبني ومن يكرهني، لم أدرِ كيف أكن على علم بكيف من الأساس أدري من يحبونني ومن لا يحبونني، إذا لم تأتِ بحياتي كان لي الكثير وأنا ما زلت غافلة عن كل الأمور التي تحدث من حولي، لو لم يغدر بي مثل ما غدر كنت سألتمس جميع الأعذار بكل من يغدرون بي، إذا لم يأت إلى حياتي يومًا كنت سأضل معتقدة أن من يحب لا يستطيع أن يكره أبدًا، لو لم يأتِ إلى حياتي يومًا كنت سأبقى طيلة العمر آتية بمسامحة كل من ظلمني.

فلتباركلي يا (عادل)

فـ(هدير) لم تعدْ بسنت تلك بسنت ما هي إلَّا شخصية قد أسستها أنت في ذات يوم تعيش بروح الغافلة المستعمية، ودياسطي ذلك ما هو إلا شخص مؤقت فقط لعدة أيام ومختبئ خلفه المراوغ الحقيقي الذي لم تعرف بسنت عنه شيء.

لم أكنْ أدري من أنا هل هدير أم بسنت أم مَن؟

ولكن الآن قد علمت أنا هدير مثل ما أنا لم أتغير فقط قد أضيف إلى كل شيء كان من المفترض أن يضاف وانتهى من داخلي كل شيء كان من المفترض أن ينتهي.

صرت لم أعد أميل لمن يجعلني أشعر أنني تاجا فوق الرأس لأنني على يقين بقيمة ذاتي ولا ريب في ذلك الأمر، وأن الأحاديث والتفوهات

أسهل ما يمكن، أيقنت ذكر أنه من الممكن للغاية أن تكن مع امرئ اليوم وبعد عدة ساعات يذهب إلى مقر ما أتى.

وقد استخرجت بالكثير من الدروس التعليمية وهي: أنه ليس كل امرئ حق له في العتاب، وأنه لا يمكن العطاء دون مقابل، وأنه ليس كل أمر يستحق ردة الفعل، وأنه لا وجود للبدايات والشخص الصواب هو فقط الذي بدايته مثل نهايته ومثل ما بينهم، وأن المال ليس كل الأشياء ولكن إذا وضع مع الحب في ذات الكفة ستربح كفة المال؛ لأنه ليس وجود للحب وفي ذاك الحال سيصبح هنا المال كل الأشياء، وأن من يحبك يسبق من يتفهمك ببلاد وأعلام، وأن الطموح ليس لها شأن بهاذين الوقت والسن، وإنه عندما نجد من حولك يستعجبون من المبادئ والقيم كن على يقين أنك الأعظم الاستثنائي الصواب.

والآن!..

عندما انتهيت من كتابة مذكراتي شعرت وكأنني قد أنجتني والدتي من جديد، لأنني كتبت كلمات كثيرة تدل على ما لا أبوح به من داخلي ولكنني لم أستطعْ أن أخبر به أحد في ذات يوم..

"إنا لله وإنا إليه راجعون"

انتقلت إلى رحمة الله تعالى وبركاته صاحبة تلك المذكرات: هدير وائل.. توفاك الله برحمته يا حبيبتي

أعدك بأنك سوف تستريحين في قبرك من بعد أن يأتي بحقك المولى،

ولكنه جلب حقك بالفعل عندما تعافيتي بالكامل ولكنني ينفرط قلبي عليكِ كل يوم ولكن حمد الله أنك ذهبتي إلى الله وأنتِ معافاة ومتخطية كل تلك آلامك القاتلة، كنت أخشى لو لم يمر عليكِ الوقت لتدركِ أن الله يحبك ولكن حمد الله.

قد أنارت الجنة بكِ يا صديقتي فلتصحبك السلامة ولنا لقاء ذات يوم في الآخرة، أي نعم يجوز أن يطال الوقت ولكنني انتظره بحرارة لرؤياكِ.

يا من تقرؤون! عندما قرأت تلك المذكرات أيقنت أنني لم أعلم ولا أردي ولا كنت أدرك كليا وبالكاف كيف عانت (هدير).

ولكنها رمز لمتلازمة العلم فكل شيء قد استنتجته واستخرجت به من تجربتها تلك، وكل شيء قد أدركته هدير يجب على كل فتاة وامرئ أن يدركهم جيدًا؛ لأن هدير من حينها حتى لحظة انسحاب روحها لله وقبل أن يأمر بها وهي يحترق قلبها على كل امرئ يصاب بالكتمان.

تخشى أن تجد فيه حد التراكمات مرة أخرى مثل ما أصيبت بالكتمان وتراكم عليها حتى ظهور النزيف، حين قيدها على الحياة كانت تأتي بالنصيحة لكل فتاة تريد البكاء وتكابر فيه وتأبى أن تسيل دموعها وينتابها الغرور.

وكانت تقول للفتاة: لا تدعي غرورك وكبريائك يمتصون من عقلك وتزداد التراكمات عليكِ بالضراوة حتى لا يعود عليكِ وعلى رأسك بالسلبية، يمكنك البكاء ولا تتكبري، لا يفيدك هذان الكبرياء

والغرور.

فيجب أن تبكي.

تبكي حتى تنتهي الدموع بعيناكِ؛ لكي لا تصابي بالهالات السوداء، آثار البقع الداكنة، الملامح الشاحبة، الوجه المظلم والمخيف والمرعب الذي يجعل صاحبه يخشى النظر إلى المرآة، تآكل الأظافر، الجسم النحيف، الجسد المرهق دومًا الذي لا يحتمل اللكم حتى بالمزاح..

وأخيرًا وبالأخص أهمية وأولًا وأخيرًا المرض الذي يمتص من الجسد ويسيل بالكتل الدموية ويكاد أن يرقد بكِ إلى نقص الدم بجسمانك هو "النزيف المفاجئ" فلا تستسلمي للإصابة بالتراكمات والكتمان حتى لا يحدث لك مثلي!..

"حمدًا لله كثيرًا ومباركًا لي فيها".